بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد..

فنسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجعلنا ممن أراد به خيرًا وفقهه في الدين، وأن يرزقنا فرقانًا نميز به بين الحق والباطل، وبين السنة والبدعة، وبين الهدى والضلال، وأن لا يكلنا لأنفسنا طرفة عين..

هذه الدورة العلمية من أقدم الدورات كما لا يخفى عليكم إن لم تكن أقدمها، وإني أعتقد أن أنفع ما يكون في الدورات هو بحث مسائل محددة أو نازلة، أو أمر عمَّت به البلوى، أو بدعة انتشرت عند الناس، وحشْد الآثار فيها، وجمع كلام العلماء عنها، وكشف الشبهات عنها حتى تزول بإذن الله. فإن هذا أنفع ما يكون في الدورات؛ لأن أصول كتب العلم تحتاج إلى صحبة أستاذ وطول زمان. أما أخذها بسرعة؛ فإنه يضر الطالب والمعلم والمجتمع؛ فلا بد فيها أن تؤخذ على مكث حتى ترسخ، فكلام الله -عزّ وجلّ- نزَّله الله على ثلاث عشرين سنة وقال: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾[1].

فأصول العلم تحتاج إلى تأنٍّ وتروٍّ ومداومة وصبر. أما هذه الدورات فتكون في مسألة، وإن السلف لما ابتلوا بمسألة خلق القرآن وانتشر الكلام فيها؛ عقدوا ما يشبه هذه الدورات، وألفوا الكتب المتخصصة فيها، وكشفوا الشبهات، وكثفوا الكلام فيها حتى قامت الحجة على الناس، ثم انكشفت بعد ذلك، فهذا أنفع ما يكون. وعلماؤنا تكلموا عن هذه الدورات حتى يستفاد منها أعظم فائدة؛ لأنها سلاح ذو حدين، فإذا لم ينتفع منها بفائدة فقد تضر الطالب؛ إذ إنه يأخذ العلم بسرعة، ثم يظن أنه قد رسخ فيه وحصل، والعلم لا يصلح هكذا، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا في هذه الدورة هو تكملة للكتاب الذي كان في الدورة الماضية، وهو كتاب ابن وضاح[2] -رحمه الله- فإن كتاب ابن وضاح عظيم البركة كثير الآثار في بيان السنة والبدعة، وذكر فيه بدعَ طوائفَ من الناس، ذكر فيه بدع

---

(١) الإسراء: ١٠٦.

(٢) محمد بن وضاح بن بَزِيع، أبو عبد الله المرواني، الإمام الحافظ مولى صاحب الأندلس عبد الرحمن بن معاوية الداخل، صاحب كتاب "البدع والنهي عنها" ولد سنة تسع وتسعين ومئة. قال ابن الفرضي: كان عالما بالحديث، بصيرا بطرقه وعلله، كثير الحكاية عن العباد، ورعا، زاهدا، صبورا على نشر العلم، متعففا، نفع الله أهل الأندلس به. ومات سنة سبع وثمانين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٤٤٥ ترجمة ٢١٩)، وميزان الاعتدال (٤/ ٥٩ ترجمة ٨٢٩٠).

المتفقهة والدعاة والوعاظ والقصاص، والقراء الذين يقرؤون القرآن بالألحان، وبدع المقاتلين وبدع أهل الحِسبة، وذكر أيضًا السنن في ذلك، وذكر غربة الإسلام وآثارًا عظيمة لا تخفاكم.

ولكن هناك طائفة من الطوائف لم يحشد الآثار فيها وفي بدعتها، وإنما ذكر آثارًا على وجه العموم، وهي طائفة المفتين المتصبين للفتوى وتعليم الناس أمر دينهم، فهذه الطائفة من أخطر الطوائف، ومن أعظمها نفعًا، وضررها بالغ؛ فجاء هذا الكتاب لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري[٣] كأنه تكملة لكتاب ابن وضَّاح، ونص على السنة في الفتوى، ومَن الذي يستحق اسم المفتي الحقيقي، وبدع المفتين وخاصة بدعة الحيل -نسأل الله العافية السلامة- لأن أخبث بدع المفتين بدعة القول بالرأي في دين الله وترك الأثر وبدعة التحايل على شريعة الله.

ومن الموافقات أن بين وفاة الرجلين مئة عام بالتمام والكمال؛ فإن أبا عبد الله محمد بن وضَّاح توفي سنة سبع وثمانين ومئتين، وأبو عبد الله الثاني عبيد الله ابن بطة العكبري توفي سنة سبع وثمانين وثلاث مئة، وألَّف هذا الكتاب الذي يعتبر من أصول الإسلام وهو كتاب عظيم القدر نفيس.

وسبب هذا الكتاب أن فتوى عُرضت عليه وكان في العراق، وكان ابن بطة العكبري أمَّارًا بالمعروف نهاءً عن المنكر عالمًا تقيًّا عابدًا، وكان لا يسكن بغداد وإنما يسكن عكبرا، وهي بلدة ليست ببعيدة عن بغداد، وكان قد اعتزل شر الناس، وآتاهم خبره أنه ينشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعلم، ولكنه معتزل في هذه البلدة، فسُئِل -رحمه الله- عن رجل حلف بالطلاق ثلاثًا أن يقتل فلانًا من الناس، ثم إنه ندم وذهبت ثورة الشيطان، ولكن الطلاق على أحد القولين يقع، وكل مَن سأله من أهل الفتيا قال: يقع الطلاق، حتى وجد مفتيًا فسأله فقال له: الطلاق يقع، ولكني أحتال لك حيلة حتى لا تقع في الطلاق؛ وهو أن تخالع المرأة حتى تنحل عقدة النكاح، فإذا انحلت عقدة النكاح انحلت معها يمين الطلاق، ثم تعقد عليها مرة أخرى، وتتزوجها زواجًا جديدًا، وبذلك تتخلص مِن يمينك هذا!!

---

(٣) الإمام القدوة، العابد الفقيه المحدث، شيخ العراق عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري الحنبلي، ابن بطة. إمام لكنه ذو أوهام. لحق البغوي، وابن صاعد. كان أمّارا بالمعروف، ولم يبلغه خبر منكر؛ إلا غيره. من تصانيفه: "الإبانة الكبرى"، و"الإبانة الصغرى"، مات سنة سبع وثمانين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦ / ٥٢٩ ترجمة ٣٨٩)، وميزان الاعتدال (٣/ ١٥ ترجمة ٥٣٩٤).

فلما سمع ابن بطة -رحمه الله- هذه الفتوى الخبيثة المزعجة وأنهم يتحايلون على الله -عزّ وجلّ- ويبدلون دينه؛ ألَّف هذه الرسالة، وهي رسالة ماتعة ونفيسة وعميقة التأثير في نفس المؤمن التقي، وقسمها ثلاثة أقسام:

القسم الأول: بدأ فيه قائلاً: سأبين لك الجواب مشروحًا كاملاً، لكن قبل أن أبدأ سمعتك تقول: سألت مفتيًا، واسم المفتي انتشر بين الناس، ولا يفرقون بين الصادق والكاذب والمحتال والمتلبس بهذا الفن من غيره، فقبل أن أشرح لك جواب مسألتك سأبين لك مَن المفتي الحقيقي الذي يستحق هذا الاسم؟ وما صفات الفقيه الذي يجب الفزع إليه وسؤاله وجعله بينك وبين الله؟ وذلك لأن العالم يكون بين الناس وبين الله -عزّ وجلّ، وما الصفات الحقيقة له حتى لا يشتبه المزيف بالصادق؟ وهذا القسم الأول وهو نفيس جدًّا، وهو موضوعنا الآن -إن شاء الله-.

القسم الثاني: في جواب مسألة تتعلق بالخلع، ولماذا شرع الله الخلع؟ وما الحكمة منه؟ وكيفية هذه الفتوى، أي فيما يتعلق بجواب الفتوى.

القسم الثالث: في إبطال الحيل عمومًا، وذكر أن الحيل هي فساد الدين والدنيا، وتكلم عن إبطال الحيل، هذه أقسام الكتاب الثلاثة.

وابن بطة كما لا يخفاكم من أئمة الإسلام، ومن أعظم كتبه الإبانة الكبرى، وهو من أنفس كتب العقيدة، والذي لم يقرأ كتاب الإبانة الكبرى تشكل عليه كثير من المسائل؛ فإنه حشد فيه الآثار والرد القوي السليم على شبه أهل البدع، وهو مطبوع في تسع مجلدات، وكذلك الإبانة الصغرى وهو ملخص للإبانة الكبرى، وبدأ بمئتين وبضعة وثلاثين أثرًا، ثم ذكر الباب الثاني في السنة، والباب الثالث في البدع، فقد قسمه -تقريبًا- أربعة أقسام، وله كتب كثيرة نفيسة.

والحيل أخبث وأبشع ما يكون؛ لأنها تحايل في دين الله؛ فإن القرون الفاضلة -قرن الصحابة رضي الله عنهم- الذي انقرض جمهورهم تقريبًا سنة أربعين من الهجرة، ولم يبق إلا أفراد، وقرن التابعين الذي انقرض جمهورهم تقريبًا سنة ثمانين من الهجرة ولم يبق إلا أفراد ممن شهدوا الصحابة، والقرن الثالث قرن تابعي التابعين الذين

انقرضوا تقريبًا سنة مئة وعشرين، وكما قال شيخ الإسلام[٤]: ما سقطت دولة بني أمية وبقي من القرون الفاضلة أحد، إذن القرون الفاضلة الممدوحة في الوحي انقرضت كلها قبل ذهاب دولة بني أمية، هذه القرون الثلاثة التي زكاها النبي -عليه الصلاة والسلام- لا يعرفون شيئًا من الحيل، بل هم أطهر وأرفع وأبرأ من هذا التلاعب الذي حصل.

لكن لما ذهبوا وضعف نور النبوة، وضعف الخير وكثر الشر والرأي؛ بدأ الكلام في الحيل، وأول مَن أحدثه أهل الكوفة من أهل الرأي، فإنهم أول مَن أحدثوا الكلام في الحيل، وألفوا في ذلك المؤلفات، ومن أكابرهم محمد بن الحسن[٥] فله مؤلف اسمه كتاب الحيل، قد ضمنه السرخسي[٦] في المبسوط؛ لأن المبسوط شرح ستة من كتب محمد بن الحسن، وفي آخر المبسوط شرح كتاب الحيل، وقال: إن بعض الناس ينفي نسبة هذا الكتاب لمحمد بن الحسن، ولكن هو لمحمد بن الحسن، وأخذ يدافع عن الحيل، وفيه كلام سيئ، وكذلك نقل الحيل عن أبي يوسف[٧]

---

(٤) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيميّة الحرّاني، ثم الدمشقي، الحنبلي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. برع في العلوم الإسلامية والآلية، وقمع الله به أهل الضلال، ونصر به أهل السنة. ولد سنة إحدى وستين وست مئة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة. وله من المؤلفات: الواسطية، ومنهاج السنة. انظر الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩١ ترجمة ٥٣١)، والوافي بالوفيات (٧/ ١٠ ترجمة ٦١٩).

(٥) محمد بن الحسن بن فرقد، العلامة، فقيه العراق، أبو عبد الله الشيباني، الكوفي، صاحب أبي حنيفة. ولد بواسط، ونشأ بالكوفة. وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، وتمم الفقه على القاضي أبي يوسف. وروى عن: أبي حنيفة، ومسعر، ومالك بن مغول، والأوزاعي، ومالك بن أنس. أخذ عنه الشافعي فأكثر جدا. مات سنة تسع وثمانين ومئة بالري. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤ ترجمة ٤٥)، طبقات الفقهاء للشيرازي (ص: ١٣٥).

(٦) الفضل بن عبد الواحد بن الفضل السرخسي ثم النيسابوري الحنفي التاجر أبو العباس الفقيه المعمَّر. ولد سنة أربع مئة، وقدم ببغداد في سنة عشر مع أبيه للتجارة. كان صلبا في مذهب أبي حنيفة. من مؤلفاته: "المبسوط". مات في جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٤٧ ترجمة ٧٦)، والجواهر المضية (٢/ ٦٩٤ ترجمة ١١٠٣).

(٧) الإمام المجتهد، العلامة المحدث، قاضي القضاة أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي. ولد ثلاث عشرة ومئة. لزم أبا حنيفة وتفقه به، وهو أنبل تلامذته، وأعلمهم. تخرج به أئمة كمحمد بن الحسن. وكان أبوه فقيرا، له حانوت ضعيف، فكان أبو حنيفة يتعاهد أبا يوسف بالدراهم، مئة بعد مئة. قال عنه الإمام أحمد: كان أميل إلى المحدثين من أبي حنيفة ومحمد. مات سنة ثنتين وثمانين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٨ / ٥٣٥ ترجمة ١٤١)، والجواهر المضية (٣/ ٦١١ ترجمة ١٨٢٥).

وعن شيخهم أبي حنيفة، وانتشر هذا في الكوفة، فكانوا يحتالون على إسقاط الصلاة والزكاة والصيام؛ ولهذا كثر تشنيع السلف عليهم لأجل بدعة القول بالرأي والإفتاء بالحيل.

يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ في كتابه النفيس جدًّا (الدليل في بطلان نكاح التحليل) الذي قال ابن القيم[٨]: ما حَرَّرَ كتابًا كما حَرَّرَ هذا الكتاب، وهو مكمل لكتاب ابن بطة وأكثر ما في ابن بطة أخذه ابن تَيْمِيَّةَ، وقد ألف ابن تَيْمِيَّةَ هذا الكتاب ليحيِيَ ما ورد عن السلف من إنكار الحيل وبغضه والبراءة منها وبشاعتها، يقول شيخ الإسلام: إن مَن تدبر إنكار السلف على الحيل أول ما ظهرت، ونقل كلام عن الحمادين[٩] والسفيانين[١٠] ومالك

(٨) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، شمس الدين أبو عبد الله، الزرعي، ثم الدمشقي. الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف. ابن قيم الجوزية. تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة. وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة، ولهج بالذكر. له تواليف حسان؛ منها: "زاد المعاد"، و"بدائع الفوائد". ولد سنة إحدى وتسعين وست مئة، وتوفي سنة إحدة وخمسين وسبع مئة. انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣)، والذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠ ترجمة ٦٠٠).

(٩) أما الأول؛ فهو: حماد بن سلمة بن دينار، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة البصري، النحوي، البزاز، الخرقي، البطائني، مولى آل ربيعة بن مالك، وابن أخت حميد الطويل. كان بحرا من بحور العلم. قال علي بن المديني: من تكلم في حماد؛ فاتهموه في الدين. وقال عبدالرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدا؛ ما قدر أن يزيد في العمل شيئا. قال ابن حجر في التقريب: ثقه عابد، أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بأخرة. مات سنة سبع وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٥٣ ترجمة ١٤٨٢)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٤ ترجمة ١٦٨).

وأما الثاني؛ فهو: حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البصري، الأزرق الضرير، أحد الاعلام، أصله من سجستان، سُبي جده درهم منها. مولده في سنة ثمان وتسعين، ومات في سنة تسع وسبعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت، ربما دلس. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٩ ترجمة ١٤٨١)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٦ ترجمة ١٦٩).

(١٠) أما الأول؛ فهو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي. من ثور. إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه. ولد سنة سبع وتسعين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، وكان ربما دلس. مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤ ترجمة ٢٤٠٧)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩ ترجمة ٨٢).

وأما الثاني؛ فهو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ، إلا أنه تغير حفظه بأخرة وكان ربما دلس لكن عن الثقات. مولده بالكوفة، في سنة سبع ومئة، وتوفي سنة ثمان وتسعين ومئة بالْحَجُونِ -جبل بأعلى مكة-. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٧٧ ترجمة ٢٤١٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤ ترجمة ١٢٠).

والأوزاعي[١١] والليث[١٢] والقاسم بن معن[١٣]، وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود[١٤] وحفص بن غياث[١٥] وشريك بن عبد الله النخعي[١٦] قضاة الكوفة الثلاثة، وأئمة الإسلام كلهم.

ومَن تأمل كلامهم في إنكار البدع عرف أنها ليست من مسائل الاجتهاد، ولكنها بدعة خبيثة، وكلامهم فيها شديد حتى قالوا: إن هذا الحيل تقلب الإسلام ظهرًا لبطن، وقالوا: إن هذه الحيل تجعل الإسلام أرق من ثوب السابري، (السابري: الثوب الشفاف)، وقالوا: إن هذه الحيل تنقض الإسلام عروة عروة؛ ولذلك اشتد نكير السلف عليهم واشتد تحذيرهم؛ لأنهم ركبوا سنن اليهود الذين احتالوا فمسخهم الله قردة وخنازير.

---

(١١) عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي. مولده في حياة الصحابة. كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقيبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات. كان خيرا، فاضلا، مأمونا كثير العلم والحديث والفقه، حجة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة جليل. توفي سنة سبع وخمسين ومئة. وقيل: كان مولده ببعلبك. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٣٠٧ ترجمة ٣٩١٨)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧ ترجمة ٤٨).

(١٢) الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية في زمانه الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الفهمي. مولده بقرقشندة قرية من أسفل أعمال مصر في سنة أربع وتسعين. كان -رحمه الله- فقيه مصر، ومحدثها، ومحتشمها، ورئيسها، ومن يفتخر بوجوده الإقليم، بحيث إن متولي مصر وقاضيها وناظرها من تحت أوامره، ويرجعون إلى رأيه، ومشورته، ولقد أراده المنصور على أن ينوب له على الإقليم، فاستُعفي من ذلك. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه إمام مشهور. مات سنة نيف وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٥٥ ترجمة ٥٠١٦)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦ ترجمة ١٢).

(١٣) القاسم بن معن بن عبد الرحمن ابن صاحب النبي -صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن مسعود، أبو عبد الله الهذلي المسعودي الكوفي، ولد بعد سنة مئة. كان ثقة، نحويا، أخباريا، كبير الشأن، لم يأخذ على القضاء معلوما. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فاضل. توفي سنة خمس وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٤٩ ترجمة ٤٨٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٩٠ ترجمة ٢٨).

(١٤) عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي. قال يعقوب بن شيبة: كان ثقة قليل الحديث. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. مات سنة تسع وسبعين. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٢٣٩ ترجمة ٣٨٧٧)، والثقات لابن حبان (٥/ ٧٦ ترجمة ٣٩٢٨).

(١٥) الإمام القاضي حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث، بن ثعلبة، بن عامر بن ربيعة، بن عامر، بن جشم، بن وهبيل، بن سعد، بن مالك بن النخع، أبو عمر النخعي الكوفي، ولد سنة عشرة ومئة. كان آخر القضاة بالكوفة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه تغير حفظه. ومات سنة خمس وتسعين وقيل ست وتسعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٥٦ ترجمة ١٤١٥)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٢٢ ترجمة ٦).

(١٦) شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي، أبو عبد الله الكوفي القاضي بواسط ثم الكوفة. توقف بعض الأئمة عن الاحتجاج بمفاريده. قال عنه ابن حجر في التقريب: صدوق يخطئ كثيرا، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة. وكان عادلا فاضلا عابدا شديدا على أهل البدع. توفي سنة سبع أو ثمان وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٤٦٢ ترجمة ٢٧٣٦)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٢٠٠ ترجمة ٣٧).

وذكر شيخ الإسلام آثارًا أيضًا من هذا الكتاب، وذكر آثارًا من كتاب (العلم) للخلال[١٧]، فقال: قال أحمد بن زهير بن مروان[١٨]: إن امرأة أبي روح كانت تريد أن يطلقها زوجها فرفض، فسألت أهل الحيل فقالوا: ارتدي عن الإسلام فينفسخ العقد ثم أسلمي من جديد[١٩]! وقال لعبد الله بن المبارك[٢٠]: هذه الحيلة موجودة في كتب الحيل. فغضب وقال: مَن كتب هذا الكتاب وأمر الناس بالردة عن الإسلام فهو كافر، ومَن نقل الكتاب من كورة إلى كورة فهو كافر، ومَن حمله فهو كافر[٢١].

يقول شيخ الإسلام: صدق ابن المبارك؛ فبعض هذه الحيل كفر. وقال ابن المبارك: أظن الشيطان لم يكن يحسن هذه الحيل حتى جاء هؤلاء فاستفادها منهم، وقال: أو إنه كان يحسنها ولكن لم يجد مَن ينشرها حتى جاء هؤلاء ونشروها له، ولما قيل له: الذي وضعه إبليس. قال: إبليس من الأبالسة، ولما سئل عن الشريك: قال هذا كتاب الفجور، كذلك كل أئمة الإسلام سموه كتاب الفجور[٢٢]، وسموه كتاب المخادعة وقالوا: مَن يخدع الله يخدعه.[٢٣]، وأكثر من الإنكار على أهل البدع الحيل.

---

(١٧) أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال، شيخ الحنابلة وعالمهم، أبو بكر، ولد في سنة أربع وثلاثين ومئتين، أو في التي تليها، فيجوز أن يكون رأى الإمام أحمد، ولكنه أخذ الفقه عن خلق كثير من أصحابه، وتلمذ لأبي بكر المروذي. رحل إلى فارس، وإلى الشام، والجزيرة يتطلب فقه الإمام أحمد وفتاويه وأجوبته، وكتب عن الكبار والصغار، حتى كتب عن تلامذته، وجمع فأوعى. من تصانيفه: "الجامع في الفقه"، و"السنة". ومات ولد في سنة أربع وثلاثين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (٣/ ٢٣ ترجمة ٥٨٢)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٧ ترجمة ١٩٣).

(١٨) أحمد بن زهير بن مروان المروزي، الملقب بيطار العلم. انظر: نزهة الألباب في الألقاب (١/ ١٣٩ ترجمة ٤٨٧).

(١٩) ذكره ابن تيمية في إقامة الدليل على بطلان التحليل (ص٩١) عن أحمد بن زهير به.

(٢٠) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي. أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث. له تواليف؛ منها "الزهد". قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه عالم جواد. ولد سنة ثمان عشرة ومئة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٥ ترجمة ٣٥٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨ ترجمة ١١٢).

(٢١) أخرجه الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" (١٣ / ٤٢٧، ٤٢٨) بمعناه. وذكره ابن تيمية في "إقامة الدليل على بطلان التحليل" (ص٩١) عن ابن المبارك به.

(٢٢) ذكره ابن تيمية إقامة الدليل على بطلان التحليل (ص٩٢، ٩٣)، وابن القيم في "إغاثة اللهفان" (ص٣٥٧). عن حفص بن غياث، القاسم بن معن وغيرهما.

(٢٣) ذكره ابن تيمية إقامة الدليل على بطلان التحليل (ص٩٢، ٩٣) عن شريك بن عبد الله، وأيوب.

وأصل الحيل هو النفاق، أول المحتالين هو ابن سلول[٢٤] وأمثاله؛ لأن حيلتهم أنهم أظهروا الإسلام وهم في الباطن لا يريدونه، وإنما يريدون من إسلامهم أن يعصموا دماءهم وأموالهم، قال -تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[٢٥]، إذن لماذا يحتالون؟ ولماذا يظهرون الإسلام؟ قال -تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٢٦]؛ ولذلك لما سئل إمام من أئمة الإسلام عن الحيل قال: مَن يخادع الله يخدعه الله -عزّ وجلّ، ومَن يستهزئ بآيات الله يستهزئ الله به[٢٧].

والله -عزّ وجلّ- قال في آية الطلاق: ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾[٢٨]، فالطلاق والنكاح والبيع من آيات الله فلا تتخذ هزوًا، وأما سلف أهل الحيل فهم اليهود وهم أخبث الناس؛ لأنهم أهل الهوى، فإن الله حرم عليهم صيد السمك يوم السبت؛ شريعة من الله؛ وتحريم صيد السمك ليس أشد تحريم عندهم، بل حرم الله عليهم الربا وأكل مال الباطل، وهذا أشد من صيد السمك يوم السبت؛ ولذلك نسخ هذا الحكم من شريعتنا، وبقي تحريم الربا وأكل المال بالباطل، وأما تحريم السمك يوم السبت فهذا خاص بشريعتهم؛ فدل على أن درجة التحريم ليست بمثل الربا وأكل مال الباطل، إذن لماذا مُسخوا دون باقي أهل الجرائم؟! لأن هذه الجريمة لم يفعلوها عيانًا بيانًا، فلو اصطادوا السمك يوم السبت عيانًا وقالوا: هذه معصية؛ لكانت جريمتهم أقل من جريمة الربا والفواحش، ولكن جريمة هؤلاء اقترنت بالاستخفاف بالله -عزّ وجلّ- والاستهزاء به، كما قال أيوب السختياني[٢٩]: والله لو فعلوا المحرم على وجهه لكان أهون عليهم، ولكنهم يخادعون الله كأنه صبي من الصبيان[٣٠]!! جل ربنا وتقدس.

---

(٢٤) المنافق عبد الله بن أبي بن سلول. من أشراف الخزرج، وكانت الخزرج قد اجتمعت على أن يتوجوه ويسندوا أمرهم إليه قبل مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- فلما جاء الله بالإسلام؛ نفس على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- النبوة، وأخذته العزة، فلم يخلص الإسلام وأضمر النفاق حسدا وبغيا. ذكره ابن عبد البر عند ترجمة ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي الصحابي المشهور. انظر: الاستيعاب (ص: ٤١٦ ترجمة ١٤٢٤).

(٢٥) البقرة: ٨.

(٢٦) البقرة: ٩.

(٢٧) أخرجه الهروي في "ذم الكلام" (١٠٠١).

(٢٨) البقرة: ٢٣١.

(٢٩) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني، العنزي، مولاهم، أبو بكر البصري، الأَدَمِيّ ويقال: ولاؤه لطهية، وقيل: لجهينة. الإمام الحافظ سيد العلماء. عداده في صغار التابعين. مولده عام توفي ابن عباس، سنة ثمان وستين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت حجة من كبار

فهذا هوى أهل الحيل، فهم يخادعون الله كأنه صبي من الصبيان، فإذا حرم شيئًا احتالوا عليه حتى يحصلوا عليه ويقولون: هو حلال، فلما احتالوا وسيذكر قصتهم المؤلف -إن شاء الله- مسخهم الله قردة وخنازير.

يقول شيخ الإسلام: لأن القرد يشبه الإنسان من بعيد، وهؤلاء أتوا بفعل يشبه الحلال؛ فعوقبوا من جنس عملهم ومسخوا قردة وخنازير -نسأل الله العافية والسلامة.

وهذه الأمة سيكون فيها مسخ إلى قردة وخنازير، وسيكون فيها خسف، وأقرب الناس أن يمسخوا أهل الحيل الذين يحتالون عن الغناء ويحتالون على الربا والزِّنَا، هؤلاء أقرب الناس أن يمسخوا قردة وخنازير؛ ولذلك جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري معلقًا مجزومًا: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ»[٣١]، لم يقل: يفعلون، أي يفعلون الشيء ويقولون هذا حلال وإسلامي، بل يستحلون الزِّنَا باسم المسيار أو المتعة أو النكاح بنية الطلاق، وهذه التفاصيل ستمر معنا -إن شاء الله، قال النبي: «يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ»، يستحلون المعازف ويسمونها أحيانًا إسلامية، ومؤثرات صوتية... ثم وصفهم فقال: «يُمْسَخُ بِهِمْ»، أي يخسف بهم ويمسخون «قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ»، فدل على أن أقرب الناس أن يمسخ من هذه الأمة هم أهل الحيل، كما أن الذين مسخوا من الأمم التي قبلنا هم أهل الحيل، ولا ينجو من المسخ إلا الذين كانوا ينهون عن السوء.

ولذلك جاء هذا الكتاب؛ ولأن الله بيَّن أقسام تلك الأمة التي احتالت على دينه، وأنهم كانوا ثلاث فرق؛ فرقة احتالت، وفرقة سكتت، وفرقة نهت وأنكرت واشمأزت من هذا الفعل، وأنكرته قلوبها، فلما تمايزت الأمور قال الله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾[٣٢]، فالذي ينهى عن الحيل وأهلها ويتبشعها ويحذر منها وينفر ويشمئز ينجو إذا جاء العذاب: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٣٣]، والذين سكتوا سكت عنهم؛ لا ندري هم مع هؤلاء أو مع هؤلاء،

الفقهاء العباد. توفي سنة إحدى وثلاثين ومئة بالبصرة، زمن الطاعون، وله ثلاث وستون سنة. انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٤٥٧ ترجمة ٦٠٧)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٥ ترجمة ٧).

(٣٠) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٧٨)، والذهبي في الكبائر (ص٦١) بنحوه. أخرجه وكيع في "مصنفه" كما في "تغليق التعليق" (٥/ ٢٦٤)، وذكره البخاري تعليقا قال: بَاب مَا يُنْهَى مِنْ الْخِدَاعِ فِي الْبُيُوعِ. بمعناه.

(٣١) ذكره البخاري: كتاب الأشربة، باب مَا جَاءَ فِيمَنْ يَسْتَحِلُّ الْخَمْرَ وَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ.

(٣٢) الأعراف: ١٦٥.

(٣٣) الأعراف: ١٦٥ – ١٦٦.

ولما ذكر الله هذه القصة قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾[٣٤]، أي أن هذه القصة نكال للأمم التي قبلهم والتي بعدهم والقرى التي حولهم والأزمنة التي قبلهم وبعدهم أن لا يفعلوا هذا الفعل فينالهم نفس الجزاء، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٣٥]؛ لأننا أشبه الناس ببني إسرائيل، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم: «لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ»[٣٦].

فإذا وجِدَ مَن يحتال، فسيكون في هذه الأمة من يحتال، ذلك إذا كان علماؤهم شر من تحت أديم السماء، وسيكون في هذه الأمة علماء شر، منهم تخرج الفتن، وإليهم تعود كما سيأتي عن علي –رضي الله عنه.

فهذا هو سبب الحديث عن الحيل، والحيل الآن نازلة، فقد طبقت السهل والجبل والبر والبحر وعمت وطمت، واستبشعها المؤمنون وهم غرباء، واستهوت الكثير من الفئام، فإن ما يسمى بالاقتصاد الإسلامي والبنوك الإسلامية من الحيل، فلا يوجد بنك إسلامي؛ لأن كلمة بنك تعني الربا، ولا نعرف كلمة بنك إلا أنها ربا، لماذا؟ لأن البنك يستثمر في القروض والضمانات، فليس صاحب زراعة ولا تجارة ولا صناعة ولا طالب للمال والربح إلا ويتعامل بالقرض والضمان، فإذا قيل: بنك، فإنه يعني المؤسسة التي تستثمر في الإقراض والضمان.

واليهود استحلوا أكل الربا وقد نهو عنه، ثم نقلت البنوك إلى بلاد الإسلام، وكان الواجب أن لا يكون هناك بنوك؛ لأنه لا يوجد في الإسلام إلا القرض الحسن؛ ولذلك ما ذُكر في القرآن إلا قال: قرضًا حسن، ولا يوجد ضمان في الإسلام إلا الضمان الحسن، فإما أن تضمن مجانًا أو تترك، والبنوك ليست جمعيات خيرية بل يقول: أنا بنك ومتخصص في إقراض الناس والتربح؛ فاصطدموا بأن الشريعة واضحة وجلية وأنها صادمة لما عليه اليهود والنصارى.

---

(٣٤) البقرة: ٦٥ – ٦٦.

(٣٥) البقرة: ٦٦.

(٣٦) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (١٧١٣٥) بنحوه، من حديث شداد بن أوس، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣١٢)، وأصله في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري.

فالأولى أن تغلق البنوك ولا تستثمر فيه القروض والضمانات، وإنما تستثمر فيما أباح الله؛ في الزراعة أو الصناعة أو التجارة، ولكن هؤلاء غلفوها بالحيل، يظهرون البيع ولا يريدونه، ويظهرون الشركة ولا يريدونها، ويظهرون صور العقود الصحيحة ولا يريدونها؛ فإذا قلنا: بنك إسلامي، يعني ربا إسلامي! وهذا غاية التناقض؛ ولذلك لا يوجد إصلاح للبنوك إلا بإصلاح الأصل، وهو أن لا تدخل في القروض والضمانات وأن تغير النشاط تمامًا، وأما إذا بقيت البنوك في القروض والضمانات وقدمتها باسم مرابحة أو تورق أو بيع وهم يقصدون القرض ودفع المال لطلب الزيادة فإنهم أبعد ما يكونوا عن الإسلام.

واليوم كما ترون كل بنوك اليهود والنصارى أصبحت إسلامية! لأنهم رأوا أن هذا هو فعلهم نفسه، ولكن مغلف بشيء من الحيلة، ويسلمون من كلام الناس؛ وهذا أحد الخبراء الاقتصاديين من النصارى الأمريكان يقول -نسأل الله العافية السلامة: إن المسلمين يخادعون ربهم أكثر مما نخادع قضاتنا؛ لأنهم فهموا أن الله حرم الربا، ونحن نفعل الربا تمامًا، ولكن نحتال عليه بشتى الحيل؛ فالقمار يستحلونه ويسمونه بغير اسمه، والربا يستحلونه ويسمونه بغير اسمه، وكذلك المعازف، وما يسمى بالإعلام الإسلامي، حتى قال أحد أشهر المغنيين: أنا أنوي سحب الموسيقى من أعمالي وأقدمها على إنها إسلامية؛ لأن الذي يباع في السوق هو هذا!

أيضا يتزوج أناس وهم يريدون فقط الزواج المؤقت ويسموه نكاح بنية الطلاق، وربما يتزوجون من المومسات أو من العفيفات، ولكنه ليس زواج المسلمين، فالله -عزّ وجلّ- قال عن الزواج: ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾[٣٧] لكن زواج المسلمين هو الإعلان والإظهار الإشهار، وينبني عليه نسب وأولاد.

فكل من تأمل؛ وجد الحيل قد انغرست في بلاد المسلمين في الأموال والأبضاع والإعلام وفي أشياء كثيرة، ولو أنهم -كما قال أيوب السختياني- فعلوا الحرام لكان أهون، نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يكفينا شر ذلك وأن يبعدنا عنه، وأن يرزقنا فرقانًا نميز بين الحق والباطل، فإن العلم ليس بكثرة المعلومات، فالعلم نور يقذفه الله في القلب يميز به العبد بين الحق والباطل وبين الهدى والهوى وبين الضلال والحق، أما لو لم يكن عنده النور والفرقان، ولو كان يحفظ كتب الدنيا فليس من أهل العلم، ولا يحسب من أهل العلم هذه فتن عظيمة تموج كموج البحر وصدق -عليه الصلاة والسلام: «لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ»، فكل شيء يفعله اليهود

(٣٧) المائدة: ٥.

والنصارى سنفعله، حتى قال ابن مسعود: لا أدري هل سنعبد العجل أيضًا[٣٨]؟! ونحن عبدنا الأضرحة التي تشبه العجول، قال: لو كان منهم من يأتي أمه علانية أو يفعل اللواط لكان في هذه الأمة من يفعل ذلك، قيل: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَنْ؟!»[٣٩].

(حَدَّثَ الشَّرِيفُ الإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَلَوِيُّ الْحَرَّانِيُّ[٤٠] قَالَ: أَخْبَرَنَا الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ بَطَّةَ الْعُكْبَرِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ: بِتَوْفِيقِ اللهِ نَسْتَعِينُ، وَلِعَظَمَتِهِ نَسْتَكِينُ، وَبِمَا وَصَّى بِهِ النَّبِيِّينَ مِنْ شَرِيعَتِهِ نَدِينُ، وَنَسْتَهْدِيهِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَى النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ..

أَمَّا بَعْدُ..

يَا أَخِي! أَلْهَمَنَا اللهُ -وَإِيَّاكَ- التَّقْوَى، وَجَنَّبَنَا -وَإِيَّاكَ- الرَّدَى، وَعَصَمَنَا -وَإِيَّاكَ- مِنْ سُوءِ الْمَذَاهِبِ وَقَبِيحِ الآرَاءِ، فَقَدْ فَهِمْتُ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ عَنْ حَالِ رَجُلٍ ذَكَرْتَ أَنَّهُ حَلَفَ بِالطَّلاَقِ ثَلاَثًا أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَقْتُلَ رَجُلاً مُسْلِمًا بِغَيْرِ حَقٍّ لأَجْلِ خُصُومَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُ اسْتَفْتَى بَعْضَ الْفُقَهَاءِ فَأَمَرَهُ أَنْ يُطَالِبَ زَوْجَتَهُ بِأَنْ تَخْتَلِعَ مِنْهُ عَلَى عِوَضٍ تُعْطِيهِ مِنْ مَالِهَا، فَإِذَا قَبَلَ الْفِدْيَةَ خَلَعَهَا بِتَطْلِيقَةٍ لِتَسْقُطَ الْيَمِينُ، ثُمَّ يَعُودُ فِي الْوَقْتِ فَيَخْطُبُهَا مِنْ وَلِيِّهَا وَيَتَزَوَّجُهَا تَزْوِيجًا جَدِيدًا، وَيَسْقُطُ عَنْهُ الْوَفَاءُ بِمَا حَلِفَ عَلَيْهِ).

هذا الكلام ليس في أصل المسألة؛ لأن أصل المسالة فيها خلاف بين العلماء، فمنهم من يرى أن الحلف بالطلاق شأنه شأن اليمين وليس شأنه شأن الطلاق، وإنما الطلاق يكون إذا أراد حل عقدة النكاح فهذا هو الطلاق، و«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[٤١]، أما هذا الشخص فهو حالف، وهذا المفتي لم يتق الله؛ فلم يجعل له مخرجًا، لو

---

(٣٨) ذكره ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٨)، المناوي في فيض القدير (٥/ ٣٧٦) عن ابن مسعود.

(٣٩) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب الاعتصام، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لتتبعن سنن من كان قبلكم. (٧٣٢٠)، مسلم كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٢٦٦٩).

(٤٠) علي بن محمد بن علي المقرئ المعمَّر، أبو القاسم العلوي الحسيني الزيدي الحراني الحنبلي السني. كان صالحا كبير القدر. توفي في العشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة. انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٣٩٣ ترجمة ٣٣١)، وتاريخ الإسلام (٩/ ٥٢٩ ترجمة ٩١).

(٤١) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي (١، ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣) واللفظ له. مسلم كتاب الإمارة باب قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إنما الأعمال بالنية" وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال (١٩٠٧).

قال: هذا يمين وليس طلاقًا، أو قال: النساء كثير، أو قال: أي فتوى يتقي بها الله لكان أفضل، لكنه احتال فقال بالخلع لإسقاط اليمين؛ ولذلك سيذكر في القسم الثاني لماذا شرع الله الخلع؟ وسيذكر الآثار؛ لأن هؤلاء الأئمة لا يمشون إلا على الآثار.

فباب الخلع فتحه الله لمن أراده، ويكون لمن كرهت زوجها وزوجها وكرهها كما سيأتي في الآثار، لكن هؤلاء الزوجان كل واحد يريد الثاني، ولكنهم دخلوا من باب الخلع وهم لا يريدونه، لأنهم يريدون أن يسقطوا اليمين.

(وَسَأَلْتَ عَنْ صِحَّةِ الْفَتْوَى، وَهَلْ لَهَا مَخْرَجٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَصْلٍ ثَابِتٍ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؟ وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ مَنْ قَدْ نَصَّبَ نَفْسَهُ لِلْفَتْوَى فِي النَّوَازِلِ).

فغالبًا أهل الحيل ينصبون أنفسهم للإفتاء، فلم ينصبهم الإمام ولا حتى الناس، وإنما نصبوا أنفسهم للفتوى في النوازل، وفي الغالب يكون هذا مظنة الحيل.

(وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ مِنْ بَعْضِ مَنْ قَدْ نَصَّبَ نَفْسَهُ لِلْفَتْوَى فِي النَّوَازِلِ يُعَلِّمُ مَنْ حَلَفَ بِطَلاَقِ زَوْجَتِهِ ثَلاَثًا لَيَفْعَلَنَّ شَيْئًا لاَ يَحِلُّ لَهُ فِعْلُهُ أَوْ لاَ يَفْعَلُ شَيْئًا لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ فِعْلِهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الزَّوْجَيْنِ يُؤَدِّي إِلَى صَاحِبِهِ مَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ صُحْبَتِهِ، وَإِجْمَالِ عِشْرَتِهِ، فَيَدُلُّهُ عَلَى نَحْوِ الْحِيلَةِ الَّتِي ذَكَرْتَهَا فِي السُّؤَالِ هَذَا، وَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَيْكَ بِجَوَابِ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مَشْرُوحًا مَفْهُومًا؛ لِيَكُونَ عَمَلُكَ بِحَسَبِهِ وَحَذْوُكَ عَلَى قُذَذِهِ).

وحذوك على قذذه، كما جاء في الحديث: «حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ».

(الْقِسْمُ الأَوَّلُ: صِفَةُ مَنْ يَحِقُّ لَهُ الْفَتْوَى:

غَيْرَ أَنِّي أُقَدِّمُ أَمَامَ الْقَوْلِ وَأَبْدَأُ قَبْلَ الْجَوَابِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ بِذِكْرِ صِفَةِ الْفَقِيهِ الَّذِي يَجُوزُ تَقْلِيدُهُ وَالْفَزَعُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْمُشْكِلاَتِ، وَالانْقِيادُ إِلَى طَاعَتِهِ عِنْدَ نُزُولِ الْمُعْضِلاَتِ وَحُلُولِ الشُّبُهَاتِ، ثُمَّ أُتْبِعُ ذَلِكَ بِالْجَوَابِ عَمَّا سَأَلْتَ عَنْهُ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ هَذَا الاسْمَ قَدْ كَثُرَ الْمُتَسَمَّوْنَ بِهِ مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ وَكَافَّتِهِمْ، وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لأَنَّ الْبَصَائِرَ قَدْ عَشِيَتْ، وَالأَفْهَامَ قَدْ صَدِأَتْ وَأُبْهِمَتْ عَنْ مَعْنَى الْفِقْهِ مَا هُوَ؟ الْفَقِيهِ مَنْ هُوَ؟ فَهُمْ يُعَوِّلُونَ عَلَى الاسْمِ دُونَ الْمَعْنَى، وَعَلَى الْمَنْظِرِ دُونَ الْجَوْهَرِ).

الله المستعان، إذا كان هذا حالهم قبل ألف سنة، يقول: الناس كثر المتسمون بهذا الاسم؛ المفتي والفقيه والعالم، والناس لا يميزون بين المنظر والجوهر، وبين الاسم والمعنى، فالبصائر قد عشيت، والأفهام قد صدأت، فهم

يسمون كل واحد مفتيًا وفقيهًا وعالمًا، فكيف لو رأى اليوم مفتي القنوات والبنوك؟! فلذلك قال: أنا قبل ما أبدأ بالجواب أبين لك: من المفتي؟ ومن الذي يفزع إليه؟ ومن الذي تجعله بينك وبين ربك؟ وإذا سألك الله: لماذا تفعل هذا الشيء؟ تقول: وضعت بيني وبينك فلان وأنا أعتقد أنه أبين الناس وأورعهم وأتقاهم، أو يكون عندك علم، ولا تبرأ إلا بأحد هذين الأمرين، وإما أن تكون عند آلة العلم فتختار أقوى الأدلة في نظرك، وإذا اخترت الدليل الضعيف فلن تبرأ ذمتك، فلذلك يقول: قبل ما نبدأ بالجواب لا بد أن نبين مَن هو الذي يفزع إليه؟ مَن الذي تجعله بينك وبين الله؟ لأن هؤلاء موقعون عن رب العالمين.

(وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حِينَ وَصَفَ الْمُتَجَاسِرَ عَلَى الْفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ سَمَّاهُ النَّاسُ عَالِمًا وَلَمْ يُفْنِ فِي الْعِلْمِ يَوْمًا سَالِمًا).

يقول علي -رضي الله عنه-: سماه الناس عالمًا ولم يفنِ في العلم يومًا سالمًا[٤٢]، ومع ذلك سماه الناس عالمًا وهو ما ثنى ركبته عند عالم من العلماء، لو سألته: هل جلست عند أحد العلماء؟ يقول: ما جلست، وإن جلس؛ جلس تحلة القسم.

(وَقَالَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يُوشِكُ أَنْ لاَ يَبْقَى مِنَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ اسْمُهُ، وَمِنَ الْقُرْآنِ إِلاَّ رَسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، عُلَمَاؤُهُمْ شَرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، مِنْ عِنْدِهِمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ وَفِيهِمْ تَعُودُ[٤٣]).

وهذا أثر عظيم، وعلي لا يتكلم هذا الكلام من جهة رأيه، هذا ما يكون، إلا أن يكون أخذه عن الرسول عن الوحي، لكن الصحابة يتهيبون من رفع الكلام إلى -صلى الله عليه وسلم- فيكون موقوفًا وأصله مرفوع، يقول -رضي الله عنه-: يوشك أن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، أي: المظاهر والرسوم والأسماء، لكن حقيقة الإسلام وأهله فتذهب، ولم يبق من القرآن إلا رسمه، أما تدبره والعمل به وتحكيمه وجعله إمامًا فهذا يذهب، ويبقى رسمه فقط، مساجدهم يومئذ عامرة لكنها خراب من الهدى، أي: من علم النبوة ومن الآثار ومن الخشوع ومن العبادة، فهي عامرة لكنها من خراب الهدى -نسأل الله العافية السلامة.

---

(٤٢) أخرجه ابن قتيبة الدينوري في "عيون الأخبار" (ص٢٥).

(٤٣) ضعيف جدا: أخرجه أحمد مروان الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٥١٩)، البيهقي في "شعب الإيمان" (١٩١٠)، قال البيهقي: هذا موقوف، وإسناده إلى شريك مجهول، والأول منقطع. والله أعلم.

وعلماؤهم شر مَن تحت أديم السماء؛ لأن العالم إذا فسد فسد بفساده خلق كثير العالم، ففساد العالِم فساد العالَم، وذلته مضروب بها الطبل، فيكون علماؤهم شر من تحت أديم السماء، كما كان علماء اليهود والنصارى؛ حيث أفسد اليهودَ علماؤهم وأفسد النصارى علماؤهم، وسيكون في هذه الأمة مَن يتشبه بهم، ومن فسد من عبَّادنا ففيه شبه بالنصارى أهل الضلال والجهل، ومَن فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود، لكن ميزة هذه الأمة التي تميزت بها أنها لن تزال طائفة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، وهذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، فلا بد أن يكون مَن يحمل الراية ويبين للناس الحق مِن الضلال، وينطق الله الحق على لسانه حتى تقوم الحجة، بعد ذلك من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

أما اليهود؛ فاجتمعوا على ضلال، النصارى اجتمعوا على ضلال، لكن هذه الأمة لا تجتمع على ضلال إطلاقًا، لكن قد يكون الذي يقول الحق واحد، كما كان الإمام أحمد في وقته واحدًا وهو الذي قال الحق، فهو الطائفة المنصورة وهو الفرقة الناجية في وقته.

فلا بد في هذه الأمة من يتكلم بالحق، وهذه هي مهمة أهل الحق، إذ ليست مهمتهم أن يهدوا الناس؛ لأن هذا ليس في أيديهم، بل مهمتهم أن يبينوا للناس النجدين، وبعد ذلك من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، والحساب عند رب العالمين، وإلا؛ فكما أن علماء اليهود والنصارى شر من تحت أيديهم السماء سيكون في هذه الأمة – وخاصة في آخر الزمان– من ينتسب للعلم وهم شر من أديم السماء.

مِن عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود؛ أي: تكون منهم وفيهم تعود؛ ولذلك فمطمع الشيطان من المنتسب إلى العلم ليس كمطمعه من عامة الناس، فهو يطمع من عامة الناس بالمعصية، ولكن يطمع من العالم بالزلة والحيلة والفتنة، لماذا؟ حتى يأخذها ويتلقفها ويظفر بها، ثم يضل بها خلقًا كثيرًا، فإذا جئت في مجلس وقلت: هذا لا يجوز، أوحى الشيطان إلى عامة الناس ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[٤٤]، فيوحي إليهم أن قولوا لهم أفتى بها الشيخ فلان، وقال بها الشيخ فلان.

(٤٤) الأنعام: ١٢١.

ولذلك إذا بيَّنت ووجدت مَن يجادلك بهذا الباطل فكما قال -عليه الصلاة والسلام: «إِذَا رَأَيْتُمْ هَوًى مُتَّبَعًا وَشُحًّا مُطَاعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ»(٤٥)، أي: بيِّن لهم لتقوم الحجة عليهم.

(حَدَّثَنِيهِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الله بْنُ سُلَيْمَانَ الْفَامِيُّ(٤٦) قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الدَّقِيقِيُّ(٤٧) قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ(٤٨) قَالَ: أَنْبَأَنَا عَبْدُ الله بْنُ دُكَيْنٍ(٤٩) قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ(٥٠) عَنْ أَبِيهِ(٥١) عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ الله عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ).

---

(٤٥) ضعيف: لم أقف عليه من حديث علي -رضي الله عنه-، ولكن أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب من سورة المائدة (٣٠٥٨)، قال الترمذي: حسن غريب، ابن ماجة: كتاب الفتن باب قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) (٤٠١٤)، من حديث أبي ثعلبة الخشني مرفوعا. قال الألباني في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (٤٣٤١): ضعيف.

(٤٦) عبد الله بن سليمان بن عيسى بن الهيثم، وقيل: بن عيسى بن السندي بن سيرين، أبو محمد الوراق المعروف بالفامي. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ١٤١ ترجمة ٥٠٤٩)، وتاريخ الإسلام (٧/ ٥٥٠ ترجمة ٣٩١).

(٤٧) الإمام المحدث الحجة محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الواسطي، أبو جعفر الدقيقي. ولد بعد الثمانين ومئة. قال أبو حاتم: صدوق. وقال الدارقطني: ثقة. قال ابن حجر في التقريب: صدوق. توفي في شوال سنة ست وستين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٢٤ ترجمة ٥٤٢٧)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٨٢ ترجمة ٢٢٠).

(٤٨) الإمام القدوة، شيخ الإسلام الحافظ يزيد بن هارون بن زاذي، ويقال: بن زاذان بن ثابت السلمي، أبو خالد الواسطي. كان رأسا في العلم والعمل، ثقة حجة، كبير الشأن. قال ابن حجر في التقريب: ثقة متقن عابد. انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ٢٦١ ترجمة ٧٠٦١)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٣٥٨ ترجمة ١١٨).

(٤٩) عبد الله بن دكين الكوفي أبو عمر نزيل بغداد. قال النسائي: ليس بثقة، وقال في موضع آخر: ليس به بأس. وروى له البخاري في الأدب المفرد. قال ابن حجر في التقريب: صدوق يخطئ. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٤٦٩ ترجمة ٣٢٥٠)، وميزان الاعتدال (٢/ ٤١٧ ترجمة ٤٢٩٦).

(٥٠) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. شيخ بني هاشم أبو عبد الله القرشي، الهاشمي، العلوي، النبوي، المدني، أحد الأعلام. ولد سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة. كان يغضب من الرافضة، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهرا وباطنا. قال ابن حجر في التقريب: صدوق فقيه إمام. مات سنة ثمان وأربعين. انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٧٤ ترجمة ٩٥٠)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٥ ترجمة ١١٧).

(٥١) السيد الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أبو جعفر الباقر. أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب. ولد سنة ست وخمسين في حياة عائشة وأبي هريرة. روى عن جديه: النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعلي -رضي الله عنه- مرسلا، وعن جديه الحسن والحسين مرسلا أيضا. كان أبو جعفر إماما، مجتهدا، تاليا لكتاب الله، كبير الشأن. اتفق الحفاظ على

هنا عكس فذكر السند قبل المتن؛ لأنه لا يقول: قال علي، إلا بسند، فبدأ بالمتن ثم قال حدثني فلان عن فلان.

(وَسَأَنْعَتُ لَكَ مَعْنَى الْفِقْهِ وَالْفَقِيهِ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ وَالشَّرِيعَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ نَعْتًا جَامِعًا بَيْنَ الشَّهَادَةِ الْمُقْنِعَةِ وَالدِّلاَلَةِ الشَّافِيَةِ، مُخْتَصِرًا ذَلِكَ وَمُقْتَصِرًا عَلَى بَعْضِ الرِّوَايَةِ دُونَ النِّهَايَةِ، وَمُلَخِّصًا مِنَ الدِّرَايَةِ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةِ تَلْخِيصًا يَأْتِي عَلَى مَا وَرَاءَهُ وَيُغْنِي عَمَّا سِوَاهُ، فَأَمَّا الْفَقِيهُ فِي اللِّسَانِ الْفَصِيحِ فَمَعْنَاهُ الْفَهْمُ، تَقُولُ: فُلاَنٌ لاَ يَفْقَهُ قَوْلِي، أَيْ: لاَ يَفْهَمُ، قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[٥٢]، أَيْ: لاَ تَفْهَمُونَ، وَقَوْلُهُ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾[٥٣]؛ أَيْ: لِيَتَفَهَّمُوهُ، فَيَكُونُوا عُلَمَاءَ بِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: فُلاَنٌ لاَ يَفْقَهُ وَلاَ يَنْقَهُ، مَعْنَاهُ: لاَ يَفْهَمُ وَلاَ يَعْلَمُ).

إذن الفقه هو الفهم، والذي لا يفهم مراد الله -عزّ وجلّ- ليس بفقيه، والفقه ليس هو الحفظ وليس ترديد المحفوظات والمنظومات والمنثورات، بل الفقه أن تفهم، فلا بد من الفهم والإدراك مع الحفظ؛ ولذلك يتمايز العلماء بهذا، فكلما كان العالم أعمق فهمًا، وأقرب إلى مراد الله -عزّ وجلّ- كلما كان أنفع، ولذلك لما وصف ابن مسعود علم الصحابة قال: كانوا أعمق هذه الأمة علمًا وأبرهم قلوبًا وأقلهم تكلفًا[٥٤]، فلم يكن عندهم كلام كثير ولا منظومات ولا منثورات ولا شيء، لكن كان علمهم عميقًا جدًّا، واليوم يسمون الفقيه من كان معلوماته أكثر، فيقيسون الفقه بالكمية وليس هذا تزهيد في طلب العلم وبذل أسبابه، ولكن حقيقة العلم أن تستفيد من هذه الأسباب في الفهم والفرقان والتمييز.

(وَنَجِدُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- نَدَبَنَا إِلَى تَوْحِيدِهِ وَالْمَعْرِفَةِ بِعَظِيمِ قُدْرَتِهِ بِمَا دَلَّنَا عَلَيْهِ مِنْ بَدِيعِ صُنْعَتِهِ وَعَجِيبِ حِكْمَتِهِ، وَمَا أَصْبَغَ عَلَيْنَا مِنْ نِعْمَتِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ إِنَّمَا أَظْهَرَ هَذِهِ الْمُعْجِزَاتِ وَفَصَّلَ هَذِهِ الآيَاتِ لِلْفُقَهَاءِ الْعُلَمَاءِ؛ لأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ فَهِمُوا عَنهُ وَفَقِهُوا مُرَادَهُ، فَجَازَ أَنْ يَدُلُّوا عَلَيْهِ بِمَا دَهَّمْ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَجَازَ أَنْ يَكُونُوا هُمُ النُّصَحَاءُ لِعِبَادِهِ بِمَا نَصَحُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ).

الاحتجاج به. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فاضل. مات سنة أربع عشرة ومئة بالمدينة. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ١٣٦ ٥٤٧٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠١ ترجمة ١٥٨).

(٥٢) الإسراء: ٤٤.

(٥٣) التوبة: ١٢٢.

(٥٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٩٢٦)، الهروي في "ذم الكلام" (٧٤٦).

فأول شيء ينصح به الفقيه نفسه أن يعمل بعلمه، ويتقي ويتورع ويخاف، فإذا نصح نفسه وعمل بعلمه نصح لعباد الله؛ لذلك فالله -عزّ وجلّ- خص بالآيات أهل العلم والفقه؛ لأنهم هم الذين يستحقون أن يُخاطبوا؛ لأنهم الذين ينتفعون، فقال -تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٥٥)، وقال: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾(٥٦).

فكأنه سبحانه فصلها لهم خاصة، وهي مفصلة للناس كلهم، ولكن هم الذين ينتفعون ويستفيدون فينصحون أنفسهم وينصحون الناس، وهذا هو الفقيه الحقيقي.

(فَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَصَفَ نَفْسَهُ لِعِبَادِهِ وَعَرَّفَهُمْ رُبُوبِيَّتَهُ، وَدَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ، لِمَا أَشْهَرَ لَهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾(٥٧)، ثُمَّ قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾(٥٨)، ثُمَّ قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٥٩)).

آخر الآيتين هو الشاهد، وهو قوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

(ثُمَّ قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾(٦٠)، فَلَمَّا فَقِهُوا عَنِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مَا عَظَّمَ بِهِ نَفْسَهُ، وَأَخْبَرَ بِهِ مِنْ جَلاَلِهِ وَهَيْبَتِهِ وَنَفَاذِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ وَسَطْوَتِهِ وَمَا وَعَدَ بِهِ مِنْ ثَوَابِهِ وَتَوَّعَدَ بِهِ مِنْ عِقَابِهِ، وَمِلْكِهِ لِلأَشْيَاءِ فِي الضُّرِّ وَالنَّفْعِ وَالإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ وَالدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ هَابُوا اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَأَجَلُّوهُ، وَاسْتَحْيَوْا اللهَ وَعَبَدُوهُ، وَخَافُوا اللهَ وَرَاقَبُوهُ، وَذَلِكَ لِمَا فَقِهُوا عَنْهُ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلاَلِهِ وَعَظِيمِ رُبُوبِيَّتِهِ).

---

(٥٥) الأنعام: ٩٧.

(٥٦) الأنعام: ٩٨.

(٥٧) الأنعام: ٩٥.

(٥٨) الأنعام: ٩٦.

(٥٩) الأنعام: ٩٧.

(٦٠) الأنعام: ٩٨.

هؤلاء هم الفقهاء الحقيقيون، وهم أبعد الناس عن الرأي والحيل، يخافون والله ويجلونه، واستيحوا الله وعبدوه، وخافوا الله وراقبوه، وفقهوا عظمته وجلاله؛ ولذلك كل من كان بالله أعرف كان له أخوف: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٦١)؛ لأنهم عرفوا الله حق المعرفة، وتأملوا في أسمائه وصفاته فخافوا؛ ولهذا سيقول: لصق ما فقهوا عن الله بقلوبهم فأزعجه، فالمعرفة ليست ظاهرية بل عميقة، حتى إنها لصقت بالقلوب،

تعمقت وتشربتها القلوب فأزعجتها، فتجد العالم الحقيقي منزعجًا إذا رأى منكرًا؛ لأنه يخاف من غضب الله؛ فلا بد ينكره، وإذا قصر في العبادة فإنه يخاف من غضب الله، فالمسؤولية عليه أعظم، وإذا قصر في تبليغ العلم يخاف، فتجد الخوف لصق بقلبه فأزعجه، ليس منغمسًا في الدنيا، وليس مسابقًا إليها، هذا العالم الحقيقي الرباني.

(وَلَصِقَ مَا فَقِهُوا عَنِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِقُلُوبِهِمْ فَأَزْعَجَهَا، وَعَنْ جَمِيعِ مَكَارِهِ اللَّهِ بَاعَدَهَا، وَعَلَى مَا يُرْضِيهِ حَرَّكَهَا وَأَذَابَهَا، وَمِنْ مَخَافَتِهِ أَوْجَلَهَا وَأَرْهَبَهَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَضَافَهُمُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- إِلَى نَفْسِهِ فِيمَا شَهِدَ لَهَا بِالإِلَهِيَّةِ، فَقَالَ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾) (٦٢).

هذا من أعظم ما زكى الله به أهل العلم؛ فإنه جعلهم شهداء مع ذاته -سبحانه وتعالى، فالله والملائكة وأولو العلم الذين قاموا بحقه شهدوا وخافوا الله، فهؤلاء رفعهم الله مكانًا عليًّا، فليس بعد النبوة مثل أهل العلم فهم الصدِّيقون.

(ثُمَّ رَفَعَهُمْ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَقَالَ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٦٣)، وَقَالَ: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾(٦٤)، قِيلَ: بِالْعِلْمِ، فَهُمْ صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَهْلُ نُورِهِ فِي بِلاَدِهِ، اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ لِعِلْمِهِ، وَاخْتَارَهُمْ لِنَفْسِهِ، وَعَرَّفَهُمْ حَقَّهُ، وَدَلَّهُمْ عَلَى نَفْسِهِ، فَأَقَامَ بِهِمْ حُجَّتَهُ، وَجَعَلَهُمْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ذُبَّابًا عَنْ حُرَمِهِ، نُصَحَاءَ لَهُ فِي خَلْقِهِ، فَارِّينَ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ؛ فَلِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِمَسْأَلَتِهِمْ وَالنُّزُولِ عِنْدَ طَاعَتِهِمْ، فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٦٥)، ثُمَّ أَلْصَقَ طَاعَتَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(٦١) فاطر: ٢٨.

(٦٢) آل عمران: ١٨.

(٦٣) المجادلة: ١١.

(٦٤) الأنعام: ٨٣.

(٦٥) النحل: ٤٣.

وَسَلَّمَ- فَقَالَ: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٦٦]، قِيلَ: هُمُ الْفُقَهَاء[٦٧] كَذَا قَالَ الْمُفَسِّرُونَ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ[٦٨] قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَّانِيُّ[٦٩] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ[٧٠] عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ[٧١] عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ[٧٢] بِذَلِكَ).

هذا أحد التفسيرات، وقيل: هم الفقهاء والعلماء أو ولاة الأمر، وقيل: هم الطائفتان جميعًا، وهذا من اختلاف التنوع.

(فَطَاعَتُهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ وَاجِبَةٌ، وَمَعْصِيَتُهُمْ مُحَرَّمَةٌ).

---

(٦٦) النساء: ٥٩.

(٦٧) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٢٠٢)، الطبري في "تفسيره" (٨/ ٥٠١) من طريق أبي جعفر به.

(٦٨) محمد بن مخلد بن حفص، الإمام الحافظ الثقة القدوة، أبو عبد الله، الدوري ثم البغدادي العطار الخضيب. صحب جماعة من أصحاب الإمام أحمد. ولد سنة ثلاث وثلاثين ومئتين، ومات سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة. انظر: طبقات الحنابلة (٣/ ١٤٢ ترجمة ٦٠٥)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٦ ترجمة ١٠٨).

(٦٩) محمد بن إسماعيل بن البختري الحساني، أبو عبد الله الواسطي الضرير. سكن بغداد، وكان خيرا مرضيا صدوقا. قال ابن حجر في التقريب: صدوق. مات سنة ثمان وخمسين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٧١ ترجمة ٥٠٦١)، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٦٤ ترجمة ٤١٠).

(٧٠) أبو جعفر الرازي عيسى بن أبي عيسى بن ماهان. عالم الري. ولد في حدود التسعين، في حياة بقايا الصحابة. قال ابن حجر في التقريب: صدوق سيء الحفظ خصوصا عن مغيرة. مات في حدود سنة ستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ١٩٢ ترجمة ٧٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٤٦ ترجمة ١٢٧).

(٧١) الربيع بن أنس بن زياد البكري، الخراساني، المروزي. ويقال: الحنفي البصري، ثم الخرساني. قال ابن حجر في التقريب: صدوق له أوهام، ورمي بالتشيع. مات في خلافة أبي جعفر المنصور سنة تسع وثلاثين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٦٠ ترجمة ١٨٥٣)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٦٩ ترجمة ٧٩).

(٧٢) رُفَيع بن مهران، أبو العالية الرياحي، البصري، الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أحد الأعلام. كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم. أدرك زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه. حفظ القرآن، وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر لإفادة العلم، وبعد صيته. قرأ القرآن على عمر -رضي الله عنه- ثلاث مرار. قال ابن حجر في التقريب: ثقة كثير الإرسال. مات سنة ثلاث وتسعين. انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٢١٤ ترجمة ١٩٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٧ ترجمة ٨٥).

طاعة العلماء واجبة؛ لأن طاعة العلماء من طاعة الله -عزّ وجلّ، وليس هناك طاعة واجبة إلا لمن أوجبها الله - عزّ وجلّ، والعلماء لا يأخذون بيعة من الناس، فالبيعة تكون لولاة الأمر، لكن العلماء إذا قالوا فإنهم يوقعون عن الله؛ فطاعتهم واجبة كطاعة الأب في غير معصية الله.

(مَنْ أَطَاعَهُمْ رَشَدَ وَنَجَا، وَمَنْ خَالَفَهُمْ هَلَكَ وَغَوَى، هُمْ سُرَجُ الْعِبَادِ، وَمَنَارُ الْبِلاَدِ، وَقَوَامُ الأُمَمِ، وَيَنَابِيعُ الْحِكَمِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَنٍ، وَصَفَهُمُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِالْخَشْيَةِ وَالاعْتِبَارِ، وَالزُّهْدِ فِي كُلِّ مَا رَغِبَ فِيهِ الْجَهَلَةُ الأَغْمَارُ، فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٧٣]، وَقَالَ: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[٧٤]، وَوَصَفَ قَارُونَ وَخُرُوجَهُ فِي زِينَتِهِ وَمُبَاهَاتِهِ لأَهْلِ عَصْرِهِ لَمَا أُوتِيَهُ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا، وَغِبْطَةَ الْجَاهِلِينَ لَهُ الْمُرِيدِينَ مِنْهَا مِثْلَ إِرَادَتِهِ، وَتَأَسُّفَهُمْ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ، ثُمَّ دَلَّ عَلَى فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَإِصَابَتِهِمُ الصَّوَابَ بِعُزُوفِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ مُلْكِهِ وَزِينَتِهِ، وَرِضَاهُمْ لِمَا فَهِمُوا عَنِ اللهِ، وَتَصْدِيقِهِمْ لَهُمْ فِيمَا وَعَدَ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ، وَحُسْنِ مَآبِهِ لِمَنْ آمَنَ بِذَلِكَ وَرَضِيَ بِهِ، فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[٧٥]، ثُمَّ قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[٧٦]، وَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ- تَخْصِيصًا لِلْعُلَمَاءِ وَتَفْضِيلاً لِلْفُقَهَاءِ: ﴿وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾[٧٧]، يَعْنِي: الصَّابِرِينَ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا رَضًا بِاللهِ وَبِثَوَابِهِ، وَبِمَا أَعْطَاهُمُ الْعِلْمَ بِهِ وَالْفَهْمَ عَنْهُ، وَبِمَا فَقِهُوا عُنْهُ مَا وَعَدَ بِهِ مَنْ صَبَرَ عَنْهَا).

وهذه من أعظم القصص التي تبين مكانة أهل العلم الحقيقيين، أن قارون لما خرج على قومه في زينته، ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٧٨]، فالذين يريدون الحياة الدنيا هم الأكثرون في كل أمة، قالوا كلهم بلسان واحد:

---

(٧٣) فاطر: ٢٨.

(٧٤) العنكبوت: ٤٣.

(٧٥) القصص: ٧٦.

(٧٦) القصص: ٧٩ - ٨٠.

(٧٧) القصص: ٨٠.

(٧٨) القصص: ٧٩.

﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٧٩]، ونحن نسمع هذه الكلمة اليوم عشرات المرات، أما أهل العلم الحقيقيين فلا يسابقونهم إلى الدنيا ولا يدلونهم عليها ولا يسهلون لهم الحيل والمشتبهات، ولا يبحثون لهم عن رخص أهل العلم، بل هم الذين يعالجونهم؛ لأن حب الدنيا مرض، وصاحب العلم طبيب يعالجه قال – تعالى– على لسان أهل العلم: ﴿وَيلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ولاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾[٨٠].

ولأن الجنة حفت بالمكاره فلا بد أن تصبر على الدنيا، ولا بد أنك تختار؛ لأن الآخرة والدنيا لا يجتمعان في القلب، قد تجتمع في اليد لكن لا تجتمع في القلب، لأن القلب لا يجمع بين الدنيا والآخرة، فمن أحب الدنيا من قلبه أضر بالآخرة، ومن أحب الآخرة أضر بالدنيا، فهؤلاء هم أهل العلم الحقيقيين، وهم علاج الناس، فإذا جُنَّ الأطباء، فمن نداوي الناس؟!

قال عبد الله بن المبارك[٨١] يعاتب صاحبه ابن عُلَيَّة[٨٢] –وكان قد تولى صدقات البصرة– لانشغاله بالدنيا، في أبيات مشهورة، وكان الإمام أحمد لا يحب الشعر، لكن بعض الأبيات كان يرددها دائمًا، فمن هذا الأبيات قوله:

يا جاعل العلم له بازيًا *** يصطاد أموال المساكين

احتلت للدنيا ولذاتها *** بحيلة تذهـــب بالدين

فصرت مجنونًا بها بعدما *** كنـــت دواء للمجانين

أين روايتك فيما مضى *** عن ابن عون[٨٣] وابن سيرين[٨٤]

---

(٧٩) القصص: ٧٩.

(٨٠) القصص: ٨٠.

(٨١) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي. أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث. له تواليف؛ منها "الزهد". قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه عالم جواد. ولد سنة ثمان عشرة ومئة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٥ ترجمة ٣٥٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨ ترجمة ١١٢).

(٨٢) إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، الإمام، العلامة، الحافظ، الثبت، أبو بشر الأسدي، مولاهم البصري الكوفي الأصل، المشهور بابن علية، وهي أمه، ولد سنة عشر ومئة. كان موصوفا بالدين والورع والتأله، منظورا إليه في الفضل والعلم، وبدت منه هفوات خفيفة، لم تغير رتبته إن شاء الله. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ. توفي سنة ثلاث وتسعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٢٣ ترجمة ٤١٧)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٠٧ ترجمة ٣٨).

أين رواياتك فيما مضى *** بترك أبواب السلاطين

إن قلت أكرهت فما هكذا *** زل حمار العلم في الطين[٨٥]

والشاهد قوله: كنت دواء للمجانين وصرت مجنونًا مثلهم، فسمع ابن علية ذلك فترك الصدقات، فالعلماء هم الأطباء يعالجون الناس، فإذا جُن الأطباء فمَن يعالج الناس؟! لكن لم تزل هناك فرقة على الحق ظاهرين.

(وَلِذَلِكَ يُرْوَى -وَاللهُ أَعْلَمُ- فِي مَعْنَى هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَافْلانِيُّ[٨٦] قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مَعشَرٍ-[٨٧] قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ[٨٨] قَالَ: حَدَّثَنَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ[٨٩] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ[٩٠] قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ[٩١] -رَضِيَ اللهُ

---

(٨٣) عبد الله بن عون ابن أرطبان، أبو عون المزني، مولاهم البصري. ولد سنة ست وستين. قال ابن سعد: كان ابن عون ثقة، كثير الحديث، ورعا، عثمانيا. قال ابن المبارك: ما رأيت مصليا مثل ابن عون. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فاضل من أقران أيوب في العلم والعمل والسن. مات في شهر رجب سنة إحدى وخمسين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ٣٩٤ ترجمة ٣٤٦٩)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٦٤ ترجمة ١٥٦).

(٨٤) محمد بن سيرين، أبو بكر الأنصاري، الأنسي البصري. مولى أنس بن مالك، خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. التابعي الجليل. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر. كان نسيجَ وحده. لم يكن بالبصرة أعلم منه، وكان حسن العلم بالفرائض، والقضاء، والحساب. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت عابد كبير القدر. توفي بعد موت الحسن البصري بمئة يوم، سنة عشر ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٤٤ ترجمة ٥٢٨٠)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦ ترجمة ٢٤٦).

(٨٥)) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٦٠١)، ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٢٨٥).

(٨٦) جعفر بن محمد بن أحمد بن الوليد القَافْلاني، أبو الفضل، صحِب مَنْ صحِب الإمام أحمد. كان ثقة. مات سنة خمس وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٨/ ١٣٥ ترجمة ٣٦٤٨)، وتاريخ الإسلام (٧/ ٥٠٧ ترجمة ٢٢٤).

(٨٧) الحسين بن محمد بن أبي معشر نجيح يكنى أبا بكر، السندي، المدني، ثم البغدادي. مات سنة خمسة وسبعين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٠٨ ترجمة ٢٣٢)، وميزان الاعتدال (١/ ٥٤٧ ترجمة ٢٠٥٤).

(٨٨): وكيع بن الجراح، بن مليح، بن عدي، بن فرس، بن جمجمة، بن سفيان، بن الحارث، بن عمرو، بن عبيد، بن رؤاس، الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، أحد الأعلام. قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أحدا أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ عابد. له من المؤلفات: "أخبار القضاة". ولد سنة تسع وعشرين ومئة، ومات سنة سبع وتسعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٦٢ ترجمة ٦٦٩٥)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٠ ترجمة ٤٨).

(٨٩) الإمام، العالم، الصدوق، أسامة بن زيد، أبو زيد الليثي، مولاهم المدني. حدث عن سعيد بن المسيب، ومحمد بن كعب القرظي، ونافع العمري، وعمرو بن شعيب، وسعيد المقبري، وجماعة. روى عنه حاتم بن إسماعيل، وابن وهب، وأبو ضمرة أنس بن عياض، وعبيد الله

عَنْهُ- عَلَى الْمِنْبَرِ: «اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، سَمِعْتُ هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ مِنْ نَبِيِّكُمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[٩٢].

الحديث في الصحيحين، وهو حديث عظيم، «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[٩٣]، فإذا كان العبد فقيهًا في الدين ويعمل بما يعلم فالله قد أراد به خيرًا، وهذا أول طريق إلى الجنة، وإذا رأيت العبد يعكس، فينصرف عن الدين والتفقه فيه، فاعلم أنه ما أريد به خيرًا، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ﴾[٩٤]، لكن أعظم ما يثبتك على الطريق هو العمل، كما سيأتي في صفات العلماء؛ لأنك كلما تعمل بعلمك كلما ثبت العلم وازددت منه، قال -

---

بن موسى، وأبو نعيم، وآخرون. قال يحيى بن معين: ليس به بأس. وقال النسائي: ليس بالقوي. قال ابن حجر في التقريب: صدوق يهم. انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٣٤٧ ترجمة ٣١٧)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٤٢ ترجمة ١٤٥).

(٩٠) محمد بن كعب بن حيان بن سليم، أبو حمزة، وقيل: أبو عبد الله القرظي المدني، من حلفاء الأوس، وُلد في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-. يرسل كثيرا، ويروي عمن لم يلقهم، فروى عن أبي ذر، وأبي الدرداء، وعلي، والعباس، وابن مسعود، وسلمان، وعمرو بن العاص،

ويروي عن رجل عن أبي هريرة. وكان من أوعية العلم. قال ابن حجر في التقريب: ثقة عالم. مات سنة سبع عشرة. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٤٠ ترجمة ٥٥٧٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٦٥ ترجمة ٢٣).

(٩١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الرحمن، القرشي، الأموي، أمير المؤمنين، ملك الإسلام. ولد قبل البعثة بخمس سنين، وقيل: بسبع، وقيل: بثلاث عشرة، والأول أشهر. أمه هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. قيل: إنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، وبقي يخاف من اللحاق بالنبي -صلى الله عليه وسلم- من أبيه، ولكن ما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح. مات سنة ستين. انظر: الاستيعاب (ص: ٦٦٨ ترجمة ٢٣٤٦)، والإصابة (٦/ ١٥١ ترجمة ٨٠٧٤

(٩٢) صحيح: أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨) من طريق المصنف به.

وأخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٢) من طريق الحسين بن محمد بن أبي معشر به.

وأخرجه وكيع في الزهد (٢٢٤)، أحمد في المسند (١٦٨٣٩) من طريقه وكيع به.

وأخرجه ابن أبي شيبة (٣١٦٩٣)، أحمد في المسند (١٦٨٦٠، ١٦٨٨٩).

وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٦٦) من طريق محمد بن كعب به. قال الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥١٨): صحيح.

(٩٣) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب العلم باب من يرد الله به خيرايفقهه في الدين (٧١، ٧٣١٢)، مسلم كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة (١٠٣٧) من حديث معاوية.

(٩٤) الأنفال: ٢٣.

تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[٩٥]، أي: كلما تعلم شيئًا عمل به وطبقه، فإنه يثبت على الطريق وحتى يدخل الجنة: ﴿وَإِذًا لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[٩٦].

أي: نهديهم الصراط المستقيم حتى في المسائل ومعرفة الحق وفي كل شيء، فهذا من أسباب العمل بالعلم، والفقه في الدين سيأتي صفاته وصفات الفقيه؛ ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ»، فإذا أراد الله أن يعطي إنسانًا العلم فهذا أعظم عطية بعد النبوة؛ ولذلك قال الله: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٩٧]، ويتصور الناس اليوم أن أعظم العطية عطية المال أو السلطان أو الجاه أو المنصب أو الدنيا، لا بل أعظم العطية أن يعطيك الله العلم النافع والخلق الحسن والعمل الصالح، قال -تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٩٨].

(وَحَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَزَّارُ[٩٩] وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ[١٠٠] قَالاَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُسْلِمٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْكُشِّيُّ[١٠١] قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاودَ[١٠٢] قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ[١٠٣] قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ[١٠٤] عَنِ

---

(٩٥) النساء: ٦٦.

(٩٦) النساء: ٦٧ - ٦٨.

(٩٧) البقرة: ٢٦٩.

(٩٨) طه: ١١٤.

(٩٩) محمد بن أحمد بن الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله أبو علي المعروف بابن الصواف. قال الخطيب البغدادي: كان ثقة مأمونا من أهل التحرز، ما رأيت مثله في التحرز. توفي سنة تسع وخمسين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١١٥ ترجمة ٩٠)، وتاريخ الإسلام (٨/ ١٣٨ ترجمة ٣٠٦).

(١٠٠) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر البغدادي الآجري. الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب التصانيف الحسان؛ منها: "الشريعة"، و"الأربعين". توفي سنة ستين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣ ترجمة ٩٢)، والوافي بالوفيات (٢/ ٢٦٧ ترجمة ٨٤٧).

(١٠١) الشيخ، الإمام، الحافظ، المعمَّر، شيخ العصر، إبراهيم بن عبد الله بن مسلم بن ماعز بن المهاجر أبو مسلم البصري المعروف بالكجي. ولد سنة نيف وتسعين ومئة. كان سريا نبيلا متمولا، عالما بالحديث وطرقه، عالي الإسناد. مات ببغداد في سابع المحرم، سنة اثنتين وتسعين ومئتين، فنقل إلى البصرة، ودفن بها، وقد قارب المئة. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٣٦ ترجمة ٣١٠٤)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٣ ترجمة ٢٠٩).

(١٠٢) العالم الحافظ البارع، أبو أيوب، سليمان بن داود بن بشر المنقري البصري الشاذكوني، أحد الهلكى. روى عن: حماد بن زيد، وعبد الواحد بن زياد، وجعفر بن سليمان، وطبقتهم، فأكثر إلى الغاية. حدث عنه: أبو قلابة الرقاشي، وأسيد بن عاصم، والكديمي، وأبو

الزُّهْرِيُّ[١٠٥] عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ[١٠٦] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[١٠٧].

مسلم الكجي، وغيرهم. قال الإمام البخاري: هو أضعف عندي من كل ضعيف. مات سنة أربع وثلاثين ومئتين. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٥٥ ترجمة ٤٥٨٠)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٧٩ ترجمة ٢٥١).

(١٠٣) الإمام الحافظ، عبد الواحد بن زياد، أبو بشر، وقيل: أبو عبيدة العبدي، مولاهم البصري. قال ابن حجر في التقريب: ثقة، في حديثه عن الأعمش وحده مقال. مات سنة سبع وسبعين ومائة. انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٤٥٠ ترجمة ٣٥٨٥) وسير أعلام النبلاء (٩/ ٧ ترجمة ٢).

(١٠٤) الإمام الحافظ الحجة معمر بن راشد الأزدي الحداني. أبو عُروة بن أبي عمرو البصري مولى عبد السلام بن عبد القدوس. ولد سنة خمس -أو ست- وتسعين، ومات في رمضان سنة اثنتين -أو ثلاث- وخمسين ومئة، وقيل أول سنة خمسين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فاضل، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئا، وكذا فيما حدث به بالبصرة. انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٣٠٣ ترجمة ٦١٠٤)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٥ ترجمة ١).

(١٠٥) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام. الإمام العلم، حافظ زمانه. قال ابن حجر في التقريب: متفق على جلالته وإتقانه. ولد سنة إحدى وخمسين، ومات سنة أربع -أو ثلاث- وعشرين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٤١٩ ترجمة ٥٦٠٦)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦ ترجمة ١٦٠).

(١٠٦) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة. الإمام العلم، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه. رأى عمر، وسمع عثمان، وعليا، وخلقا سواهم. وقيل: إنه سمع من عمر. قال ابن حجر في التقريب: أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، من كبار الثانية، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل. ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر -رضي الله عنه-، وقيل: لأربع مضين منها بالمدينة، وتوفي سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك وهو ابن خمس وسبعين سنة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ٦٦ ترجمة ٢٣٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧ ترجمة ٨٨).

(١٠٧) صحيح: أخرجه أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في أخلاق العلماء (١٢) وفي الأربعين حديثا (١)، الخطيب في الفقيه والمتفقه (٢)، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٥٩) من طريقه به. أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥٨٥٥)، الطبراني في الأوسط (٥٤٢٤) وفي الصغير (٨١٠) من طريق عبد الواحد بن زياد به.

أخرجه أحمد في المسند (٧١٩٤)، ابن ماجه: المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٠)، من طريق معمر به، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه: صحيح.

حَدَّثَنَا ابْنُ صَاعِدٍ[١٠٨] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ زَنْبُورٍ[١٠٩] قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ[١١٠] قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ[١١١] عَنْ أَبِيهِ[١١٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[١١٣].

يقول: فضيلة الشيخ فهمت من كلامك أن جميع البنوك ربوية، فما حكم الاشتراك فيها؟

لا تشترك، يقول علماؤنا: أودع للضرورة، أما المساهمة فيها والاشتراك وإعانتهم فلا يجوز؛ لأن منهم من صرح بالربا ومنهم من احتال عليه.

ما حكم اقتناء القنوات الإسلامية وهي كثيرة، وفيها خير عظيم جدًّا؟ وجزاكم الله خيرًا.

---

(١٠٨) يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب، الإمام الحافظ المجود، محدث العراق، أبو محمد الهاشمي البغدادي، مولى الخليفة أبي جعفر المنصور، رحَّال جوَّال، عالم بالعلل والرجال. ولد سنة ثمان وعشرين ومئتين، وتوفي سنة ثمان عشرة وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (١٦/ ٣٤١ ترجمة ٧٤٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٠١ ترجمة ٢٨٣).

(١٠٩) الشيخ المسند، بقية الأشياخ، محمد بن عمر بن علي بن خلف بن زنبور، أبو بكر البغدادي الوراق. حدث عن: أبي القاسم البغوي، وأبو بكر بن أبي داود، ويحيى بن صاعد، وعمر الدربي، وغيرهم. حدث عنه: أبو القاسم الازهري، وأبو محمد الخلال، وجماعة خاتمتهم أبو نصر الزينبي. قال الخطيب: كان ضعيفا جدا. مات في صفر ست وتسعين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٥٤ ترجمة ٤٠٥)، ميزان الاعتدال: (٣/ ٦٧١ ترجمة ٨٠١٠).

(١١٠) الإمام، الحافظ، الثقة، إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، أبو إسحاق الأنصاري، مولاهم المدني. ولد سنة بضع ومئة. سمع من: عبد الله بن دينار، وأبي طوالة عبد الله بن عبد الرحمن، والعلاء بن عبدالرحمن الحرقي، وحميد الطويل، وعمرو بن أبي عمرو، وغيرهم. قرأ القرآن على شيبة بن نصاح، ثم عرض على نافع الإمام، وسليمان بن مسلم بن جماز، وبرع في الأداء، وتصدر للحديث، والإقراء، ومنهم من يكنيه أبا إبراهيم، وكان مقرئ المدينة في زمانه. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. مات سنة ثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٥٦ ترجمة ٤٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٢٢٨ ترجمة ٤٣).

(١١١) عبد الله بن سعيد بن أبي هند الفزاري، أبو بكر المدني، مولى بني شمخ. قال ابن حجر في التقريب: صدوق ربما وهم. مات سنة سبع وأربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ٣٧ ترجمة ٣٣٠٧)، وميزان الاعتدال (٢/ ٤٢٩ ترجمة ٤٣٥٢).

(١١٢) الحجازي الجليل، سعيد بن أبي هند الفزاري، مولى سمرة بن جندب، وهو والد عبد الله بن سعيد بن أبي هند. روى عن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وغيرهم. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. توفي في أول خلافة هشام بن عبد الملك وله أحاديث صالحة روى له الجماعة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ٩٣ ترجمة ٢٣٧١)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٩ ترجمة ٦).

(١١٣) صحيح: أخرجه الترمذي كتاب العلم باب إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين (٢٦٤٥)، قال الترمذي: حسن صحيح، من طريق إسماعيل بن جعفر به، بدون ذكر أبي هريرة، وقال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

فيها خير وفيها شر ومفاسد كثيرة، فالذي سلمه الله من التلفاز كله هذا على خير عظيم، وقد ينفع عند بعض الناس الذين ليس عندهم إلا الظلمات، وربما جاءه منه بصيص من النور، ولكن فيها حيل وبدع يخرج فيها قصاص، يعلمون الناس بعض الشر، وفيها أغان تسمى إسلامية! والمشكلة فيها تبديل الدين، فهم يعلمون الدين لكن ليس الدين الذي نزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- إلا من رحم الله.

فقديمًا كان الناس إذا سمعوا الموسيقى يعلمون أنها حرام، لكن الآن أصبح الحرام يسمى حلالاً، وقد أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام عن ذلك، فمن عرف الدين الذي نزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- وعرف ما فيه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار على حقيقته، ثم عرف الواقع تمامًا عرف البعد الشديد، وإن كان فيها بعض الخير فالسلامة أعظم، البراءة للدين والاستبراء للدين والعرض أوجب.

الآن -نسأل الله العافية والسلامة- بعض القنوات التي تسمى إسلامية تنشر الصوفية، وبعضهم يأتون بنساء يحدثن الناس!!

يقول السائل: ما الجواب عمن يستدلوا لجواز الحيل بقوله -تعالى- لأيوب -عليه السلام: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ ولاَ تَحْنَثْ﴾[١١٤]؟

نحن سنجمع كل شبهاتهم ونرد عليها، مثل: قصة أيوب وقصة بيع الجمع بالدراهم.. ومن أراد كتابًا فليراجع كتاب بيان الدليل في إبطال نكاح التحليل لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ[١١٥] فإن كل شبهاتهم جمعها ورد عليها.

أحسن الله إليكم، هل نفهم من المقدمة لهذا الكتاب عدم الأخذ عن أبي حنيفة -رحمه الله- وصاحبيه؛ محمد الحسن[١١٦] وأبي يوسف[١١٧]؛ لأنهم من أهل الرأي؟! أفيدونا جزاكم الله خيرًا؟

---

(١١٤) ص: ٤٤.

(١١٥) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيميّة الحرّاني، ثم الدمشقي، الحنبلي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. برع في العلوم الإسلامية والآلية، وقمع الله به أهل الضلال، ونصر به أهل السنة. ولد سنة إحدى وستين وست مئة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة. وله من المؤلفات: الواسطية، ومنهاج السنة. انظر الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩١ ترجمة ٥٣١)، والوافي بالوفيات (٧/ ١٠ ترجمة ٦١٩).

(١١٦) محمد بن الحسن بن فرقد، العلامة، فقيه العراق، أبو عبد الله الشيباني، الكوفي، صاحب أبي حنيفة. ولد بواسط، ونشأ بالكوفة. وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، وتمم الفقه على القاضي أبي يوسف. وروى عن: أبي حنيفة، ومسعر، ومالك بن مغول، والأوزاعي، ومالك

إذا كنتم هنا في هذه البلاد وتفقهت على مذهب الإمام أحمد فاتسغني به عن غيره، لأن المقصود معرفة الحق، وما من شك أن مذهب أهل الحديث هو المذهب الحق إذا قورن بمذهب أهل الرأي، مذهب الحديث هو الأبرأ؛ مذهب مالك والشافعي وأحمد للذمة من مذهب أهل الرأي، وإن كان أهل الرأي قد يصيبون الحق، وقد يكون عندهم بعض الفتاوى عن ابن مسعود وعليٍّ –رضي الله عنهما، لكن أخذهم بالرأي هذا هو الذي أنكر عليهم السلف وترك الآثار، فإذا وفقك الله إلى أهل الحديث وعرفت مذهبهم هو الحق فالزمه، كما قال ابن المبارك وأحمد: هم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية.

قول النبي –صلى الله عليه وسلم: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[118]، ماذا يقصد بقوله: «لتتبعن؟» وهل تستسلم لكونها علمًا من أعلام النبوة أم ماذا؟

لا يوجد شك أن هذا من قدر الله، لكن قدر الله –عزّ وجلّ– من فعله، لكن فعلك أنت لا تتبعه، وإذا جاءت بعض الأقدار التي فيها ذم فلا يقصد بها الاستسلام، وإنما احرص ألا تتبعهم، ولكن بمجموع الأمة ستتبع سنن مَن كان قبلها حذو القذة بالقذة، وتبقى طائفة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، فكن من هذه الطائفة ولا تستلم وإلا القدر ماضٍ «رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[119]، قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾[120].

بن أنس. أخذ عنه الشافعي فأكثر جدا. مات سنة تسع وثمانين ومئة بالري. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤ ترجمة ٤٥)، طبقات الفقهاء للشيرازي (ص: ١٣٥).

(١١٧) الإمام المجتهد، العلامة المحدث، قاضي القضاة أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي. ولد ثلاث عشرة ومئة. لزم أبا حنيفة وتفقه به، وهو أنبل تلامذته، وأعلمهم. تخرج به أئمة كمحمد بن الحسن. وكان أبوه فقيرا، له حانوت ضعيف، فكان أبو حنيفة يتعاهد أبا يوسف بالدراهم، مئة بعد مئة. قال عنه الإمام أحمد: كان أميل إلى المحدثين من أبي حنيفة ومحمد. مات سنة ثنتين وثمانين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥ ترجمة ١٤١)، والجواهر المضية (٣/ ٦١١ ترجمة ١٨٢٥) ط: دار هجر.

(١١٨) متفق عليه أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٥٦،٧٣٢٠)، مسلم كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٢٦٦٩). من حديث أبي سعيد الخدري.

(١١٩) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٢٦٦٩)، الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)، قال الترمذي: حسن صحيح، من حديث ابن عباس. قال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

(١٢٠) التوبة: ٦٩.

يقول: ما حكم قول: علي كرم الله وجهه، دون الصحابة -رضي الله عنهم جميعًا- كما هو موجود في بعض النسخ؟

صحيح، لكن إفراده هذا ليس بجيد، ونبه أهل العلم أن إفراد عليٍّ دون غيره هذا من الغلاة في علي، وإلا فعلي -رضي الله عنه- كرم الله وجهه، وكرم الله وجوه الصحابة جميعًا، لكن لا يفرد بشيء؛ لأن الصديق والفاروق وذو النورين أفضل من عليٍّ -رضي الله عنه- ولعل لوثة دخلت على بعض المؤلفين من هذا الوجه، وبيَّن هذا شيخ الإسلام في الصارم المسلول على شاتم الرسول، وبين كذلك ابن القيم[١٢١] في جلاء الأفهام أن الأنبياء يقال لهم -صلى الله عليهم وسلم أو عليهم السلام، ويقال للصحابة: رضي الله عنهم جميعًا.

يقول: فضيلة الشيخ: ما حكم ترتيل الدرس كما يرتل القرآن؟ وجزاكم الله خيرًا.

لا يرتل مثل القرآن، وإن كان أدركنا علماءنا وكثير منكم أدركهم وما ينكرون هذا، فالمقصود بالدرس الإفهام، كذلك السنة لا ترتل وإنما يرتل القرآن فقط، ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[١٢٢].

وقوله: حديث: «يُوشكُ ألا يبقى منَ الإسلامِ إلا اسمُه»[١٢٣]، ما صحة هذا الحديث؟

هذا الحديث معناه صحيح، قال النبي -عليه الصلاة والسلام: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ اللهَّ اللهَّ»[١٢٤]، وكل الأحاديث تدل على أن آخر الزمان سيندرس الإسلام حتى يذهب مثل وشي الثوب، وهذا الأثر موقوف على عليٍّ -رضي الله عنه[١٢٥]، والآثار إذا كان معناها صحيحًا فلا نتشدد فيها كما نتشدد في الوحي؛ لأن المقصود إنها حكمة سواء قالها علي أو غيره.

---

(١٢١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، شمس الدين أبو عبد الله، الزرعي، ثم الدمشقي. الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف. ابن قيم الجوزية. تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة. وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة، ولهج بالذكر. له تواليف حسان؛ منها: "زاد المعاد"، و"بدائع الفوائد". ولد سنة إحدى وتسعين وست مئة، وتوفي سنة إحدة وخمسين وسبع مئة. انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣ - دار هجر)، والذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠ ترجمة ٦٠٠).

(١٢٢) المزمل: ٤.

(١٢٣) ضعيف جدا: أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (١٧٦٣، ١٧٦٤)، الكامل في الضعفاء (٤/ ٢٢٧)، من حديث علي -رضي الله عنه. قال الألباني في "السلسلة الضعيفة" (١٩٣٦): ضعيف جدا. وفي الباب من حديث ابن عمر ومعاذ.

(١٢٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخرالزمان (١٤٨) من حديث أنس.

(١٢٥)) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (١٧٦٥).

وهذا السائل يسأل عن الطبعة الصحيحة، من أين نشتريها؟ وأين نجدها؟

هناك طبعة واحدة طبعت رسالة علمية في الجامعة الإسلامية، والطبعة المشهورة فيها تصحيفات في المتن، وقد -إن شاء الله- تخرج طبعات مضبوطة المتن ضبطًا جيدًا.

(وَلِهَذَا الْفَقِيهِ الَّذِي أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا صِفَاتٌ وَعَلاَمَاتٌ وَصَفَهَا الْعُلَمَاءُ، وَأَبَانَتْ عَنْ حَقَائِقِهَا الْعُقَلاَءُ، فَمِنْ صِفَاتِهِ وَعَلاَمَاتِهِ مَا حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ شُعَيْبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّاجْيَانُ الْكُفِّيُّ[١٢٦] قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ[١٢٧] قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ[١٢٨] قَالَ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ[١٢٩] عَنْ مُجَاهِدٍ[١٣٠] -رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ: إِنَّمَا الْفَقِيهُ مَنْ يَخَافُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ)[١٣١].

---

(١٢٦) شعيب بن محمد بن عبيد الله بن خالد الراجيان، أبو الفضل الكاتب. سمع عمر بن شبة النميري، وعلي بن حرب الطائي، وسليمان بن الربيع النهدي. روى عنه أبو الحسن الدارقطني، وأبو طاهر المخلِّص، وأبو القاسم بن الثلاج، وكان ثقة. توفي سنة ست وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٤١ ترجمة ٤٧٧٧)، تاريخ الإسلام (٧/ ٥٢٣ ترجمة ٢٨٩).

(١٢٧) الإمام المحدث الثقة الأديب، مسند وقته، علي بن حرب بن محمد بن حرب بن حيان بن مازن بن الغضوبة الطائي، أبو الحسن الموصلي. مولده بأذربيجان في سنة خمس وسبعين ومئة، وكان أبوه يتجر. رأى علي المعافى بن عمران، ونشأ بالموصل. قال ابن حجر في التقريب: صدوق فاضل. مات سنة خمس وستين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٦١ ترجمة ٤٠٣٧)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٥١ ترجمة ٩٣).

(١٢٨) الإمام القدوة الحافظ المقرئ المجود الزاهد، بقية الأعلام، الحسين بن علي بن الوليد الجعفي مولاهم، أبو عبد الله، ويقال: أبو محمد الكوفي. قرأ القرآن على حمزة الزيات، وأتقنه، وأخذ الحروف عن أبي عمرو بن العلاء، وعن أبي بكر بن عياش. صحب الفضيل بن عياض، وغيره. قال يحيى بن معين وغيره: هو ثقة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة عابد. توفي في شهر ذي القعدة سنة ثلاث ومئتين، وله بضع وثمانون سنة. انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٤٤٩ ترجمة ١٣٢٤)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٣٩٧ ترجمة ١٢٩).

(١٢٩) ليث بن أبي سُليم بن زنيم القرشي، أبو بكر، ويقال: أبو بكير الكوفي، مولى عتبة بن أبي سفيان، ويقال: مولى عنبسة بن أبي سفيان، ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان، واسم أبي سليم أيمن، ويقال: أنس، ويقال: زيادة، ويقال: عيسى. قال ابن حجر في التقريب: صدوق، اختلط جدا، ولم يتميز حديثه، فترك. مات سنة ثمان وثلاثين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٧٩ ترجمة ٥٠١٧)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٧٩ ترجمة ٨٤).

(١٣٠) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، الإمام، شيخ القراء والمفسرين. روى عن: ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه. كان يقول: يقول: "عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟". وكان من أعلم التابعين بالتفسير. قال ابن حجر في التقريب: ثقة إمام في التفسير. توفي سنة ثلاث ومئة وقد نيف على الثمانين. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٢٨ ترجمة ٥٧٨٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩ ترجمة ١٧٥).

(١٣١) أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨) من طريق المصنف به.

المفتي الحقيقي غير المزيف الذي ينبغي الفزع إليه عند المشكلات، وسؤاله عن المعضلات، وجعله بين العبد وبين ربه -عزّ وجلّ- ويتبعه فيما يصيب به؛ لأنه كما تقدم أن هذا الاسم قد كثر المتسمون به، ولم يميز الناس بين الصادق من المزيف؛ ولذلك فالشيخ -رحمه الله- حشد آثارًا نافعة يعرف بها حقيقة الفقيه وحقيقة المفتي الذي على وجهه، حتى لا يلتبس بغيره، وهذا الفصل من أنفع ما يكون لطالب العلم، حتى لا يغتر بظواهر الأمور، ولا يعرف بواطنها، وحتى يعلم أن الصحابة والتابعين والسلف في وادٍ في فهم الفقه، والكثير ممن بعدهم في وادٍ آخر، فإن كثيرًا من الناس يقيس الفقه بالكمية المعلوماتية كلما كثرت المعلومات.

والسلف لهم شأن آخر، فهذا قرينة، لكن ليس هي حقيقة الفقه، كما أن بعض الناس يقيس العبادة بالكثرة، والسلف لهم شأن آخر فإنهم يقيسون العبادة بالحسن، كما هو في القرآن، وستأتينا آثار تبين لب الفقه وحقيقة الفقه، ومَن يستحق أن يطلق عليه هذا الاسم.

هذه أول الصفات وأعظم الصفات وأوضحها؛ فالفقيه مَن يخاف الله -عزّ وجلّ- وهذه الصفة التي وصفهم الله بها في القرآن: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[١٣٢]، وسبب وجود هذه الصفة فيهم أن الفقيه الحقيقي يعمل بعلمه، فكلما روى حديثًا أو قرأ آيةً عمل بها، ومعروف أن الخوف من الله من ثمرات الإيمان؛ لأن الإيمان كالشجرة في القلب: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[١٣٣].

فأكل هذه الشجرة هي أعمال قلوب من التوكل على الله ومحبته وخوفه ورجائه والصدق والحياء والإخلاص ونحو ذلك، فكلما زاد الإيمان زادت هذه الثمار حلاوة، كما جاء في الحديث: «لَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ»[١٣٤]، الحديث، فسبب أن الفقيه الحقيقي أنه يخاف الله أنه يعمل؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعة الخالصة الحسنة، وينقص

أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٣٦٦٠١)، أحمد في الزهد (ص٣٧٨) من طريق حسين بن علي به.

(١٣٢) فاطر: ٢٨.

(١٣٣) إبراهيم: ٢٤: ٢٥.

(١٣٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ... (٣٤) بنحوه، من حديث العباس بن عبد المطلب.

بالمعصية، فالفقيه يعمل بعلمه فيزيد إيمانه، فالإيمان يزيد بالخوف من الله -عزّ وجلّ، فلذلك هو أخوف الناس من الله -عزّ وجلّ- هذا الفقيه لهذا السبب.

ولذلك كان العلماء -رحمهم الله- يحاولون ويجاهدون أن يعملوا بكل شيء يروونه، قال الإمام أحمد: ما رويت حديثًا إلا عملت به ولو مرة، إذا لم يكن من الفرائض، حتى روى حديثًا أن النبي -عليه الصلاة والسلام- حجمه أبو طيبة[١٣٥] وأعطاه دينارًا[١٣٦]، والدينار كثير على الحجام، لكن الإمام أحمد من محبته للعمل بالأحاديث تكسب حتى جمع دينارًا ثم أمر الحجام أن يحجمه وأعطاه الدينار! حتى يرسخ الحديث في قلبه؛ لأن هذا من فوائد فالعلم إذا عملت به رسخ في القلب، وهذا أيضًا في علوم الدنيا، فلو أن رجلاً تعلم علوم الحاسب نظريًّا عشر سنين لن يستفد، فإذا طبق استفاد، ولو تعلم قيادة السيارة عشرين سنة نظريًّا لن يستفيد حتى يطبق، فعلوم الدين إذا طبقت يرسخ العلم كما قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[١٣٧]، فهذا يثبت العلم ويثبت العمل: ﴿وَإِذًا لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[١٣٨].

ومن الهداية في الصراط المستقيم أن الإنسان إذا عمل بالعلم ينفتح له أفاق العلم، ويكون أقرب إلى الحقيقة وإلى الصواب، ومع العمل والممارسة ينفتح له وجه الصواب ويعرف ميزان الأمور.

فلو أن رجلاً لم يتعود على صيام التطوع، فسأله رجل: ما أفضل الصيام؟ سيقول له: صيام داود، يصوم يومًا ويفطر يومًا، لكن هذا الرجل لا يطيق، لكن لو جرب فصام يومًا وأفطر يومًا لعرف هذا الأمر على حقيقته، لكن إذا سئل قال كما قال -عليه الصلاة والسلام- لعبد الله بن عمرو بن العاص: «صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ»[١٣٩]،

---

(١٣٥) نافع، أبو طيبة الحجام. مولى الأنصار من بني حارثة وقيل من بني بياضة يقال: اسمه دينار، والصواب: نافع. ثبت ذكره في الصحيحين أنه حجم النبي -صلى الله عليه وسلم- من حديث أنس وجابر وغيرهما. انظر: الاستيعاب (ص: ٧١٩ ترجمة ٢٥٧٥)، والإصابة (٧/ ٢٣٣ ترجمة ١٠١٦٦).

(١٣٦) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب ذكر الحجام (٢١٠٢، ٥٦٩٦)، مسلم: كتاب المساقاة، باب حل أجرة الحجامة (١٥٧٧). من حديث أنس.

(١٣٧) النساء: ٦٦.

(١٣٨) النساء: ٦٧ - ٦٨.

(١٣٩) أخرجه أحمد في المسند (٦٨٣٢) من حديث عبد الله بن عمرو، بلفظه، والحديث متفق عليه.

فلما قال: إني أطيق اكثر، أخذ النبي –صلى الله عليه وسلم- يترفع معه، لكن يبدأ بالأسهل حتى يداوم عليه، ولا يعرف هذا الأمر إلا مَن طبقه، أما النظري المنظر فيختلف؛ لذلك الفقيه يخاف الله.

كما أن الفقيه أكثر الناس معرفة بالله، فهو يعرف الله بأسمائه وصفاته؛ ولذلك يهابه ويخشاه، لذلك قالوا: مَن كان بالله أعرف كان منه أخوف، فكل آية وكل اسم لله وكل صفة من صفات الله يستشعرها على وجه الحقيقة، فتورد في قلبه الهيبة والإجلال والخوف والحياء، هذا هو الفقيه الحقيقي، وأما المزيف فكما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث عبد الله بن عمرو ورواه جمع من الأئمة وهو صحيح، ورواه ابن وضاح[١٤٠]، قال «أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا»[١٤١]، لماذا؟ لأن الناس لا يظنون الخير في الفاجر والفاسق، وإنما يظنون الخير ويحسنون الظن لمن أظهر لهم الدين والعلم.

فأغلب عوام الناس اليوم إذا سألتهم لقالوا: العلماء وطلاب العلم يقومون ليلهم ويصومون نهارهم، وهم دائمًا مع القرآن والسنة، ومع الكتب والوعظ والإرشاد، فهم يظنون في أهل الخير هكذا، لكن إذا كان من أهل الخير من يحسن القول ويسيء الفعل، هذا هو سبب قوله -عليه الصلاة والسلام: «أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا»، ففيهم من إذا سافر للخارج فعل الأفاعيل، وإذا كان في خلوة ينظر في القنوات المحرمة والمواقع المحرمة والكتب المحرمة، وليس له حظ من عبادة، والناس يظنون به أحسن الظن هذا هو المزيف، أما الفقيه الحقيقي فهو الذي يخاف الله.

وأيضًا خوف الله له علامات من ضمنها أنه لا يجترئ على الفتوى، فأجرأكم على الفتيا أجرأكم على النار، فهو يدري أن في الفتوى تقديم رقبته للسكين، فإذا كان الذي ولي القضاء يذبح بغير سكين، فكيف بالفتوى؟! والقضاء قد تخطئ في حق خصم واحد أو مدعٍ واحد، لكن الفتوى قد يضل بسببها أمم من الناس.

---

(١٤٠) محمد بن وضاح بن بَزِيع، أبو عبد الله المرواني، الإمام الحافظ مولى صاحب الأندلس عبدالرحمن بن معاوية الداخل، صاحب كتاب "البدع والنهي عنها" ولد سنة تسع وتسعين ومئة. قال ابن الفرضي: كان عالما بالحديث، بصيرا بطرقه وعلله، كثير الحكاية عن العباد، ورعا، زاهدا، صبورا على نشر العلم، متعففا، نفع الله أهل الأندلس به. ومات سنة سبع وثمانين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٤٥ ترجمة ٢١٩)، وميزان الاعتدال (٤/ ٥٩ ترجمة ٨٢٩٠).

(١٤١) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٦٦٣٣)، ابن وضاح في "البدع" (٢٥٨)، قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٧٥٠) صحيح.

فمن علامات الخوف أنه يتورع يخاف؛ ولذلك كان ابن سيرين من أورع الناس، وأي مسألة في الأبضاع أو الفروج فيها اختلاف لا يفتي فيها إلا إذا كانت المسألة متفقًا عليها، فإنه يخاف أن يحل فرجًا حرامًا أو يحرم فرجًا حلالاً.

والأمر الثاني: كان لا يفتي إلا بأثر، ويجعل ظهره إلى الدليل، فلا يحمل على ظهره شيء؛ ولذلك كان السلف إذا كان بالمسألة أثر تكلموا، وإذا لم يجدوا أثرًا حبسوا؛ لأنه لا يحل له الكلام برأيه إلا إذا عجز عن أثر، وهو يخشى أن يكون مقصرًا في النظر في الأثر.

من علامات من يخاف الله أنه لا يجرئ الناس على الحرام، ولا يفتح لهم أبواب الشبهات ولا الرخص التي لا تحل لهم، ولا يعودهم على الأمن من مكر الله، بل يعلمهم أن الحلال بيِّن والحرام بين، والأمور المشتبهة مَن تركها استبرأ لدينه وعرضه، ويعلم الناس الأصول «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يُرِيبُكَ»[١٤٢].

فصفات من يخشى الله واضحة، ويظهر ذلك في عبادته وديانته؛ ولذلك كان كثير من السلف يقولون: قبل أن نأخذ من الرجل ننظر في صلاته، فإذا كان يحسن صلاته وإلا لا، وقلنا: هو لما سواها أضيع، وننظر في صدقه، وننظر في قوته في أمر الله وعدم مداهنته للناس، وننظر في أشياء تدل على خوفه من الله، فهذه أعمق نقطة وأوضح شيء يوصف به الفقيه.

(وَحَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَاذِيُّ[١٤٣] قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ[١٤٤] قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ عَنْ مُجَاهِدٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- قَالَ: الْفَقِيهُ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ[١٤٥]،

---

(١٤٢) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (١٧٢٧)، الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٨)، قال الترمذي:حسن صحيح، النسائي: كتاب الأشربة، باب الحث على ترك الشبهات (٥٧١١)، من حديث الحسن بن علي. وقال الألباني في "صحيح الترمذي: صحيح.

(١٤٣) إسحاق بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو الحسين الكاذي. قال الخطيب: كان ثقة زاهدا. توفي سنة ست وأربعين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٤٤٢ ترجمة ٣٤٠٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٨٣٢ ترجمة ٢١٠)، وكلاهما صدر عن دار الغرب الإسلامي، بتحقيق د/ بشار عواد معروف.

(١٤٤) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الذهلي الشيباني المروزي، ثم البغدادي. ولد سنة ثلاث عشرة ومئتين، فكان أصغر من أخيه صالح بن أحمد قاضي الأصبهانيين. قال ابن حجر في

حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي سَهْلٍ الْحَرْبِيُّ(١٤٦) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مسْرُوقٍ الطُّوسِيُّ(١٤٧) قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ خَاقَانَ النَّحْوِيُّ(١٤٨)، وَحَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ الأَدَمِيُّ(١٤٩) قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ(١٥٠) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بنُ الْقَاسِمِ(١٥١) قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ خُنَيْسٍ(١٥٢) عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ عَنْ أَبِي

التقريب: ثقة. مات سنة تسعين ومئتين. له كتاب "الرد على الجهمية"، و"السنة". انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨٥ ترجمة ٣١٥٧)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١٦ ترجمة ٢٥٧).

(١٤٥) سبق تخرجه من طريق عبدالله بن أحمد في الزهد به.

(١٤٦) محمد بن أحمد بن أبي سهل، واسم أبي سهل يزيد بن خالد بن يزيد، ويكنى محمد أبا الحسين الحربي. مات سنة تسع وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٧ ترجمة ٢٧٩)، والمنتظم لابن الجوزي (٦/ ٣٢٥ ترجمة ٥٢٨).

(١٤٧) الشيخ، الزاهد، الجليل، الإمام أحمد بن محمد بن مسروق، أبو العباس الطوسي. يروي عن: علي بن الجعد، وخلف بن هشام، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ومن بعدهم. وعنه: أبو بكر الشافعي، وجعفر الخلدي، وحبيب القزاز، ومخلد الباقرحي، وابن عبيد العسكري، وأبو بكر الإسماعيلي، وآخرون. توفي في صفر، سنة ثمان وتسعين ومئتين، وعاش أربعا وثمانين سنة. انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٢٧٩ ترجمة ٢٧٧٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٤ ترجمة ٢٤٣).

(١٤٨) موسى بن خاقان أبو عمران النحوي. أديب نحوي متصدر لإقراء الأدب، وكان جار أبي خيثمة، وله رواية عن مشايخ عدة، وكان ثقة. انظر تاريخ بغداد (١٥/ ٣٧ ترجمة ٦٩٥٨)، وإنباه الرواة (٣/ ٣٣١ ترجمة ٧٧٧).

(١٤٩) الشيخ الثقة المسند، أحمد بن عثمان بن يحيى بن عمرو، البغدادي العطشي الأَدَمِي، ولد سنة خمس وخمسين ومئتين. سمع أحمد بن عبد الجبار العطاردي، وعباس بن محمد الدوري، ومحمد بن ماهان زنبقة، ومحمد بن الحسين الحنيني. حدث عنه: ابن رزقويه، وهلال الحفار، والحاكم، وأبو علي بن شاذان، وطلحة بن الصقر، وعدد كثير. وكان البرقاني يوثقه. ومات سنة تسع وأربعين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٤٩٠ ترجمة ٢٣٤٢)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٦٨ ترجمة ٣٤١).

(١٥٠) الحافظ، الصدوق، العالم، مسند العراق الحارث بن محمد ابن أبي أسامة -واسم أبي أسامة: داهر-، أبو محمد التميمي، مولاهم البغدادي، الخصيب، صاحب "المسند" المشهور، ولد سنة ست وثمانين ومئة. مات سنة اثنتين وثمانين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٨٨ ترجمة ١٨٧)، وميزان الاعتدال: (١/ ٤٤٢ ترجمة ١٦٤٤).

(١٥١) الحافظ الإمام، شيخ المحدثين، هاشم بن القاسم، أبو النضر، الليثي، الخراساني، ثم البغدادي. لقبه: قيصر. من بني ليث بن كنانة، من أنفسهم. ويقال: بل هو تميمي. ولد سنة أربع وثلاثين ومئة. كان أهل بغداد يفخرون به. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. مات سنة سبع ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ١٣٠ ترجمة ٦٥٤٠)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥٤٥ ترجمة ٢١٣).

(١٥٢) بكر بن خنيس الكوفي نزيل بغداد. قال ابن حجر في التقريب: صدوق له أغلاط أفرط فيه ابن حبان. انظر: تهذيب الكمال (٤/ ٢٠٨ ترجمة ٧٤٣)، وتاريخ بغداد (٧/ ٥٧٢ ترجمة ٣٤٧٨).

هُبَيْرَةَ الأَنْصَارِيِّ[١٥٣] عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ كُلِّ الْفَقِيهِ، مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ، وَلَمْ يَدَعِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ)[١٥٤].

علي -رضي الله عنه- يقول: ألا أخبركم بالفقيه كل الفقيه، كأن الصحابة عرفوا أن هذه المسألة ستشكل على الناس، وسيكثر المتسمون بها؛ فلذلك يقول: ألا أخبركم بالفقيه كل الفقيه، ثم ذكر صفات أربع، هي:

الأولى: لا يقنط الناس من رحمة الله، فإذا رأى الناس على توبة واستغفار لا يقنطهم من رحمة الله؛ ولذلك تعرفون قصة قاتل المئة لما قتل تسعة وتسعين وأتى إلى العابد، والعابد ليس بالفقيه، قال: هل من توبة؟ قال: ليس لك توبة، ولما سأل العالم قال: من يحول بينك وبين التوبة؟![١٥٥] فدائمًا نظرة أهل العلم واضحة، وأنهم يسوسون الناس فإذا رأوا الناس مقبلين تائبين، لا يحول بينهم وبين التوبة، ولذلك يروى عن ابن عباس أنه قال: إن القاتل عمدًا ليس له توبة، ومرة قال: له توبة! فلما سئل قال: جاءني واحد قد قتل وواضح من وجهه وعينه الندم والحسرة على هذا الفعل، فجاء يسأل يقول: هل لي توبة؟ قلنا: نعم لك توبة. والثاني جاء وفي عينه الشر، ويريد أن يقتل، فقال لابن عباس: إذا قتلت هل لي من توبة؟ قال: ليس لك توبة، وذكر آية النساء[١٥٦]، فهذا من الفقه أن يعرف كيف يسوس الناس؟ والأولى ألا يقنط الناس من رحمة الله؛ لأنه يعرف أن الله -عزّ وجلّ- يحب من عباده التخلص من حبائل الشيطان والفرار من عدوه إليه؛ فلذلك هذا العالم الفقيه يرغب الناس أن يفروا من عدوهم إلى ربهم ولا يقنطهم؛ ولذلك تجد نظرة القصاص والوعاظ تختلف عن نظرة العلماء، تجد هؤلاء كأنهم يقنطون الناس من رحمة الله! كأنهم يقولون: هلك الناس، وهذا من جهلهم، فالعالم لا يقنط الناس من رحمة الله؛ لأن من أكبر الكبائر الإشراك بالله والقنوط من رحمته، والأمن من مكره، واليأس من روحه، هذه أكبر الكبائر.

الثانية: لا يؤمنهم من مكر الله، فليس العالم فقط الذي يقول للناس دائما أحاديث الرجاء حتى لو كانوا مقيمين على المعاصي، هذا في الحقيقة ليس من باب عدم التقنيط بل هذا من باب تأمينهم من مكر الله، فالعالم إذا

---

(١٥٣) يحيى بن عباد بن شيبان بن مالك الأنصاري السلمي، أبو هبيرة الكوفي. يقال: إنه ابن بنت البراء بن عازب، ويقال: ابن بنت خباب بن الأرت. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٣٩٠ ترجمة ٦٨٥٢)، وميزان الاعتدال (٤/ ٣٨٨ ترجمة ٩٥٥٣).

(١٥٤) أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨) من طريق المصنف به.

أخرجه أبو خيثمة في العلم (١٤٤)، الدرامي في سننه (٢٩٨)، ابن أبي زمنين في "أصول السنة" (١٨٣) من طريق ليث بن أب سليم به.

(١٥٥) أخرجه مسلم كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري.

(١٥٦)) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٦٣ - ٦٨) عن ابن عباس بمعناه.

رأى عندهم إقامة على المعصية مع نِعَم الله المتتالية عليهم، يعلم إنه استدراج؛ فيخوفهم من مكر الله، وأنهم إذا أقاموا على المعصية والنعم تترا عليهم فإن هذا استدراج، فلا تأمنوا مكر الله: ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾(١٥٧).

هكذا العلماء يسوسون الناس إذا رأوا فيهم زيادة خففوا عليهم، وإذا رأوا فيهم ضعفًا حملوهم على الأحسن.

والثالثة: لا يرخص لهم في معاصي الله، لا يقول -كلما سئل عن مسألة: فيها خلاف، وهذه المسألة فيها اختلاف، وهذه المسألة فيها اختلاف، وحجاب الوجه فيه اختلاف، والسفر للخارج فيه اختلاف، فلا يسهل عند الناس معاصي الله -عزّ وجلّ، بل يحملهم على ما يبرئ ذمته وذمم الناس، يقول لهم: اتقوا الله، إن لم تكن هذه حرام فهي شبهة، فاستبرئوا لدينكم وأعراضكم بترك الشبهات، هذا الفقيه الحقيقي الذي يميز بين الحلال البين والحرام البين وبين الشبهات، وكل واحدة لها تصرف.

والرابعة: وهي من أوضح صفات الفقيه الحقيقي، ألا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، إذا رأيت المتفقه ومنسوب العلم يقرأ في كتب الخلق والفكر والثقافة والرأي والكتب المؤلفة، والقرآن آخر ما يفكر فيه، فهذا ما شم رائحة الفقه إطلاقًا، فالفقيه الحقيقي كما كان أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- و-رضي الله عنهم- فأوقاتهم في القرآن؛ لأنهم يعرفون أن فضل كلام الخالق على كلام المخلوق كفضل الخالق على المخلوق، وأنت لن تتقرب إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه، وهو كلامه -سبحانه وتعالى.

فميزة العالم الحقيقي المداومة والعكوف على القرآن تدبرًا وتعلمًا؛ ولذلك ما كان أصحاب محمد يجاوزون خمس آيات وعشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل والإيمان، ويعملوا ثم ينتقلوا إلى غيرها، كما روي عن عمر أنه مكث في البقرة عشر سنين، فهذه من أوضح صفات العالم، أنه دائمًا يحسن النَّزْع من القرآن، ويعرف متى يستشهد، ويحسن تدبر القرآن، ويحسن فهم القرآن؛ ولذلك فالشيخ محمد عبد الوهاب -رحمه الله- أمسك بالقرآن آية آية لا يفسر، ولكن يقول: فيها مسائل، ثم يستنبط استنباطات عظيمة، وشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ علم العلماء كيف ينزعون من القرآن، فكثير من احتجاجات العلماء إلى اليوم الذين علَّمَهم ودلهم عليها هؤلاء العلماء المجددين.

---

(١٥٧) الأعراف: ٩٩.

(حَدَّثَنَا أَبُو شَيْبَةَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ جَعْفَرٍ الْخُوَارَزْمِيُّ[١٥٨] قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الضَّرِيرُ[١٥٩] قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ[١٦٠] قَالَ: أَنْبَأَنَا الْمَسْعُودِيُّ[١٦١] عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[١٦٢] قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْمًا، وَكَفَى بِالاغْتِرَارِ بِاللَّهِ جَهْلاً)[١٦٣].

فالذي يخشى الله فهو العالم، وممن ذكر ذلك ابن رجب[١٦٤] في رسالته النافعة (فضل علم السلف على علم الخلف)، وأوصِي كل طلبة العلم أن يقرؤوا الرسالة، يقول ابن رجب: العلماء ثلاثة؛ الأول: عالم بالله، والثاني: عالم بشرع الله، والثالث: عالم بالله بأسمائه وصفاته ويخافه ويهابه ويستحي منه وعالم بشرع الله.

---

(١٥٨) عبد العزيز بن جعفر بن بكر بن إبراهيم أبو شيبة. يعرف بابن الخوارزمي، وهو أخو أبي الحسين محمد بن جعفر. توفي في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٣ ترجمة ٥٥٦٩)، تاريخ الإسلام (٧/ ٥٢٤ ترجمة ٢٩٦).

(١٥٩) محمد بن إسماعيل بن البختري الحساني، أبو عبد الله الواسطي الضرير. سكن بغداد، وكان خيرا مرضيا صدوقا. قال ابن حجر في التقريب: صدوق. مات سنة ثمان وخمسين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٧١ ترجمة ٥٠٦١)، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٦٤ ترجمة ٤١٠).

(١٦٠) الإمام القدوة، شيخ الإسلام الحافظ يزيد بن هارون بن زاذي، ويقال: بن زاذان بن ثابت السلمي، أبو خالد الواسطي. كان رأسا في العلم والعمل، ثقة حجة، كبير الشأن. قال ابن حجر في التقريب: ثقة متقن عابد. انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ٢٦١ ترجمة ٧٠٦١)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٣٥٨ ترجمة ١١٨).

(١٦١) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود المسعودي الكوفي. ولد في خلافة عبدالملك بن مروان، بعد الثمانين. وحدث عن: عون بن عبد الله بن عتبة، وسعيد بن أبي بردة، وزياد بن علاقة، وعدة. حدث عنه: ابن المبارك، وسفيان بن عيينة، وعبد الرحمن بن مهدي، ويزيد بن هارون، وجعفر بن عون، وأبو المغيرة الخولاني، وطلق بن غنام، وعدة. وكان فقيها كبيرا، ورئيسا نبيلا، يخدم الدولة، وله صورة. قال ابن حجر في التقريب: صدوق اختلط قبل موته، وضابطه أن من سمع منه ببغداد؛ فبعد الاختلاط. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٢١٩ ترجمة ٣٨٧٢)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٩٣ ترجمة ٤٠).

(١٦٢) القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي المسعودي أبو عبد الرحمن الكوفي. غلب أقرانه بخصال ثلاث: طول الصمت، وحسن الخلق، وسخاوة النفس. روى عنه الأعمش ومسعر بن كدام. قال ابن حجر في التقريب: ثقة عابد. مات في إمارة خالد على العراق سنة عشرين ومئة. انظر: ثقات ابن حبان (٥/ ٣٠٣ ترجمة ٤٩٥٧) تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٩٦ ترجمة ٤٧٩٩).

(١٦٣) أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨) من طريق المصنف به.

أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٣٥٦٧٤)، أحمد بن حنبل في الزهد (ص١٥٨) من طريق يزيد بن هارون به، أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٢٧)، البيهقي في الشعب (٧٣٢) من طريق المسعودي به.

فالأخير وهو العالم بالله وبأسمائه وصفاته ويخافه ويهابه ويستحي منه، والعالم بشرع الله، هو أفضل الثلاثة.

والثاني: عالم بالله، ولكنه ليس عالم بشرع الله، هذا أيضًا عالم، لكنه لا يستفتى، وهو العابد الزاهد الورع العالم بالله، لكنه لم يطلب العلم.

والثالث: وهو شر الثلاثة، عالم بشرع الله ولكنه جاهل بالله، فيتجرأ ولا يهاب الله ولا يستحي منه ولا يخاف، فلذلك كفى بخشية الله علمًا، فإذا كنت تخشى الله فأنت عالم، إما أن تكون الصنف الكامل وهو العالم بالله العالم وبشرعه، وإما أن تكون من الصنف الثاني العالم بالله الذي يخافه ويستحي منه، ولكنك لم تترسخ في شريعته ولا يحل لك أن تتكلم فيها.

وكفى بالاغترار بالله جهلاً، فمن اغتر بالله وتجرأ على محارم الله فهو أجهل الناس عند أهل الألباب الأتقياء، وكلام الصحابة يخرج من مشكاة واحدة؛ فكلهم عرفوا حقيقة الأمر.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ الْحَرْبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَسْرُوقٍ[١٦٥] قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حَفْصٍ[١٦٦] قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ[١٦٧] عَنْ عَلْقَمَةَ اللَّيْثِيِّ[١٦٨] قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إِلَى أَبِي مُوسَى

(١٦٤) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، البغدادي، ثم الدمشقي الحنبلي، زين الدين، الشيخ، الحافظ، المحدث، الإمام المشهور. جمع نفسه على التصنيف والإقراء. مع عبادة وتأله وذكر. شرح البخاري، والترمذي، وأربعي النووي. توفي سنة خمس وتسعين وسبع مئة. انظر: إنباء الغمر (١/ ٤٦٠ ترجمة ١٦)، والسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (٢/ ٤٧٤ ترجمة ٢٩٦).

(١٦٥) الشيخ، الزاهد، الجليل، الإمام أحمد بن محمد بن مسروق، أبو العباس الطوسي. يروي عن: علي بن الجعد، وخلف بن هشام، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ومن بعدهم. وعنه: أبو بكر الشافعي، وجعفر الخلدي، وحبيب القزاز، ومخلد الباقرحي، وابن عبيد العسكري، وأبو بكر الإسماعيلي، وآخرون. توفي في صفر، سنة ثمان وتسعين ومئتين، وعاش أربعا وثمانين سنة. انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٢٧٩ ترجمة ٢٧٧٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٤ ترجمة ٢٤٣).

(١٦٦) الإمام الثقة الجليل الفقيه الأوحد، الحسين بن حفص بن الفضل بن يحيى بن ذكوان الهمداني، أبو محمد الأصبهاني. نقل علما كثيرا، وتفقه، وأفتى بمذهب الكوفيين، وكان إليه رياسة أصبهان وقضاؤها وأمر الفتاوى. قال ابن حجر في التقريب: صدوق. مات سنة عشر -أو إحدى عشرة- ومئتين. انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٣٦٩ ترجمة ١٣٠٨)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٥٦ ترجمة ٩٠).

(١٦٧) لم أجد له ترجمة.

(١٦٨) علقمة بن وقاص بن محصن بن كلدة الليثي، العتواري، المدني. أحد العلماء. حدث عن عمر، وعائشة، وبلال بن الحارث المزني، وعمرو بن العاص، وابن عمر وطائفة، له أحاديث ليست بالكثيرة، وثقه ابن سعد، والنسائي. حدث عنه ولداه: عمرو وعبد الله، والزهري، وابن أبي مليكة، ومحمد بن إبراهيم التيمي، وعمرو بن يحيى المازني، وله دار بالمدينة وعقب. قال ابن حجر في التقريب: ثقة

الأَشْعَرِيِّ[169] -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ الْفِقْهَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ السَّرْد وَسعَةِ الْهَذْرِ وَكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَإِنَّمَا الْفِقْهُ هُوَ خَشْيَةُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ)[170].

نحن عكسنا، فعندنا الفقه اليوم كثرة السرد وسعة الهذر وكثرة الرواية، وهذا لا يعني التزهيد في بذل أسباب العلم، فهذا لا يفهم من كلامهم، وإنما ليست هذه علامة الفقيه فقط حتى يضيف إليها خشية الله، فإذا كان مثل الإمام أحمد عنده كثرة الرواية فعنده خوف من الله، هذا هو الكامل، وأما إذا كان علامة الفقيه كمية المعلومات فهذا ليس بفقيه، ولو قورن كثير من علماء الإسلام بأناس من أهل عصرهم ومن بعدهم من حيث كمية المعلومات لكان أولئك أكثر معلومات منهم، ولكن نفع الله بهؤلاء ولم ينفع بهؤلاء؛ لأن العلم له حقيقة.

فعمر يحذر أبا موسى من سوء الفهم وسوء التصور، لأن الناس يتصورون أن الفقيه كثرة معلومات والحفظ، فقال: ليس الفقه كثرة السرد وسعة الهذر وكثرة الروايات فهذه قد تدل على العلم وقد لا تدل عليه، كما أننا نقول: ليست العبادة بكثرتها ولكن بحسنها، وإلا فإن الخوارج لو رآهم الأصحاب لحقروا صلاتهم عند صلاتهم وصيامهم عند صيامهم، ومع ذلك لا يجاوز القرآن تراقيهم، يمرقون من إسلامهم، فلم ينتفعوا بالكثرة؛ لأنها ما وصلت إلى القلب، كذلك كثرة العلم إذا لم تصل إلى القلب ما ينتفع بها، كذلك في الجهاد كما نبه شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ.

فالصحابة كما قال ابن مسعود علمهم عميق ولكن تكلفهم قليل[171]، وكلامهم قليل، ومن بعدهم جاء كثرة هذر وسرد، ولكن الحقائق قليلة، وفي الجهاد كما قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ فقد وفقه الله لحقائق الأمور يقول: لم

ثبت. مات في دولة عبدالملك بن مروان. حديثه في الكتب الستة. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٣١٣ ترجمة ٤٠٢١)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٦١ ترجمة ١٥).

(١٦٩) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري. مشهور باسمه وكنيته معا وأمه ظبية بنت وهب بن عك أسلمت وماتت بالمدينة وكان هو سكن الرملة وحالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة. كان حسن الصوت بالقرآن. شهد فتوح الشام ووفاة أبي عبيدة واستعمله عمر على إمرة البصرة بعد أن عزل المغيرة وهو الذي افتتح الأهواز. مات سنة خمسين. انظر: الاستيعاب (ص: ٨٥١ ترجمة ٣١٣٧)، والإصابة (٤/ ٢١١ ترجمة ٤٩٠١).

(١٧٠) أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨) من طريق المصنف به.

(١٧١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٩٢٦) عن ابن مسعود به.

يمت النبي -عليه الصلاة والسلام- إلا وجزيرة العرب كلها قد دانت بالتوحيد والإسلام، وانتشر دينه، وبلغ فارس والروم، وسمعت به المعمورة، وحصلت كل مقاصد القتال لم تكن فتنة، وكان الدين كله لله، ولم يبذل في سبيل ذلك إلا بضع مئات من القتل من أنفس الكفار؛ لأنه قتالهم عظيم البركة وعظيم الإخلاص وعظيم المتابعة.

قال شيخ الإسلام: ولو استثنينا بني قريظة؛ لأنهم قتل منهم ست مئة، ما بقي إلا أنفس قليلة من الكفار، ومع ذلك حققوا نتائج باهرة، ومن بعدهم حصل قتل كثير ولم تحصل نفس النتائج؛ ولذلك يقول -تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[١٧٢].

فالقتل شديد، لكن الفتنة أشد من القتل، قال: فمن لم يقف بين المسلمين وبين نشر دينهم فمضرة الكفر على نفسه فلا نقتله، كما أننا لا نقتل نساء ولا صبيان، وذكر قواعد عميقة جدًّا في مسألة الجهاد يدل على أن الجهاد لا يحسب بكثرة القتلى ولا بكثرة الجيوش، بل يحسب بالفائدة منه؛ هل حقق مقصود الجهاد ألا تكون شرك فتنة وأن يكون الدين كله لله أم لا؟ فإذا حقق هذا المقصود فإنه مبارك ونافع، وإذا لم يحقق فما الفائدة؟

كذلك فدعوة أصحاب محمد بلغت الآفاق وليس عندهم مثل الوسائل التي عندنا ومثل التكلف الذي عندنا، لكن دعوة مباشرة فيبدؤون بالتوحيد لا يداهنون في دين الله، يوضحون للناس الأمر؛ لذلك بارك الله في دعوتهم، ونحن الآن نقيس كل شيء بالكثرة وبالمظاهر.

(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السِّرِّيِّ الْكُوفِيُّ[١٧٣] بِالْكُوفَةِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى الدِّهْقَانُ[١٧٤] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ[١٧٥] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مِسْعَرٍ[١٧٦] عَنْ أَبِيهِ[١٧٧] قَالَ: قُلْتُ لِسَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ[١٧٨]: مَنْ أَفْقَهُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؟ قَالَ: أَتْقَاهُمْ)[١٧٩].

---

(١٧٢) البقرة: ١٩١.

(١٧٣) أحمد بن محمد بن السري بن يحيى بن السري أبو بكر، التميمي الكوفي. كان موصوفا بالحفظ والمعرفة إلا أنه يترفض، قد ألف في الحط على بعض الصحابة، وهو مع ذلك ليس بثقة في النقل. مات في المحرم سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة، وقيل: سنة إحدى. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٦ ترجمة ٣٤٩)، وميزان الاعتدال (١/ ١٣٩ ترجمة ٥٥٢).

(١٧٤) ذكره ابن ماكولا في الإكمال (١/ ٢٩٦)، فقال: إسحاق بن يحيى بن محمد بن بشير بن سليم الكوفي حدث عن أبي كريب روى عنه أبو بكر بن أبي دارم، وأخوه داود بن يحيى الدهقان.

إذا كان فقيهًا ولا يعمل فليس بتقي ولا بفقيه؛ فأفقه المدينة أتقاهم الذي يعمل بعلمه.

(حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ ثَابِتٍ[١٨٠] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَرْبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَسْرُوقٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ[١٨١] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَشِيرٍ[١٨٢] قَالَ: حَدَّثَنِي مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ[١٨٣] قَالَ: سَمِعْتُ بَعْضَ الْقُرَشِيِّينَ قَالَ: إِنَّ كَمَالَ عِلْمِ الْعَالِمِ ثَلَاثَةٌ: تَرْكُ طَلَبِ الدُّنْيَا بِعِلْمِهِ، وَمَحَبَّةُ الانْتِفَاعِ لِمَنْ يَجْلِسُ إِلَيْهِ، وَرَأْفَتُهُ بِالنَّاسِ).

هذا أيضًا من صفات العالم والفقيه والمفتي والصادق، الأولى أن يترك طلب الدنيا بعلمه، فالدنيا ليست المال فقط، بل هناك أشياء أعظم من المال، مثل: الشهرة والجاه والمنصب والإشارة بالبنان والظهور ونحو ذلك، فهو لا

---

(١٧٥): الحافظ الثقة الإمام، شيخ المحدثين، محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، أبو كريب الكوفي. ولد سنة إحدى وستين ومئة. صنف وجمع وارتحل. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ. مات يوم الثلاثاء لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٢٤٣ ترجمة ٥٥٢٩)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٩٤ ترجمة ٨٦).

(١٧٦) محمد بن مسعر بن كدام. انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٣٥ ترجمة ٨١٦٤).

(١٧٧) مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث، الامام الثبت، شيخ العراق، أبو سلمة الهلالي الكوفي، الأحول، الحافظ، من أسنان شعبة. قال أحمد بن حنبل: الثقة كشعبة ومسعر. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فاضل. توفي في رجب سنة خمس وخمسين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٤٦١ ترجمة ٥٩٠٦)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٦٣ ترجمة ٥٥).

(١٧٨) الإمام الحجة الفقيه، قاضي المدينة سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، أبو إسحاق، ويقال: أبو إبراهيم القرشي، الزهري، المدني. قال ابن حجر في التقريب: ولي قضاء المدينة، وكان ثقة فاضلا عابدا. مات سنة خمس وعشرين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٠/ ٢٤٠ ترجمة ٢١٩٩)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤١٨ ترجمة ١٨٤).

(١٧٩) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٩) من طريق ابن مسعر عن أبيه به.

أخرجه الدرامي في سننه (٢٩٥)، الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (٦٥٩) من طريق مسعر به.

(١٨٠) محمد بن أحمد بن ثابت بن بيان، أبو صالح العكبري. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١١٠ ترجمة ٨٠) ط: دار الغرب الإسلامي.

(١٨١) محمد بن الحسين، أبو جعفر، ويعرف بأبي شيخ البرجلاني. له كتب في الزهد والرقائق. ذكر ابن أبي الدنيا أنه مات سنة ثمان وثلاثين ومئتين. انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٥ ترجمة ٦١٦).

(١٨٢) لم أجده.

(١٨٣) مروان بن محمد بن حسان، الامام القدوة الحافظ، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الرحمن الأسدي الدمشقي الطاطري. ولد سنة سبع وأربعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. قال البخاري: مات سنة عشر ومئتين. عاش ثلاثا وستين سنة، وكان سيدا إماما. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٣٩٨ ترجمة ٥٨٧٦)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥١٠ ترجمة ١٩٦).

يريد بعلمه هذه الأمور، بل يريد أن يبلغ أمر الله -عزّ وجلّ- ولا يستشرف لهذه الأمور، حتى لو ابتلي بها يبارك له فيها وإذا استشرفت له وحصل لك تنزع بركته، ويكون وبالاً عليك، كما في حديث عبد الرحمن بن سمرة[١٨٤] وغيره[١٨٥].

فالعالم الحقيقي والفقيه والمفتي لا يطلب الدنيا بجميع صورها بعلمه، وإنما يطلب وجه الله -عز وجل.

والثانية: يجب أن ينفع مَن يجلس إليه، فإذا كان يجلس إليه أحد يجب أن ينفعه، فلا يخبئ بعض العلم ويقول: هذا العلم لا بد أن ينسب إليَّ، فالشافعي يقول: وددت أن هذا العلم الذي عندي ينتشر في الناس ولم ينسب إليَّ منه حرف واحد[١٨٦]. فهو يريد أن يبث هذا العلم في الناس، ولا يقول: هذه حقوق فكرية عندي، وأخاف إذا نشرت هذا الكلام أن ينسب إلى غيري أو يُسرق، لا، العلم يبث في الناس والبركة من الله -عز وجل.

والثالث: الرأفة بالناس، فيترفق بالطلاب والناس، ويعرف كيف يسوسهم، إذا رأى المقصر يعرف كيف يتعامل معه، وإذا رأى التائب يعرف كيف يتعامل معه، فهذا من حسن علم العالم، ومن كماله.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ[١٨٧] قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ الْعَابِدُ[١٨٨] قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ الْعُمَرِيُّ[١٨٩] قَالَ: قَالَ أَبُو حَازِمٍ[١٩٠]: لاَ يَكُونُ الْعَالِمُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ فِيهِ ثَلاَثُ خِصَالٍ: لاَ يَحْقِرُ مَنْ دُونَهُ فِي الْعِلْمِ، وَلاَ يَحْسُدُ مَنْ فَوْقَهُ، وَلاَ يَأْخُذُ عَلَى عِلْمِهِ دُنْيَا)[١٩١].

---

(١٨٤) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس العبشمي. له صحبة وكان إسلامه يوم الفتح، وشهد غزوة تبوك مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم شهد فتوح العراق، وهو الذي افتتح سجستان وغيرها في خلافة عثمان، ثم نزل البصرة، وروى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعن معاذ بن جبل. روى عنه عبد الله بن عباس، وقتاب بن عمير، وهصان بن كاهل، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن سيرين. مات سنة خمسين. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٤٧ ترجمة ١٥٣٤)، والإصابة (٤/ ٣١٠ ترجمة ٥١٣٧).

(١٨٥) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب الأحكام باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله (٧١٤٦، ٦٦٢٢)، ومسلم كتاب الأيمان باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه.

(١٨٦) أخرجه النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٥٩)، السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٠١).

(١٨٧) عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه، الحافظ الإمام الحجة المعمر، مسند العصر، أبو القاسم البغوي الأصل، البغدادي الدار والمولد. أحد الأئمة الثقات، وصاحب المسائل عن أحمد. ولد سنة سنة أربع عشرة ومئتين، وتوفي سنة سبع عشرة وثلاث مئة. انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٣٠ ترجمة ٢٥٩)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٤٠ ترجمة ٢٤٦).

هذا أبو حازم سلمة بن دينار صاحب سهل بن سعد [١٩٢] الفقيه العابد المدني. يقول: لا يكون العالم عالمًا حتى يكون فيه ثلاث خصال؛ الأولى: لا يحقر من دونه في العلم، بل يقبل الحق من كل أحد، لحديث: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»[١٩٣]، فهو لا يحتقر الناس ولا يتكبر ولا يبغي.

والثانية: لا يحسد من فوقه، فمن كان أعلم منه يفرح؛ لأن الله نشر الكلام على لسانه، ولأن التحاسد لا يكون إلا عند إرادة الدنيا، أما مَن أراد الله -عز وجل-؛ فالله واسع، يسع فضله الجميع؛ ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «ثَلاَثٌ لاَ يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لله»[١٩٤]، فإذا كان عندك إخلاص لا تغل، فالغل إذا كانوا يريدون الدنيا، والدنيا ضيقة، فمن أراد القرب من السلطان أو المنصب أو الجاه أو القناة الفلانية فلا تتسع للجميع؛ فلذلك يتحاسدون، أما لو كان يريدون الله -عز وجل- فلا يتحاسدون.

---

(١٨٨) يحيى بن أيوب الإمام العالم القدوة الحافظ، أبو زكريا البغدادي المقابري العابد. ولد سنة سبع وخمسين ومئة. قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: هو رجل صالح، صاحب سكون ودعة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. توفي في ربيع الأول سنة أربع وثلاثين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٢٣٨ ترجمة ٦٧٩٣)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٨٦ ترجمة ٨٣).

(١٨٩) عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري أبو القاسم المدني. قال أبو حاتم: متروك الحديث. قال ابن حجر في التقريب: متروك. توفي سنة ست وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٢٣٤ ترجمة ٣٨٧٥)، وميزان الاعتدال (٢/ ٥٧١ ترجمة ٤٩٠٠).

(١٩٠) سلمة بن دينار المخزومي، أبو حازم، ويقال له الأعرج، الأفزر التمار القاص الواعظ الزاهد، عالم المدينة وقاضيها وشيخها. فارسي الأصل. كان زاهدًا عابدًا، ولد في أيام ابن الزبير وابن عمر، ومات في خلافة أبي جعفر، بعد سنة أربعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة عابد. (انظر تهذيب الكمال (١١/ ٢٧٢ ترجمة ٢٤٥٠)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٦ ترجمة ٢٤).

(١٩١) أخرجه الدارمي: المقدمة، باب من قال العلم الخشية وتقوى الله (٢٩٢) بنحوه.

(١٩٢) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الساعدي. من مشاهير الصحابة يقال: كان اسمه حزنا، فغيره النبي -صلى الله عليه وسلم- حكاه ابن حبان. مات النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة. مات سنة إحدى وتسعين. انظر: الإصابة (٣/ ٢٠٠ ترجمة ٣٥٣٥)، والاستيعاب (ص: ٣٠٨ ترجمة ١٠٥٠).

(١٩٣) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه (٢٥٦٤)، من حديث أبي هريرة.

(١٩٤) صحيح: أخرجه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٢٦٥٨) من حديث عبد الله بن مسعود، وأخرجه من حديث زيد بن ثابت أحمد (٢١٥٩٠)، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب من بلغ علمًا (٢٣٠)، قال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح. وفي الباب من حديث أبي هريرة وابن عمر وغيرهما.

والثالثة: لا يأخذ على علمه دنيا، وهذه فيها تفصيل؛ فإذا كان يريد أن يعلم العلم ويريد أن يتكسب من معيشته، وقال له أولوا الأمر: نحن نكفيك أمر المعيشة؛ لأن بيت مال المسلمين أحق ما يدفع إليك حقك؛ لأنك تقوم بمصلحة المسلمين العامة، وعلِّم الناس، فهذا لا يضره ذلك إذا نوى بتعليمه وجه الله، ولا يضره حتى لو كان تسبب هذا الشيء في دنيا يصيبها، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- فيما رُوي عنه: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»[١٩٥].

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- يجاهد في سبيل الله، ويحصل له بسبب هذا الغزو سبي وغنائم وفيء، فلا يضره ذلك؛ لأن قصده إعلاء كلمة الله -عز وجل- ثم حصل له دنيا؛ ولذلك ابن رجب[١٩٦] له رسالة في شرح هذا الحديث، وبيَّن فيه هذه المسألة التي تخفى على كثير من طلبة العلم، فيخلطون بين مسألة أخذ الدنيا على العلم وإرادة الدنيا، وكذلك قوله -عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فَلَهُ سَلَبُهُ»[١٩٧]، فيقوم الصحابي ويقتل القتيل، ويكون له سلب القتيل، وهو إنما أراد قتله حتى يكون الخير للإسلام والمسلمين.

فمن أراد الله -عز وجل- ثم حصل له دنيا لا يريدها، وليست هي المراد الأساسي، وإنما المراد نشر العلم؛ فهذا لا يضره -إن شاء الله-، والأحاديث في هذا كثيرة.

أما إذا كان قصده الدنيا ولو انقطعت الدنيا؛ انقطع التعليم وانقطعت الإمامة وانقطع الخير وترك التعليم.. ولذلك يوجد باب في كتاب التوحيد ينبغي الرجوع إليه وقراءة شرحه، وهو باب: إرادة الإنسان بعمله الدنيا، للشيخ محمد بن عبد الوهاب[١٩٨].

---

(١٩٥) صحيح: أخرجه أحمد (٥٦٦٧)، من حديث عبد الله بن عمر، وذكره البخاري تعليقًا : كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الرماح. قال الألباني في صحيح الجامع (٢٨٣١): صحيح.

(١٩٦) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، البغدادي، ثم الدمشقي الحنبلي، زين الدين، الشيخ، الحافظ، المحدث، الإمام المشهور. جمع نفسه على التصنيف والإقراء. مع عبادة وتأله وذكر. شرح البخاري، والترمذي، وأربعي النووي. توفي سنة خمس وتسعين وسبع مئة. انظر: إنباء الغمر (١/ ٤٦٠ ترجمة ١٦)، والسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (٢/ ٤٧٤ ترجمة ٢٩٦).

(١٩٧) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب فرض الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلا فله سلبه (٣١٤٢)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل (١٧٥١)، من حديث أبي قتادة.

(١٩٨) الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي الحنبلي النجدي المصلح الكبير. ولد ونشأ وتعلم في بلدة العيينة، ورحل في طلب العلم إلى نواحي نجد ومكة، حتى صار عالما. أنكر المنكر، وقمع الله به البدع. اتحد مع آل سعود

(حَدَّثَنَا ابْنُ صَاعِدٍ[١٩٩] قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ[٢٠٠] قَالَ: حَدَّثَنَا سَيَّارٌ[٢٠١] عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ[٢٠٢] قَالَ: حَدَّثَنَا مَطَرٌ الْوَرَّاقُ[٢٠٣] قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ[٢٠٤] عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ فِيهَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ؛ يَأْبَى عَلَيْكَ الْفُقَهَاءَ، فَقَالَ الْحَسَنُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مَطَرُ! وَهَلْ رَأَيْتَ بِعَيْنِكَ فَقِيهًا قَطُّ؟! وَقَالَ: أَتَدْرِي مَا الْفَقِيهُ؟! الْفَقِيهُ: الْوَرِعُ الزَّاهِدُ الْمُقِيمُ

في توحيد الجزيرة العربية، وتوحيد الرب -تعالى- حتى أيدهما الله. له "كتاب التوحيد"، و"الأصول الثلاثة" وغيرهما كثير. ولد سنة خمس عشرة بعد المئة والألف، وتوفي سنة ست ومئتين بعد الألف. انظر: إسلامية لا وهابية للدكتور/ ناصر بن عبد الكريم العقل (ص: ٢٣).

(١٩٩) يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب، الإمام الحافظ المجود، محدث العراق، أبو محمد الهاشمي البغدادي، مولى الخليفة أبي جعفر المنصور، رحَّال جوَّال، عالم بالعلل والرجال. ولد سنة ثمان وعشرين ومئتين، وتوفي سنة ثمان عشرة وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (١٦/ ٣٤١ ترجمة ٧٤٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٠١ ترجمة ٢٨٣).

(٢٠٠) الإمام المحدث الثقة، مسند العراق علي بن مسلم بن سعيد، أبو الحسن الطوسي ثم البغدادي. ولد سنة ستين ومئة ومات لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين ومئتين، عن ثلاث وتسعين سنة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ١٣٢ ترجمة ٤١٣٦)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٥ ترجمة ١٤٨).

(٢٠١) سيار بن حاتم العنزي أبو سلمة البصري. كان جماعًا للرقائق. توفي سنة مئتين وقيل سنة تسع وتسعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: صدوق له أوهام. انظر: الجرح والتعديل (٤/ ٢٥٧ ترجمة ١١١١)، وتهذيب الكمال (١٢/ ٣٠٧ ترجمة ٢٦٦٦).

(٢٠٢) جعفر بن سليمان، الشيخ العالم الزاهد، محدث الشيعة، أبو سليمان الضبعي البصري. كان ينزل في بني ضبيعة، فنسب إليهم. مات سنة ثمان وسبعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: صدوق زاهد لكنه كان يتشيع. انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٤٣ ترجمة ٩٤٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٩٧ ترجمة ٣٦).

(٢٠٣) مطر بن طهمان الوراق، أبو رجاء السلمي مولاهم الخراساني، مولى علباء السلمي. سكن البصرة وكان يكتب المصاحف، من الذين عاصروا صغار التابعين. روى له الجماعة إلا البخاري تعليقا. قال أبو زرعة: صالح، روايته عن أنس مرسلة. وقال ابن حجر: صدوق كثير الخطأ، وحديثه عن عطاء ضعيف. مات سنة تسع وعشرين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ٥١ ترجمة ٥٩٩٤)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٥٢ ترجمة ٢٠٢).

(٢٠٤) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر. كانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، وكانت تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو صبي فتسكته بثديها. ويقال: كان مولى جميل بن قطبة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيرا ويدلس. مات سنة عشر ومئة، وهو ابن نحو من ثمان وثمانين سنة. انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٩٥ ترجمة ١٢١٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣ ترجمة ٢٢٣).

عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي لاَ يَسْخَرُ بِمَنْ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَلاَ يَهْزَأُ بِمَنْ فَوْقَهُ، وَلاَ يَأْخُذُ عَلَى عَلْمٍ عَلَّمَهُ اللهُ إِيَّاهُ حُطَامًا)[٢٠٥].

سأل الحسن البصري عن مسألة، فأفتى فيها الحسن بما يعلم، فقال مطر: يأبى عليك الفقهاء، أي: يخالفونك، فقال الحسن: ثكلتك أمك يا مطر! هل رأيت بعينك فقهًا قط؟! أي: فقيهًا كاملاً، وإلا فالفقهاء موجودون، لكن هذا من أساليب العرب في الكلام، فهو يعني: فقيهًا يستحق هذا الاسم عند الإطلاق، ثم قال الحسن: الفقيه هو العالم الذي اكتملت فيه الصفات، وسأله: أتدري من الفقيه؟ الفقيه: الورع الزاهد.

والفرق بين الورع والزهد أن الورع ترك ما يضرك في الآخرة، فكل شيء يضرك في آخرتك تتركه، والزهد أن تترك ما لا ينفعك في الدنيا، فأي شيء لا ينفعك في الدنيا تزهد فيه، وهذه كلها من مقامات الدين، ويوجد كتاب اسمه الورع للمروذي[٢٠٦]، وهو من أحسن الكتب وأكثره عن أحمد بن حنبل، وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل، فالورع: التورع، والورع يرفع الله به العبد، فالإمام أحمد لما ذكروا له بعض قصص عبد الله بن المبارك[٢٠٧] وورعه قال: بهذا وأمثاله رفعه الله، أي: الشهرة التي جاءته من أعظم أسبابها ورعه وأنه يخاف الله -عز وجل-، فمن أعظم صفات الفقيه أنه ليس جريئًا مقتحمًا، بل يدقق في كلامه، ويتورع في بعض المآكل والمشارب والتصرفات.

أما الزاهد، فالدنيا ليست عنده بشيء، فلا يطلبها ولا يسعى في عزها، ولا يجزع من ذلها، ولا ينافس فيها، فهو زاهد في الدنيا وراغب في الآخرة.

---

(٢٠٥) أخرجه أبو الحسين بن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨) من طريق المصنف به. وأخرجه الدارمي:في المقدمة، باب من قال العلم الخشية وتقوى الله (٢٩٤) بنحوه.

(٢٠٦) الإمام، القدوة، الفقيه، المحدث، شيخ الإسلام، أبو بكر، أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي، نزيل بغداد، وصاحب الإمام أحمد وكان من أجل أصحابه، وكان والده خوارزميا، وأمه مروذية. ولد في حدود المئتين. وتوفي في جمادى الأولى سنة خمس وسبعين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ١٣٧ ترجمة ٥٠)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧٣ ترجمة ١٠٣).

(٢٠٧) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي. أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث. له تواليف؛ منها "الزهد". قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه عالم جواد. ولد سنة ثمان عشرة ومئة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٥ ترجمة ٣٥٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨ ترجمة ١١٢).

ومن صفات الفقيه أيضًا أنه مقيم على سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يتتبعها في أمره كله، وأيضًا: لا يسخر بمن أسفل منه، فالعلم لا يورث البغي ولا الكبر ولا الترفع، فبعض المنتسبين إلى العلم إذا رأيته تصرفاته رأيتها تشبه تصرفات الملوك والجبابرة، وهذا ليس من سمت العلماء.

فلذلك لما رأى عمر أبي بن كعب[٢٠٨] يتبعه اثنين أو ثلاثة، قال له: يا أبي هذه فتنة للمتبوع وذلة للتابع[٢٠٩]، أي: فتنة لك وذلة لهم، فلا تجعل أحدًا يلحق بك، وكان السلف إذا مشوا ولحقهم الناس وقفوا، وتفرقوا حتى لا أحد يلحق بهم، وكما قال عليّ: خفق النعال حول الرجال[٢١٠]، فإذا كثر الأتباع وكثر الذين يمشون خلفك فهذا يضرك؛ فلذلك العالم ليس عنده بغي، فسمت العلماء يشبه سمت الأنبياء، حتى في أكله فإذا سقطت اللقمة فإنه يميط ما بها من أذى ويأكلها، ويلعق الصحن، ويتربع على الأرض، ويشبههم في هيئته ولباسه، إذا رأيته عرفت أن هذا يجدد سير الأنبياء، فلا يشبه أهل الدنيا، ولا يهزأ بمن فوقه، ولا يكون عنده تحاسد، ولا يأخذ على علم علمه الله إياه حطامًا.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَاذِيُّ[٢١١] قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ[٢١٢] قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ الْهَيْثَمِ[٢١٣] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَرَةَ[٢١٤] عَنِ الْحَسَنِ -رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ: الْفَقِيهُ: الْمُجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ، الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا، الْمُقِيمُ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[٢١٥].

---

(٢٠٨) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار. سيد القراء، أبو منذر الأنصاري النجاري المدني المقرئ البدري، ويكنى أيضا أبا الطفيل. شهد العقبة، وبدرا، وجمع القرآن في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعرض على النبي -عليه السلام-، وحفظ عنه علما مباركا، وكان رأسا في العلم والعمل -رضي الله عنه-. قال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: « ليهنك العلم أبا المنذر». مات سنة اثنتين وثلاثين. انظر: وأسد الغابة (١/ ١٦٨ ترجمة ٣٤)، والإصابة (١/ ٢٧ ترجمة ٣٢).

(٢٠٩) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٨٤٠، ٣١٢٤٤)، الدارمي: المقدمة، باب من كره الشهرة والمعرفة (٥٢٣) بنحوه.

(٢١٠) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٩٢١)، البيهقي في المدخل (٣٨٩) عن علي بن أبي طالب بنحوه، وأخرجه الدارمي: المقدمة، باب من كره الشهرة والمعرفة (٥٣٥) من قول الحسن البصري بنحوه.

(٢١١) إسحاق بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو الحسين الكاذي. قال الخطيب: كان ثقة زاهدا. توفي سنة ست وأربعين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٤٤٢ ترجمة ٣٤٠٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٨٣٢ ترجمة ٢١٠)، وكلاهما صدر عن دار الغرب الإسلامي، بتحقيق د/ بشار عواد معروف.

من صفات الفقيه أولاً: أنه مجتهد في العبادة، وأصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- أوتوا العمل ومنعوا الجدل؛ لأن الجدل والرأي لا يكونان إلا مع الفراغ، فإذا كان إنسان فارغًا بدأ الجدل والمراء والتنظير، لكن لو عمل انقطعت عنه هذه الأشياء، فالصحابة فتحت لهم أبواب العمل، وأغلقت عنهم أبواب الجدل، فهم أقل الناس جدلاً وأكثر الناس عملاً، قال الله -عز وجل- في وصفهم: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[٢١٦].

فهؤلاء فتحت لهم أبواب العمل، والصديق -رضي الله عنه- لما كشف لنا عن يوم واحد من أيامه بعد صلاة الصبح، فإذا هو قد أطعم مسكينًا، وتبع جنازة، وعاد مريضًا، وقد أصبح صائمًا[٢١٧]، فكلما فتح له باب من الخير لا يتوانى، فهذا هو الفقيه المجتهد في عبادة ربه، ومن صفاتهم: كثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء على المكاره، والرباط في طاعة الله، فهذا أثقل الصبر، أشد أنواع الصبر هو هذا.

ثانيًا: زاهد في الدنيا، فقد يكون عالمًا وعنده دنيا، فبعض الصحابة كانت عنده دنيا، لكنها في يده فلا تضره؛ لأنها ليست في قلبه ولا يستشرف لها، قال -تعالى-: ﴿لاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ولاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[٢١٨].

---

(٢١٢) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الذهلي الشيباني المروزي، ثم البغدادي. ولد سنة ثلاث عشرة ومئتين، فكان أصغر من أخيه صالح بن أحمد قاضي الأصبهانيين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. مات سنة تسعين ومئتين. له كتاب "الرد على الجهمية"، و"السنة". انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨٥ ترجمة ٣١٥٧)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١٦ ترجمة ٢٥٧).

(٢١٣) عمرو بن الهيثم بن قطن بن كعب الزبيدي القطعي، أبو قطن البصري. مات على رأس المئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: الجرح والتعديل (٦/ ٢٦٨ ترجمة ١٤٨٠)، وتهذيب الكمال (٢٢/ ٢٨٠ ترجمة ٤٤٦٦).

(٢١٤) أبو حرة واصل بن عبد الرحمن، البصرى، أخو سعيد بن عبد الرحمن؛ لأنه هو الذي روى عن الحسن البصري، كما لا يوجد من روى عنه عمرو بن الهيثم كنيته أبو حمزة؛ اللهم إلا حمزة بن حبيب، وكنيته أبو عمارة، وهو لم يروِ عن الحسن البصري. وأبو حرة قال فيه ابن حجر في التقريب: صدوق عابد وكان يدلس عن الحسن، مات سنة اثنتين وخمسين مئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٠٦ ترجمة ٦٦٦٥)، والجرح والتعديل (١/ ١٥٥ ترجمة ٨٠).

(٢١٥) أخرجه أبو الحسين بن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨) من طريق المصنف به. لم يسبق تخريجه سبق تخريجه.

(٢١٦) الفتح: ٢٩.

(٢١٧) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر(١٠٢٨)، من حديث أبي هريرة.

(٢١٨) الحديد: ٢٣.

ثالثًا: مقيم على سنة رسول -صلى الله عليه وسلم-، فبهذا يعرف الفقيه، يتتبع السنة وينشرها ويقيم عليها ويصبر عليها.

(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هِلَالٍ[٢١٩] قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ صَاحِبُ الدَّسْتُوَائِيُّ[٢٢٠] عَنْ رَجُلٍ عَنِ الْحَسَنِ -رَحِمَهُ اللهُ- وَقَدْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَفْتَاهُ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ؛ قَالَ فِيهَا الْفُقَهَاءُ غَيْرَ مَا قُلْتَ! قَالَ: فَغَضِبَ الْحَسَنُ وَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَلْ رَأَيْتَ فَقِيهًا قَطُّ؟! قَالَ: فَسَكَتَ الرَّجُلُ، قَالَ: فَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنِ الْفَقِيهُ؟ قَالَ: الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبُ فِي الآخِرَةِ، الْبَصِيرُ فِي دِينِهِ، الْمُجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ هَذَا الْفَقِيهُ[٢٢١]، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ حَمْزَةُ بْنُ الْقَاسِمِ[٢٢٢] خَطِيبُ جَامِعِ الْمَنْصُورِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ[٢٢٣] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ....).

يعني الإمام أحمد.

---

(٢١٩) موسى بن هلال العبدي شيخ بصرى. روى عن هشام بن حسان وروى عنه: أحمد والفضل بن سهل الأعرج وأبو أمية الطرسوسي وآخرون. قال ابن حجر في اللسان: هو صويلح الحديث. انظر: الجرح والتعديل (٨/ ١٦٦ ترجمة ٧٣٥) لسان الميزان (٦/ ١٣٤ ترجمة ٤٦٧).

(٢٢٠) هشام بن حسان الأزدى القردوسي، أبو عبد الله البصري، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب: ثقة، من أثبت الناس في ابن سيرين، وفى روايته عن الحسن وعطاء مقال؛ لأنه قيل: كان يرسل عنهما. توفي سنة سبع وأربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ١٨١ ترجمة ٦٥٧٢)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٥٥ ترجمة ١٥٤).

(٢٢١) أخرجه عبد الله بن أحمد في الزهد (ص٢٧٩) من طريق أبيه به.

(٢٢٢) حمزة بن القاسم بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن على عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو عمر الإمام. ولد في سنة تسع وأربعين ومئتين. كان يتولى الصلاة بالناس في جامع المنصور، من رجال الحديث. من أهل بغداد وبها وفاته سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة. كان ثقة مشهورًا بالصلاح. انظر تاريخ بغداد (٨/ ١٨١ ترجمة ٤٣٠٥)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٧٤ ترجمة ١٩٥).

(٢٢٣) حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد. الإمام، الحافظ، المحدث الصدوق، المصنف، أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد، وتلميذه. ولد قبل المئتين، وتوفي سنة ثلاث وسبعين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣٨٣ ترجمة ١٨٨)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١ ترجمة ٣٨).

(قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ[٢٢٤] قَالَ: سَمِعْتُ أَيُّوبَ[٢٢٥] يَقُولُ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتَ فَقِيهًا قَطُّ يُدَارِي وَلاَ يُمَارِي، إِنَّمَا يُفْشِي حِكْمَتَهُ، فَإِنْ قُبِلَتْ حَمِدَ اللهَ، وَإِنْ رُدَّتْ حَمِدَ اللهَ[٢٢٦]).

هذا أيضًا من صفات الفقيه، لا يداري، أي: ما يداهن، ليست المداراة المحمودة التي هي مداراة الناس، وإنما المقصود بالمداراة هنا المداهنة، فلا يداهن الخاصة: الملوك السلاطين وغيرهم، ولا يداهن العامة: الجمهور والشباب.. وإنما يقول الحق كما هو حق، وإن ثقل على الناس، ويأتي بالحق وإن لم يقبلوه، فلا يبدل ولا يغير ولا يماري ولا يداهن، قال -تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[٢٢٧].

فالفقيه يقول الحق ولو كان مرًّا وثقيلاً، والثاني: أنه لا يماري؛ لأن قول الحق سيؤدي إلى أنهم يأتون ويجادلون ويمارون، والمراء ليس فيه خير وإن كان محقًّا، وإنما عليه أن يبث العلم والسنة، فإن قُبلت حمد الله، وإن رُدت حمد الله، لأنه ليس عليه الهداية، بل عليه البلاغ المبين، فالبلاغ المبين من أوضح صفات الفقيه، إذ ليس عنده كثرة جدل ولا كثرة مداهنة، وأما من كان يبحث عن رضا الناس بسخط الله سواء أكان الناس هنا هم الجمهور أو الشباب أو العامة أو الخاصة، فكما أن علماء السلطان مذمومون، كذلك فعلماء العامة مذمومون.

فالذي ينظر إلى ما يريده الناس ويفتي به هذا على خطر عظيم، فالعالم الحقيقي يقول الحق كما هو يصبر عليه، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام. ولذلك يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: إن دعوة النبي -عليه الصلاة والسلام- سببت له ولأصحابه أشد الأذى؛ فقتلوا وشردوا وطردوا إلى الحبشة، وحصل لهم أبلغ الأذى.

---

(٢٢٤) الإمام الكبير حافظ العصر شيخ الإسلام سفيان بن عيينة بن أبي عمران، واسمه: ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، مولى محمد بن مزاحم أخي الضحاك بن مزاحم، وكان أعور، وقيل: إن أباه عيينة هو المكني أبا عمران ولد سنة سبع ومئة، ومات يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومئة، ودفن بالحجون. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ، إلا أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس لكن عن الثقات. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٧٧ ترجمة ٢٤١٣)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤ ترجمة ١٢٠).

(٢٢٥) الإمام الحافظ، سيد العلماء، أيوب بن أبي تميمة، واسمه كيسان، السختياني، أبو بكر البصري، مولى عنزة، ويقال: مولى جهينة، ومواليه حلفاء بني الحريش، وكان منزله في بني الحريش بالبصرة. ولد سنة ست وستين. ومات سنة إحدى وثلاثين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت حجة. انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٤٥٧ ترجمة ٦٠٧)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٥ ترجمة ٧).

(٢٢٦) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٠) من طريق سفيان عن رجل عن الحسن بنحوه. وأخرجه البيهقي في الشعب (١٦٥٦) بلفظه من قول سفيان.

(٢٢٧) القلم: ٩.

فلو كان هناك طريق آخر غير هذا الطريق وهو رؤوف رحيم بالمؤمنين لاختاره، لكن لا يوجد إلا هذا الطريق، وهو أن تصرح بالحق كما هو حق، ولو جرَّ عليك الأذى، فهذا طريق الأنبياء، وقال أيضًا الشيخ محمد عبد الوهاب: إن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما دعاهم إلى التوحيد على وجه العموم ما عادوه؛ لأنهم إلى الآن لم يسمِّ الأمور بأسمائها، فظنوا أن التوحيد يمكن أن يتعايش مع شركهم؛ ولذلك قالوا: تعبد إلهنا سنة ونعبد إلهك سنة! فظنوا إنه يمكن هذا، فلما أمره الله أن يصدع بالحق صرح بالأسماء، فقال: الشرك الذي أنهى عنه هو ما أنتم عليه وآباؤكم وأصنامكم وأوثانكم وعلماؤكم ودعاتكم... فوضع النقاط على الحروف، عند ذلك هاجت عليه الحرب وقامت سوق العداوة، لكن هذه طريقة الأنبياء كلهم؛ من نوح -عليه السلام- إلى قيام الساعة، قال -تعالى-: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾[٢٢٨].

فلا بد للإنسان أن تكون عنده بصيرة، ويصبر، لا يداري ولا يماري ولا يداهن ولا يجادل، بل يبث السنة ويصبر على الأذى.

(حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْعَلاَءِ[٢٢٩] قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ الْحَكَمِ الْوَرَّاقُ[٢٣٠]، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ[٢٣١]، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ مَعْقِلٍ[٢٣٢] عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ[٢٣٣] -رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ: الْفَقِيهُ: الْعَفِيفُ الْمُتَمَسِّكُ بِالسُّنَّةِ، أُولَئِكَ أَتْبَاعُ الأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ زَمَانٍ).

---

(٢٢٨) يوسف: ١٠٨.

(٢٢٩) الشيخ المحدث الثقة القدوة، أبو عبد الله، أحمد بن علي بن العلاء، الجوزجاني ثم البغدادي. ولد سنة خمس وثلاثين ومئتين. مات في ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة. انظر تاريخ بغداد (٤/ ٣٠٩ ترجمة ٢١٠١)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٤٨ ترجمة ١٠٢).

(٢٣٠) عبد الوهاب بن الحكم -ويقال: ابن عبد الحكم- بن نافع أبو الحسن الوراق. صَحِبَ الإمام أحمد، وسمع منه ومن غيره. كان يسكن الجانب الغربي ببغداد وكان من الصالحين. اختلف في وفاته؛ فقيل: سنة مئتين وخمسين، وقيل: وإحدى وخمسين. دفن بباب البردان ببغداد. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٤٩٧ ترجمة ٣٦٠٢)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٢٣ ترجمة ١٢٣).

(٢٣١) لم أجده.

(٢٣٢) عبد الصمد بن معقل بن منبه بن كامل اليماني، ابن أخي وهب بن منبه وهمام بن منبه، وأخو عقيل بن معقل، وعم إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل. مات سنة ثلاث وثمانين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: صدوق. انظر: الجرح والتعديل (٦/ ٥٠ ترجمة ٢٥٦)، تهذيب الكمال (١٨/ ١٠٤ ترجمة ٣٤٣٣).

(٢٣٣) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار -وهو الأسوار- الإمام العلامة الأخباري القصصي، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني الذماري الصنعاني، أخو همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه. مولده في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين. مات في المحرم توفي

الفقيه -كما قال وهب- العفيف الذي عنده عفة؛ عفة لسان، وعفة عمل، وعفة عن الدنيا، وليس شَرِهًا، فلا يسأل الناس الدنيا ولا يهلع عليها ولا يحرص عليها؛ لأنه عفيف متعفف، عف اللسان، وعف اليد، وعف الفؤاد، ومتمسك بالسنة وصابر عليها، أولئك أتباع الأنبياء في كل زمان، ونسأل الله من فضله.

(حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّاجِيَانِ[٢٣٤] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ فَتْحُ بْنُ شُخْرُفٍ[٢٣٥] قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ خُبَيْقٍ[٢٣٦] عَنْ يُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ[٢٣٧]، قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ[٢٣٨]: الْفَقِيهُ: الَّذِي يَعُدُّ الْبَلاَءَ نِعْمَةً، وَالرَّخَاءَ مُصِيبَةً، وَأَفْقَهُ مِنْهُ مَنْ لَمْ يَجْتَرِئْ عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي شَيْءٍ لِعِلْمِهِ بِهِ)[٢٣٩].

سنة مئة وبضع عشرة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ١٤٠ ترجمة ٦٧٦٧)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٤ ترجمة ٢١٩).

(٢٣٤) عبد الله بن محمد بن الراجيان، أبو محمد. حدث عن الفتح بن شخرف العابد. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ١٢٤ ترجمة ٥٢٥٢)، والأنساب للسمعاني (٣/ ٢١).

(٢٣٥) الفتح بن أبي الفتح شخرف بن داود بن مزاحم، أبو نصر. كان أحد العباد السائحين. سكن بغداد وحدث بها. صَحِبَ الإمام أحمد، وجالسه، وسأله عن أشياء كثيرة. قال عنه الإمام أحمد: ما أخرجت خراسان مثل الفتح بن شخرف. مات يوم الثلاثاء النصف من شوال سنة ثلاث وسبعين ومئتين. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٣٨٤ ترجمة٦٨٤٣)، طبقات الحنابلة (٢/ ٢٠١ ترجمة ٣٦١).

(٢٣٦) عبدُ الله بنُ خُبَيْق بن سلبق الأَنْطَاكيُّ، كنيتُه أبو محمدٍ. صحب يوسفَ ابن أَسْباط. وهو من زُهَّاد الصوفية، والآكلين من الحلال، والوَرعين، في جميع أَحْوالِه. وأصله من الكوفة؛ ولكنه من النَّاقِلَة إلى أنطاكِيَة. وطريقتُه فى التَّصوفِ طريقةُ النُّورِيِّ؛ فإنه صَحِب أصحابه. قال ابن أبي حاتم: أدركته ولم أكتب عنه، كتب إلى أبي بجزء من حديثه. انظر: تكملة الإكمال (٢/ ٣٩٨ ترجمة ١٨٥٣). والجرح والتعديل (٥/ ٤٦ ترجمة ٢١٦).

(٢٣٧) يوسف بن أسباط أبو يعقوب الشيباني أصله من العراق من متقشفي العباد والمتجردين من الزهاد. جالس عائذ بن شريح وابن أبي خالد وذويهما. له مواعظ وحكم. وثقه ابن معين، وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: كان رجلا عابدًا، دفن كتبه، وهو يغلط كثيرًا، وهو رجل صالح، لا يُحتج بحديثه. مات سنة خمس وتسعين ومئة. انظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢١٨ ترجمة ٩١٠)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٦٩ ترجمة ٥٠).

(٢٣٨) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي. من ثور. إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه. ولد سنة سبع وتسعين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، وكان ربما دلس. مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤ ترجمة ٢٤٠٧)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩ ترجمة ٨٢).

(٢٣٩) أخرج شطره الأول ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٤٨/ ٣٦٨٢٠). من طريق ابن يمان عن سفيان، أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٤٢)، البيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٧٧) من طريق عبد الله بن خبيق نا يوسف بن أسباط عن سفيان بنحوه.

قال سفيان الثوري: الفقيه الذي يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة، هذا الفقيه، فلا يتمنى البلاء -نسأل الله العافية. لكنه كما قال عمر بن الخطاب: والله ما أبالي أي المطيتين ركبت؛ إن أركبني الله مطية الغنى فعبادته الشكر والإنفاق وعدم البغي، وإن أركبني الله مطية الفقر فعبادته الصبر وحسن التجمل والرضا عن الله [٢٤٠].

فالفقيه لا يعتقد خيرة لنفسه، بل خيرة الله له أحسن له، فمن الفقه أن يعرف ربه، ويحسن الظن به، سواء مُكِّن أم استضعف، افتقر أم اغتنى، كثر طلابه أم قلوا، يعرف أن اختيار الله أحسن من اختياره؛ ولذلك خرجت الكلمات من الأنبياء وأتباع الأنبياء تدل على عمق هذا الأمر عندهم، كما قال عمر بن عبد العزيز[٢٤١]: أصبحت ما لي سرور إلا في مواطن القدر، فكلما قدر الله عليه شيء يقول: هذه العمل خير، فيحسنون الظن بربهم[٢٤٢]، وقال عبد الله بن مسعود: لأن أقبض على جمرة حتى تبرد في يدي أو أعض عليها أحب إليَّ من أن أقول لشيء قضاه الله ليته لم يكن [٢٤٣]؛ لأن الله -عز وجل- عليم وحكيم، وقال أيضًا: إن الرجل يطلب الإمارة أو الغنى أو المنصب، فينظر الله إليه من فوق سبع سماوات فيقول لملائكته: اصرفوا هذا عن عبدي، إنه لو قدر له لكان هلاكه فيه [٢٤٤].

لكن إذا ابتلي فعليه أن يصبر، ولا يسأل الله البلاء، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- عاد رجلاً من أصحابه قد أصبح كالفرخ من كثرة المصائب، فقال له: «مَا بَالُكَ؟»، قال: إني أقول: اللهم إن كنت معذبي فعذبني في الدنيا،

---

(٢٤٠) ذكره الغزالي في الإحياء (٤/ ٣٤٩)، ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٢٢٠)، أبو طالب المكي في قوت القلوب (٢/ ٦٦) عن ابن مسعود بنحوه.

(٢٤١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، أبو حفص المدني، ثم الدمشقي. أمير المؤمنين، الإمام العادل، والخليفة الصالح، وأمه أم عاصم حفصة، وقيل ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. وَلِيَ الخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك بن مروان، وكان من أئمة العدل، وأهل الدين والفضل، وكانت ولايته تسعة وعشرين شهرا مثل ولاية أبي بكر الصديق. قال ابن حجر في التقريب: عُد مع الخلفاء الراشدين. ولد سنة ثلاث وستين، ومات يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة إحدى ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٤٣٢ ترجمة ٤٢٧٧)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤ ترجمة ٤٨).

(٢٤٢) ذكره ابن رجب اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص٢٤)، وشرح حديث لبيك (ص٥٥)، وجامع العلوم والحكم (ص٤٤٢،١٩٥)، وفتح الباري لابن رجب (١/ ٤٨).، مدارج السالكين (٢/ ٢٢٠)، قوت القلوب لأبي طالب المكي (١/ ٣٣٣) عن عمر بن عبد العزيز بنحوه.

(٢٤٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٩١٧١) والهيثمي في المجمع (١١٨٩٦) وقال: «وفيه المسعودي وقد اختلط» بلفظه.

(٢٤٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٥٢) بنحوه.

قال: «سُبْحَانَ اللهِ إِنَّكَ لاَ تُطِيقُهُ، سَلِ اللهَ الْعَافِيَةَ»(٢٤٥)، فإذا ابتلي فعليه أن يعدها نعمة تمحص عنه، وترفع درجاته، وتقربه من ربه، فهو لا يدري أين الخيرة.

وليعلم أن الرخاء مصيبة؛ لأن فتنة الرخاء أعظم من فتنة الفقر، فكم من رجل ابتلي بالفقر وصبر، وما أقل الذي ابتلي بالغنى وصبر؛ ولذلك فالصبر على النعمة أثقل وأشد من الصبر على المصيبة، قال الله -عز وجل-: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾(٢٤٦)، ولذلك فأنواع الصبر هي: الصبر على الطاعة، والصبر على النعمة، والصبر على المصيبة، وأثقلها: الصبر على الطاعة، ثم الصبر عن المعصية، ثم الصبر على النعمة، وأسهلها الصبر على المصيبة؛ لأن الصبر على المصيبة ليس لك إلا أن تصبر أو تسلوا كما تسلوا البهائم، فالرخاء مصيبة؛ لأنه يحتاج إلى صبر أشد.

كما أن الرخاء يفتر الهمم، فكان الناس قبلنا مع شدة عيشهم يكدون طول النهار، ويقومون في الليل، فأجسامهم وهممهم قوية، والرخاء يضعف القوة، واليوم مع كثرة الرخاء وقلة العمل يندر من يقوم الليل؛ فالرخاء مصيبة إلا مَن يقوم بحقه، ولذلك إذا ذوى الله الدنيا عنك فقد يكون في ذلك الخير لك.

هذا الفقيه الذي يحسن الظن بربه، وأفقه منه مَن لم يجترئ على الله -عز وجل-، الذي يخاف، وترتعد فرائصه، ولا يجترئ على حدود الله، ولا يقول: هذا حلال وهذا حرام، وافعلوا كذا ولا تفعلوا كذا، كان السلف لا يقولون كلمة حرام أو حلال، بل كانوا يقولون: يعجبني، أو أكرهه.. ولا يجترئ، إلا أمر أحله الله في كتابه أو حرمه، ويعلم مَن هو ربه، ويعلم أن الله -عز وجل- كما أنه رحيم، أنه شديد العقاب وجبار ومتكبر، ويلقيهم في النار آلاف السنين ولا يبالي، فيسألونه -جل وعلا- وتقدس ألف سنة: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾(٢٤٧)، ويقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾(٢٤٨)، فيقول: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾(٢٤٩).

---

(٢٤٥) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة الدهاء بتعجيل العقوبة في الدنيا (٢٦٨٨) بمعناه، من حديث أنس.

(٢٤٦) هود: ١٠: ١١.

(٢٤٧) الزخرف: ٧٧.

(٢٤٨) المؤمنون: ١٠٦.

(٢٤٩) المؤمنون: ١٠٨.

فالفقيه الحق يعرف مَن هو ربه؟! ولذلك الرسل يوم القيامة يقولون: «نَفْسِي نَفْسِي»، حتى عيسى ابن مريم يقول: «لاَ أَسْأَلُكَ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدَتْنِي، نَفْسِي نَفْسِي»، فالأنبياء يعرفون مَن ربهم؟! فيقولون: «إِنَّ الْجَبَّارَ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ»(٢٥٠).

فالفقيه لا يجترئ، بل يحسن الأدب، والجاهل هو الذي يجترئ ويتكلم ويرخص، وهو إنما يذبح نفسه.

(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ النَّيْسَابُورِيُّ(٢٥١) قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى(٢٥٢)، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ(٢٥٣)، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْقَاسِمِ(٢٥٤) عَنِ الْحَارِثِ بْنِ يَعْقُوبَ(٢٥٥) قَالَ: يُقَالُ: إِنَّ الْفَقِيهَ كُلَّ الْفَقِيهِ مَنْ فَقِهَ فِي الْقُرْآنِ، وَعَرِفَ مَكِيدَةَ الشَّيْطَانِ)(٢٥٦).

---

(٢٥٠) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله -تعالى-: إنا أرسلنا نوحا إلى قومه (٣٣٤٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤) بنحوه، من حديث أبي هريرة.

(٢٥١) أبو بكر الشافعي الحافظ عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل، أبو بكر النيسابوري الحافظ الفقيه الشافعي، مولى آل عثمان بن عفان. ولد سنة ثمان وثلاثين ومئتين، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ١٢٠ ترجمة ٥٢٤٨)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٦٥ ترجمة ٣٤).

(٢٥٢) يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان، أبو موسى الصدفي المصري الفقيه الشافعي. ولد سنة سبعين ومئة. أحد أصحاب الشافعي. كان ورعًا متين الدين. توفي سنة أربع وستين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٥١٣ ترجمة ٧١٧٨)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٤٨ ترجمة ١٤٤).

(٢٥٣) عبد الله بن وهب بن مسلم، الإمام أبو محمد الفهري المالكي المصري أحد الأعلام. جمع بين الفقه والحديث والعبادة، ولد سنة خمسٍ وعشرين ومئة. له كتب منها: الجامع فى الحديث والموطأ فى الحديث. توفي سنة سبع وتسعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ. (انظر تهذيب الكمال (١٦/ ٢٧٧ ترجمة ٣٦٤٥)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٢٣ ترجمة ٦٣).

(٢٥٤) سليمان بن القاسم بن عبد الرحمن الجمحي الإسكندراني الزاهد. روى عن الحارث بن يعقوب. روى عنه عبد الله بن وهب وسعيد الآدم والقاسم بن كثير بن النعمان الإسكندراني. انظر: الجرح والتعديل (٤/ ١٣٧ ترجمة ٥٩٩)، تهذيب الكمال (٢٣/ ٤١٧ ترجمة ٤٨١٤).

(٢٥٥) الحارث بن يعقوب بن ثعلبة، ويقال ابن عبد الله، الأنصارى مولاهم المصرى، والد عمرو بن الحارث. مولى قيس بن سعد بن عبادة نبيل القدر. كان من العبّاد، إذا انصرف من العشاء الآخرة دخل بيته فيصلّي ركعتين ويجاء بعشائه فيقول: أصلي ركعتين فلا يزال يصلي ركعتين حتى يصبح فيكون عشاؤه سحوره. توفي سنة ثلاثين ومئة قال ابن حجر في التقريب: ثقة عابد. انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٣٠٩ ترجمة ١٠٥٤)، الجرح والتعديل (٣/ ٩٣ ترجمة ٤٣٤).

(٢٥٦) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٨٠٣) من طريق ابن وهب عن سليمان بن القاسم عنه به.

وهذا أيضًا من أوضح صفات الفقيه؛ الأولى: الفقه في القرآن، فإذا كنا نقرأ القرآن بسرعة لا تفتح لنا كنوزه، كذلك إذا هذيناه هذ الشعر، ونثرناه نثر الدقل، إنما يفتح لنا من كنوزه إذا أخذناه على الأيام والليالي: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾[٢٥٧]، أي: الذي لا يجاوز الخمس والعشر آيات حتى يقلبها من كل وجه ويتدبرها، ويعتقد يقينًا أن الخير والهدى كله في القرآن.

فهذا العلم لا يكون إلا لمن تدبر ما فيه من الخير، وفقه فيه، قال عبد الله ابن مسعود: "لا يكون هم أحدكم آخر السورة"[٢٥٨]، فإذا كان همنا آخر السورة مررنا عليها كلها مرور الكرام.

الثانية: عرف مكيدة الشيطان، فكان الصحابة أكثر الخبراء في مكائد الشيطان، ويعرفونها جيدًا، وهذا من الفقه؛ لأن الشيطان يجري مجرى الدم، فيعرفون مكائده؛ ولذلك لهم كلمات كثيرة جدًّا تبين أنهم يمسكون بمكائد الشيطان؛ لأن الشيطان مطمعه من الناس يختلف؛ فله مطمع من العابد أن يزيد له في العبادة حتى يبتدع، وله مطمع من عامة الناس في المعاصي، لكن مطمعته من العالم أن يظفر منه بالزلة؛ حتى يضل بها خلقًا كثيرًا؛ فلذلك يحاول مع العالم أن يفتي بالحيل أو بالرخص التي لا تحل؛ ولذلك فالصحابة يعرفوا مكائد الشيطان.

يقول ابن عباس في آخر حياته: "أظن أن الشيطان لن يفرح اليوم بموت أحد كما يفرح بموتي"، قيل: لم يا أبا العباس؟ قال: "لأنه يحدث البدعة في المشرق والمغرب، فيكتبون إلي؛ فأبين لهم وجهه، فتذهب حيلته، فهو يريد أن يعمل في الناس، وابن عباس وقف له في الطريق، لذلك يتمنى موت ابن عباس.

والآن يوجد في علماء المسلمين مَن يتمنى الشيطان موته، كلما أحدث الشيطان بدعة كتب الناس له وسألوه، فبين وجه الحق للناس، فشياطين الإنس والجن يقولون: متى يفارقنا هذا حتى نضل الناس؟

وهذا ابن مسعود لما وجد على زوجته خيطًا فقطعه، وقال: "إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك". قالت له زينب[٢٥٩]: يا أبا عبد الرحمن، لما تقول هذا، وأنا كنت أختلف إلى فلان اليهودي فيرقيني وكانت عيني تقذف فإذا

---

(٢٥٧) الإسراء: ١٠٦.

(٢٥٨) أخرجه البيهقي (٤٩٠٣) عن ابن مسعود به.

(٢٥٩) زينب بنت معاوية وقيل: بنت أبي معاوية وقيل بنت عبد الله بن معاوية بن عتاب بن الأسعد بن غاضرة بن حطيط بن قسي وهو ثقيف الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود. لها صحبة، وقيل: اسمها رائطة. انظر: أسد الغابة (٦/ ١٣٤ ترجمة ٦٩٦٧)، والإصابة (٧/ ٦٨٠ ترجمة ١١٢٥١).

رقاني اليهودي سكنت؟! أي: هذا أمر مجرب، فكيف تقول هذا؟! فقال عبد الله بن مسعود: "إن الشيطان كان ينخس عينك بيده، واتفق مع اليهودي، فإذا قرأ اليهودي كفَّ عنك، وإذا ترك اليهودي القراءة نخس بيده"[٢٦٠].

فكانوا يعرفون مكائد الشيطان، ولهم قصص كثيرة جدًّا تبين ذلك؛ فأحيانًا يأتيك من الطاعة، وأحيانًا يأتيك من المعصية، وأحيانًا من هوى النفوس، وأحيانًا يكون في التشديد.

(حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ النُّعْمَانِيُّ الْبَاهِلِيُّ[٢٦١]، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ[٢٦٢] قَالَ: حَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ[٢٦٣] قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ[٢٦٤] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ[٢٦٥] -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: لاَ يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَمْقُتَ النَّاسَ فِي ذَاتِ اللهِ، ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَى نَفْسِهِ فَيَكُونَ لَهَا أَشَدَّ مَقْتًا)[٢٦٦].

---

(٢٦٠) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٣٦١٥)، وأبو داود: كتاب الطب، باب في تعليق التمائم (٣٨٨٣)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب تعليق التمائم (٣٥٣٠)، قال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح.

(٢٦١) محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عمرو بن الحصين، أبو جعفر الباهلي النعماني. قدم بغداد، وحدث بها. مات بالنعمانية في ذي الحجة من سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٢٣٣ ترجمة ٨٢٩)، وتاريخ الإسلام (٧/ ٤٦٥ ترجمة ١٠١).

(٢٦٢) عبد الله بن عبد الصمد بن أبي خداش، واسمه علي الموصلي الأسدي، أخو صالح بن عبد الصمد، وابن أخي محمد بن أبي خداش. توفي سنة خمس وخمسين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: صدوق. انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ٢٣٥ ترجمة ٣٣٩٣)، والثقات لابن حبان (٨/ ٣٦٣ ترجمة ١٣٨٨٧).

(٢٦٣) مخلد بن يزيد القرشي أبويحيى، ويقال: أبوخداش ويقال: أبو الجيش، ويقال: أبو الحسن، ويقال: أبو خالد الحراني. مات سنة ثلاث وتسعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: صدوق له أوهام. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٣٤٣ ترجمة ٥٨٤٣)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٣٧ ترجمة ٦٦).

(٢٦٤) عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر بن ناتل، أبو قلابة الجرمي، الإمام، شيخ الإسلام. قدم الشام وانقطع بداريا. أريد على القضاء، فهرب إلى الشام، فمات بعريش مصر، وقد ذهبت يداه ورجلاه، وبصره، وهو مع ذلك حامد شاكر. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فاضل كثير الإرسال. قال يحيى بن معين: مات سنة ست -أو سبع- ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٥٤٢ ترجمة ٣٢٨٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦٨ ترجمة ١٧٨).

(٢٦٥) عويمر بن عامر، ويقال: عويمر بن قيس بن زيد. وقيل: عويمر بن ثعلبة بن عامر بن زيد بن قيس بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، أبو الدرداء الأنصاري، مشهور بكنيته. تأخر إسلامه قليلاً، وكان آخر أهل داره إسلاما. حسن إسلامه وكان فقيهاً عاقلاً حكيما، وآخى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين سلمان الفارسي. توفي سنة اثنتين وثلاثين بدمشق في خلافة عثمان. انظر: الاستيعاب (ص: ٧٩٨ ترجمة ٢٩١٦)، والإصابة (٤/ ٧٤٧ ترجمة ٦١٢١).

(٢٦٦) - أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٨) من طريق مخلد، والصواب فيه مخلد بن الحسين كما في المصدر. وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٧٣) بنحوه، ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٧٢٦) بلفظه، كلاهما من طريق أيوب عن أبي قلابة.

سبحان الله العظيم، هكذا كان الصحابة يقولون: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، فلا يحتقرهم، لكن إذا رأى فضل الله عليهم أعظم من فضله وأنه قد هداهم للإسلام وهداهم للسنة، وبين لهم، وأعطاهم السمع والبصر والنعمة، ثم رأى تقصيرهم في حق الله، ورأى ذنوبهم ومعاصيهم، فإنه يمقتهم في ذات الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أشد لها مقتًا؛ لأن نفسه أكثر تقصيرًا وأكثر شرًّا، وهو أعلم بنفسه من غيره، فلا يضره مدح الناس لأنه أعلم بنفسه؛ ولذلك لما قيل للإمام أحمد: رأينا لك رؤيا، قال: نحن بأنفسنا من رؤاكم.

لأن الصحابة علموا أنهم مهما عملوا من الصالحات، وعامله الله يوم القيامة بعدله لهلك، حتى الصالحات من توفيق الله وإعانته، فلذلك إذا فكر في عظيم نعمة الله عليه وعظيم حق الله عليه، شعر أنه يخاف أشد الخوف، فيقول: أتمنى إذا مت ألا أبعث، وهذا كثير عند الصحابة؛ كما قال أبو الدرداء: "الفقيه كل الفقيه من نظر في حق الله ونعم الله، ثم نظر في عمل الناس، ثم مقتهم في ذات الله"[٢٦٧]، بدون احتقار لهم، لكن يعرف الفرق، ثم رجع إلى نفسه فكان أشد مقتًا لها، وعند ذلك يُقبل على ما ينفعه، ويترك ما لا يعنيه.

(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودٍ السَّرَّاجُ[٢٦٨] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الأَشْعَثِ أَحْمَدُ بْنُ الْمِقْدَامِ الْعِجْلِيُّ[٢٦٩]، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطَّفَاوِيُّ[٢٧٠] قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: إِنَّ مِنْ فِقْهِ الْمَرْءِ مَمْشَاهُ وَمَدْخَلَهُ وَمَجْلِسَهُ[٢٧١]).

---

(٢٦٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٧٣) عن أبي الدرداء بنحوه.

(٢٦٨) محمد بن محمود بن محمد بن المنذر بن ثمامة أبو بكر السراج الأطروش حدث عن: أبي هشام الرفاعي وزياد بن أيوب ومحمد بن عمرو بن أبي مذعور وأبي الأشعث أحمد بن المقدام وعلى بن مسلم الطوسي. روى عنه: القاضي الجراحي وأبو حفص بن شاهين ويوسف بن عمر القواس وأبو القاسم بن الصيدلاني وعبد الله بن عثمان الصفار. انظر: تاريخ بغداد (٤/ ٤٢٥ ترجمة ١٦١٩).

(٢٦٩) أبو الأشعث أحمد بن المقدام بن سليمان بن الأشعث بن أسلم العجلي البصري. أحد الأثبات المسندين، ثقة صاحب حديث. توفي سنة ثلاث وخمسين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: صاحب حديث، طعن أبو داود في مروءته. انظر: تهذيب الكمال (١/ ٤٨٨ ترجمة ١١٠)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢١٩ ترجمة ٧٥).

(٢٧٠) محمد بن عبد الرحمن أبو المنذر الطفاوي البصري. توفي سنة سبع وثمانين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: صدوق يهم. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٣٠٨ ترجمة ٧٨٩)، وتهذيب الكمال (٢٥/ ٦٥٢ ترجمة ٥٤١٣).

(٢٧١) أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٢٣)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٧٢، ١٧٣)، من طريق محمد بن عبد الرحمن الطفاوي به.

وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٦١٠٤)، وابن المبارك في الزهد (٩٨٨) بلفظه من طريق أيوب عن أبي قلابة.

وهذا الأثر روي بوجهين: إن من فقه المرء ممشاه ومدخله ومجلسه، يعني تعرف إنه فقيه من تصرفاته، من ممشاه ومن مدخله ومن مصاحبته ومن مجلسه ومن كلامه. وفي رواية أخرى أنه زاد في آخرها: ممشاه ومدخله ومجلسه مع أهل العلم.

فإذا صاحب أهل العلم عرف أنه فقيه؛ لأنه يريد أن يرتفع، ويريد أن يصل للكمال البشري، أما إذا ترك أهل العلم وصاحب أهل الجهل أو أهل البدع، فاعلم أنه ليس بفقيه.

(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْكَازِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ[٢٧٢] قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلابَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: إِنَّكَ لاَ تَفْقَهُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا، وَإِنَّكَ لاَ تَفْقَهُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَمْقُتَ النَّاسَ فِي جَنْبِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ثُمَّ تَرْجِعَ إِلَى نَفْسِكَ فَتَكُونَ لَهَا أَشَدَّ مَقْتًا مِنْكَ لِلنَّاسِ)[٢٧٣].

فهذا يورثك التواضع، إذا عرفت قدرك الحقيقي، وعرفت حق الله عليك، ونعمة الله عليك، لكن هنا زاد: لن تفقه كل الفقيه حتى ترى للقرآن وجوهًا، فهذا حقيقة الفقه كما في القرآن، فالقرآن جعله الله حمالاً ذا وجوه، وهذا صفة كمال فيه، فالكلام كلما كان أكثر ثراء وغنى بالمعاني كلما كان أكمل، حتى في كلام البشر، أليس أبو الطيب المتنبي[٢٧٤] يفتخر فيقول:

أنام ملء جفوني عن شواردها *** ويسهر الخلق جرَّاها ويختصم

---

(٢٧٢) الإمام العلامة، الحافظ، شيخ الإسلام أبو إسحاق، إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن محدث البصرة حماد بن زيد بن درهم الأزدي، مولاهم البصري، المالكي، قاضي بغداد، وصاحب التصانيف. ولد سنة تسع وتسعين ومئة، وتوفي فجأة في شهر ذي الحجة، سنة اثنتين وثمانين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٩ ترجمة ١٥٧)، والديباج المُذْهَب (١/ ٢٨٢).

(٢٧٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٧٣)، ابن أبي شيبة في مصنفه(٣٥٧٢٦) من طريق أيوب.

(٢٧٤) أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي، وكان يعرف أبوه بعبدان السقا. الشاعر المعروف بالمتنبى. ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاث مئة، ونشأ بالشام، وكان أكثر مقامه بالبادية، وطلب الأدب وعلم العربية، ونظر في أيام الناس، وتعاطى قول الشعر من حداثته، حتى بلغ فيه الغاية. قتل سنة أربع وخمسين وثلاث مئة بالنعمانية غربي بغداد. انظر: تاريخ بغداد (٤/ ١٠٢/ ١٧٥٨)، والكتاب الفذ "المتنبي" للأستاذ/ أبي فهر محمود شاكر.

فهو يفتخر أن كلامه كثير المعاني حمال ذو أوجه، فهذه صفة كمال في البشر، ومعروف أن كل صفة كمال للبشر فالله أولى بها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾[٢٧٥]، وهذه الآية هي لب أصول الفقه، ولب الفقه أن تعرف هذه الآية؛ ولذلك قال سهل بن عبد الله[٢٧٦]: "لا يحل لرجل أن يفتي ويتكلم في الدين حتى يميز بين المحكم والمتشابه" [٢٧٧]، فإذا لم يميز حرم عليه أن يتكلم في الدين، فلا بد أن يكون عندك بصيرة تعرف المحكمات والمتشابهات، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[٢٧٨]، هذا الذي قاله أبو الدرداء أنه له وجوه، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ﴾، أما الصنف الثاني فقال عنهم: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[٢٧٩].

فالمتشابه والمحكم كل من عند الله، لكن هذا يرد إلى هذا، وإذا كان من عند الله فلا يتناقض، وما ضل من ضل إلا بسبب الوجوه المتشابهة في القرآن في الفروع والأصول، فيأتون إلى آيات نزلت في الكفار ويضعونها في المسلمين، فكيف ضل الخوارج؟ كيف كفروا عليًّا؟ قالوا إن الله يقول: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ﴾[٢٨٠]، وقالوا: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٢٨١]، وعليٌّ حكم رجاله هو كافر، فيستدلون بالقرآن كما جاء في الحديث، فهؤلاء يأتون بهذه الآيات وينزلونها في غير منازلها، وأنت لن تفقه كل الفقه حتى تعرف أن القرآن حمال أوجه، وتعرف السنة؛ لأن السنة هي التي تفسر القرآن، وترد المتشابه إلى المحكم، ويكون عندك بصيرة في المحكمات والمتشابهات وإلا ما شممت لفقه رائحة.

---

(٢٧٥)آل عمران: ٧.

(٢٧٦) سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري الصالح المشهور لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع، وكان صاحب كرامات. ولد سنة مئتين، وقيل إحدى ومئتين. سكن البصرة زمانا وعبادان مدة. توفي سنة ثلاث وثمانين وقيل سنة ثلاث وسبعين ومئتين. انظر: حلية الأولياء (١٠ / ١٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠ ترجمة ١٥١).

(٢٧٧) $$$.

(٢٧٨)آل عمران: ٧.

(٢٧٩)آل عمران: ٧.

(٢٨٠) الأنعام: ٥٧.

(٢٨١) المائدة: ٤٤.

ولذلك فالشيخ محمد بن عبد الوهاب لما ألف كشف الشبهات، أول ما علم الناس معرفة المحكم والمتشابه، وإذا شبه عليك علماء الباطل فلا تجادلهم، وقل: أنا عندي محكم لن أطلقه حتى أسأل العلماء عن متشابهكم هذا: ما وجهه؟ أما إذا كنت كلما فتح لك متشابه تبعته هلكت، فانظر كيف أن الصحابي -رضي الله عنه- أتى بالأمر الحقيقي من وجهه.

(حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ[٢٨٢] قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْكُدَيْمِيُّ[٢٨٣] قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ الصَّائِغُ[٢٨٤] قَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ[٢٨٥] يَقُولُ: إِنَّمَا الْفَقِيهُ الَّذِي أَنْطَقَتْهُ الْخَشْيَةُ وَأَسْكَتَتْهُ الْخَشْيَةُ، إِنْ قَالَ قَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَقَفَ عِنْدَهُ، وَرَدَّهُ إِلَى عَالِمِهِ)[٢٨٦].

هذا هو الفقيه الصحيح، قال الفضيل: إنما الفقيه الذي أنطقته الخشية وأسكتته الخشية، إن نطق فهو يخشى الله فلا ينطق إلا بآية ناطقة أو حديث واضح أو أثر أو فتوى، وإن سكت سكت من خشية الله، وإن قال قال بالكتاب والسنة، أي إن قال في الدين، وليس معناه أن كل كلامه في الكتاب والسنة، فهو يتكلم في أمر دنياه كما كان الصحابة يتكلمون في أمر معايشهم وأمر دنياهم، والأثر الماضي عليه الناس، وإذا سكت سكت بالكتاب والسنة، وإذا اشتبه عليه شيء رده إلى عالمه، هذا هو الفقيه، أما الذي لا يبالي -نسأل الله العافية السلامة- هذا ليس بفقيه؛ ولذلك فالصحابة ما كانوا يتكلمون في أمر الدين إلا عند الحاجة.

---

(٢٨٢) محمد بن أحمد بن ثابت بن بيان، أبو صالح العكبري. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١١٠ ترجمة ٨٠).

(٢٨٣) محمد بن يونس بن موسى بن سليمان بن عبيد بن ربيعة بن كديم، القرشي، السلمي، الكديمي، أبو العباس البصري. ولد سنة ثلاث وثمانين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ضعيف. مات في جمادي الآخرة سنة ست وثمانين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٦٦ ترجمة ٥٧٢١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٠٢ ترجمة ١٣٩).

(٢٨٤) لم أجده، ولكن ذكره المزي في جملة الرواة عن الفضيل بن عياض. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٢٨٣).

(٢٨٥) فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي، أبو علي الزاهد، أحد صلحاء الدنيا وعبادها. ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد، وكتب الحديث بالكوفة، وتحول إلى مكة، فسكنها ومات بها في أول سنة سبع وثمانين ومئة في خلافة هارون. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٢٨١ ترجمة ٤٧٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١ ترجمة ١١٤).

(٢٨٦) أخرجه أخرجه أبو الحسين بن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨) من طريق المصنف به.

ابن أبو يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ٢٣١). هذه النسخة غير موافقة للمطبوع وهناك نسخة موافقة

يقول بعض التابعين(٢٨٧): صحبت طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن، فكانوا يتكلمون في أمر مغازيهم مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ويتكلمون في الأمور التي حصلت لهم، أما الدين فلا يتكلمون فيه إلا عندما يُسألون ويبتلون ويعملون، فقلت لهم: إن فلانًا وفلانًا أسلموا بعدكم وحديثهم أكثر منكم، فقالوا: لولا إنا سمعنا النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(٢٨٨)، لحدثنا بأحاديث كثيرة، ولكن خافوا من هذا الحديث.

(قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الله: أَنَا أَقُولُ -وَاللهُ الْمَحْمُودُ: هَذِهِ صِفَةُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ -رَحِمَهُ اللهُ- فَيَا وَيْحَ مَنْ يَدَّعِي مَذْهَبَهُ، وَيَتَحَلَّى بِالْفَتْوَى عَنْهُ، وَهُوَ سلمٌ لِمَنْ حَارَبَهُ، عَوْنٌ لِمَنْ خَالَفَهُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى وَحْشَةِ هَذَا الزَّمَانِ).

يقول أبو عبد الله ابن بطة: هذه صفة أحمد بن حنبل، لا يعني أنها أفضل مما قبلها فأحمد ليس بأفضل من الصحابة والتابعين وتابعيهم، بل هو على طريقتهم، لكن هم أفضل منه، وهذه صفة أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم-، ولكن أحمد من التابعين لهم بإحسان، وجاء به المؤلف لأن من بعده يقولون: نحن حنابلة على مذهب أحمد، ثم يخالفونه في كل شيء، ويفتون بالحيل، وأحمد -كما ستأتينا آثار عنه عظيمة- أبغض شيء وأخبث شيء عنده الحيل، فيقول المؤلف: يا ويح مَن يدعي مذهبه، ويقول: أنا على مذهب أحمد ويتحلى بالفتوى عنه، وهو سلم لمن حاربه، وعونًا لمن خالفه، والله المستعان على وحشة هذا الزمان.

(حَدَّثَنَا أَبُو شَيْبَةَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ بَكْرٍ الْخُوَارَزْمِيُّ(٢٨٩) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الله بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ(٢٩٠) قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ يُونُسَ(٢٩١) عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: إِنَّا لَنُجَالِسُ الرَّجُلَ فَنَرَى أَنَّ بِهِ عِيًّا وَمَا بِهِ عِيٌّ، وَإِنَّهُ لَفَقِيهٌ مُسْلِمٌ، قَالَ وَكِيعٌ: أَسْكَتَتْهُ الْخَشْيَةُ)(٢٩٢).

---

(٢٨٧) السائل هو عبد الله بن الزبير حيث قال: «قلت للزبير إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان» كذا في رواية البخاري الآتي تخريجها.

(٢٨٨) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب أثم من كذب على النبي -صلى الله عليه وسلم- (١٠٧)، من حديث الزبير، وهو متفق عليه من حديث أنس.

(٢٨٩) عبد العزيز بن جعفر بن بكر بن إبراهيم أبو شيبة. يعرف بابن الخوارزمي، وهو أخو أبي الحسين محمد بن جعفر. توفي في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٣ ترجمة ٥٥٦٩)، تاريخ الإسلام (٧/ ٥٢٤ ترجمة ٢٩٦).

(٢٩٠) وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي، بن فرس، بن جمجمة، بن سفيان، بن الحارث، بن عمرو، بن عبيد، بن رؤاس، الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، أحد الأعلام. ولد سنة تسع وعشرين ومئة، مات سنة ثمان وتسعين ومئة بفيد في طريق مكة

تجالسه فتظن أن به عيًّا، والعي هو حبس الكلام، يريد أن يتكلم بأشياء كثيرة، لكن أسكتته الخشية، وهذا قاله ابن عباس لما سمع أن شبابًا من قريش يتجادلون في القدر عند باب بني شيبة، فقال لقائده -وكان قد عمي في آخر حياته-: "قف بي عليهم"، فلما وقف عليهم تكلم بكلام طويل حسن، فكان مما قاله: إن من عباد الله من أسكتته الخشية يظن به عي، وما به عي، ولو تكلموا لكانوا والله هم الفصحاء وهم البلغاء وهم الحكماء، ولكن أسكتتهم خشية الله -عز وجل[٢٩٣]"، ليس هذا هو السكوت عن الباطل، لكن السكوت عن كثرة الكلام، وإذا جاء أمر بالمعروف ونهي عن المنكر لا يسكتون.

(حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْبَزَّارُ[٢٩٤]، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ[٢٩٥] قَالَ: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى[٢٩٦] قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامٌ[٢٩٧] قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى أَبُو مُعَاذٍ[٢٩٨] عَنْ لَيْثٍ[٢٩٩] قَالَ: ..).

منصرفه من الحج. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٦٢ ترجمة ٦٦٩٥)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٠ ترجمة ٤٨).

(٢٩١) يونس بن عبيد بن دينار العبدي، الإمام القدوة، الحجة، أبو عبد الله العبدي، ويقال: أبو عبيد البصري، مولى عبد القيس. مولاهم البصري. من صغار التابعين وفضلائهم. رأى أنس بن مالك. مات سنة تسع وثلاثين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ٥١٧ ترجمة ٧١٨٠)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٨٨ ترجمة ١٢٤).

(٢٩٢) أخرجه وكيع في الزهد (٣١٤) به. أخرجه أبو خيثمة في العلم (٢٠) من طريق سفيان به.

(٢٩٣) أخرجه العدني في الإيمان (٥)، ابن وهب في جامعه (٤٤٣)، الآجري في الشريعة (٥٧، ٥٨)، أبو الشيخ في العظمة (٧٨)، أخبار مكة للفاكهي (١٢١٤)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠/ ٧٩-٨٠) عن ابن عباس به.

(٢٩٤) محمد بن أحمد بن الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله أبو علي المعروف بابن الصواف. قال الخطيب البغدادي: كان ثقة مأمونا من أهل التحرز، ما رأيت مثله في التحرز. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١١٥ ترجمة ٩٠)، وتاريخ الإسلام (٨/ ١٣٨ ترجمة ٣٠٦).

(٢٩٥) محمد بن عثمان بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان أبو جعفر العبسي، الحافظ البارع محدث الكوفة. سكن بغداد وحدث بها. مات في جمادى الأولى سنة سبع وتسعين ومئتين عن نيف وثمانين سنة. انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٤٢ ترجمة ٩٧٩)، وميزان الاعتدال (٣/ ٦٤٢ ترجمة ٧٩٣٤).

(٢٩٦) يوسف بن موسى بن راشد بن بلال القطان، أبو يعقوب الكوفي المعروف بالرازي، ولد سنة نيف وستين ومئتين. سكن الري ثم انتقل إلى بغداد فسكنها، ومات بها سنة ثلاث وخمسين ومئتين، وقيل: إن أصله من الأهواز، ومتجره بالري. قال ابن حجر في التقريب: صدوق. انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ٤٦٥ ترجمة ٧١٥٩)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٢١ ترجمة ٧٦)

(٢٩٧) حكَّام بن سلم الإمام الصادق أبو عبد الرحمن الكناني الرازي. وكان من نبلاء العلماء. وثقه أبو حاتم وغيره. مات سنة تسعين ومئة بمكة، وكان قد قدم للحج، وحدث ببغداد في السنية، توفي قبل يوم عرفة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة له غرائب. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٨٣ ترجمة ١٤٢١)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٨٨ ترجمة ٢٦).

هذا ليث بن أبي سليم.

(.. كُنْتُ أَسْأَلُ الشَّعْبِيَّ[٣٠٠] فَيُعْرِضُ عَنِّي وَيَجْبَهُنِي بِالْمَسْأَلَةِ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ؛ تَزْوُونَ عَنَّا أَحَادِيثَكُمْ وَتَجْبَهُونَنَا بِالْمَسْأَلَةِ! فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ؛ يَا مَعْشَرَ الْفُقَهَاءِ؛ لَسْنَا بِعُلَمَاءَ وَلاَ فُقَهَاءَ، وَلَكِنَّنَا قَوْمٌ سَمِعْنَا حَدِيثًا فَنَحْنُ نُحَدِّثُكُمْ بِمَا سَمِعْنَا، إِنَّمَا الْفَقِيهُ مَنْ وَرِعَ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَالْعَالِمُ مَنْ خَافَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ[٣٠١]).

أي: أنتم تقولون: يا معشر العلماء يا معشر الفقهاء، ونحن لسنا بعلماء ولا فقهاء، مع أن الشعبي أفقه الكوفة في زمانه، وكان في طبقة النخعي، يقول: ولكننا سمعنا حديثًا ونحدثكم بما سمعنا، إنما الفقيه من ورع عن محارم الله -عز وجل-؛ أي: يتورع عنها، والعالم مَن خاف الله -عز وجل- فعمل حتى أورثه الخوف والخشية، فأوضح صفات العالم أن يعمل بعلمه، فإذا عمل بعلمه انقادت له كل هذه المسائل.

(حَدَّثَنَا أَبُو شَيْبَةَ[٣٠٢] قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَّانِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ[٣٠٣] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ[٣٠٤] عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ[٣٠٥] قَالَ: اسْتَفْتَى رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ فَقَالَ: أَيُّهَا الْعَالِمُ أَفْتِنِي، فَقَالَ: إِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ يَخَافُ اللهَ[٣٠٦].

---

(٢٩٨) عيسى بن يزيد الأزرق، أبو معاذ المروزي النحوي. ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال: كان على قضاء سرخس وبها مات. قال ابن حجر في التقريب: مقبول. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٥٨ ترجمة ٤٦٧١)، وثقات ابن حبان (٨/ ٤٩٠ترجمة ١٤٦٠١).

(٢٩٩) ليث بن أبي سليم بن زنيم القرشي، أبو بكر، ويقال: أبو بكير، الكوفي، مولى عتبة بن أبي سفيان، ويقال: مولى عنبسة بن أبي سفيان، ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان، واسم أبي سليم أيمن، ويقال: أنس، ويقال: زيادة، ويقال: عيسى. محدث الكوفة وأحد علمائها الأعيان، على لين في حديثه لنقص حفظه. ولد بعد الستين، ومات سنة ثمان وثلاثين ومئة وقيل: ثلاث وأربعين. قال ابن حجر في التقريب: صدوق كثير الخطأ. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٧٩ ترجمة ٥٠١٧)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٧٩ ترجمة ٨٤).

(٣٠٠) عامر بن شراحيل، وقيل: ابن عبد الله بن شراحيل، وقيل: ابن شراحيل بن عبد، الشعبي، أبو عمرو الكوفي، ابن أخي قيس بن عبد، من شعب همدان، وأمه من سبي جلولاء، ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب، على المشهور. مات سنة ثلاث أو أربع ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨ ترجمة ٢٠٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤ ترجمة ١١٣).

(٣٠١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/ ٣٦٨) من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة به. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣١١) من طريق حكام به.

(٣٠٢) إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، مولاهم، أبو شيبة بن أبي بكر بن أبي شيبة الكوفي. ولد في أيام سفيان بن عيينة. وكان من تلامذة الإمام أحمد في الفقه، مات بالكوفة سنة خمسة وستين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: صدوق. انظر: تهذيب الكمال (٢/ ١٢٨ ترجمة ١٩٧)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٢٨ ترجمة ٤٥).

حَدَّثَنَا أَبُو طَلْحَةَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْفَزَارِيُّ[٣٠٧] قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الأَزْدِيُّ[٣٠٨] قَالَ: حَدَّثَنَا دَاودُ بْنُ الْمُحَبِّرِ[٣٠٩] قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ[٣١٠] عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ[٣١١] عَنْ عَطَاءٍ[٣١٢] وَأَبِي الزُّبَيْرِ[٣١٣] عَنْ جَابِرٍ[٣١٤] -رَضِيَ

(٣٠٣) محمد بن إسماعيل بن البختري الحساني، أبو عبد الله الواسطي الضرير. سكن بغداد، وكان خيرا مرضيا صدوقا. قال ابن حجر في التقريب: صدوق. مات سنة ثمان وخمسين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٧١ ترجمة ٥٠٦١)، وتاريخ الإسلام (٦/ ١٦٤ ترجمة ٤١٠).

(٣٠٤) عبد الله بن نمير الحافظ الثقة الإمام، أبو هشام الهمداني الخارفي مولاهم الكوفي. ولد سنة خمس عشرة ومئة. ومات في ربيع الأول سنة تسع وتسعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة صاحب حديث. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٢٢٥ ترجمة ٣٦١٨)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٤٤ ترجمة ٧٠).

(٣٠٥) مالك بن مغول بن عاصم بن غزية بن خرشة، الإمام، الثقة، المحدث، أبو عبد الله البجلي، الكوفي. كان من سادة العلماء. قال أحمد: ثقة، ثبت في الحديث. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. توفي سنة تسع وخمسين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ١٥٨ ترجمة ٥٧٥٣)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٧٤ ترجمة ٥٦).

(٣٠٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣١١) من طريق عبد الله بن نمير به

(٣٠٧) أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن يزيد بن سعيد أبو طلحة الفزاري البصري المعروف بالوساوسي. سكن بغداد وحدث بها. مات سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٥٧ ترجمة ٢٤٢٣)، وميزان الاعتدال (١/ ١٤٥ ترجمة ٥٦٥).

(٣٠٨) محمد بن يحيى بن عبد الكريم بن نافع الأزدي، أبو عبد الله بن أبى حاتم، البصري، من أهل البصرة. سكن بغداد، وحدث بها. مات سنة اثنتين وخمسين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٤١٤ ترجمة ١٥٤٧)، وتهذيب الكمال (٢٦/ ٦٣٣ ترجمة ٥٦٨٩).

(٣٠٩) داود بن المحبر بن قحذم بن سليمان بن كوان الطائي، ويقال: الثقفي، البكراوي، أبو سليمان البصري، نزيل بغداد، وهو صاحب كتاب "العقل". وقحذم مولى أبي بكرة الثقفي من سبي أصبهان. مات يوم الجمعة، لثمان مضين من جمادى الأولى سنة ست ومئتين ببغداد. قال ابن حجر في التقريب: متروك. انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٣٥٩ ترجمة ٤٤٥٩)، تهذيب الكمال (٨/ ٤٤٣ ترجمة ١٧٨٤).

(٣١٠) عباد بن كثير الثقفي البصري، سكن مكة، وكان متعبدا. توفي بعد سنة أربعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: متروك. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ١٤٥ ترجمة ٣٠٩٠)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٦ ترجمة ٤٦).

(٣١١) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي الأموي، المكي، الإمام العلامة، الحافظ، شيخ الحرم. أول من دون العلم بمكة، وكان من بحور العلم. كان يصوم الدهر سوى ثلاثة أيام من الشهر. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل. مات سنة خمسين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٣٣٨ ترجمة ٣٥٣٩)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥ ترجمة ١٣٨).

(٣١٢) عطاء بن أبي رباح، واسمه أسلم القرشي الفهري، أبو محمد المكي مولى آل أبي خثيم، عامل عمر بن الخطاب على مكة، ويقال: مولى بني جمح. ولد في خلافة عثمان بن عفان، ويقال: إنه من مولدي الجند ونشأ بمكة. مات سنة أربع عشرة ومئة عن نحو مئة سنة. قال ابن

اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ تَلاَ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[٣١٥]، فَقَالَ: الْعَالِمُ الَّذِي عَقِلَ عَنِ اللهِ أَمْرِهِ فَعَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ وَاجْتَنَبَ سَخَطَهُ)[٣١٦].

هكذا فهموا معنى العالم، وهذه الآية: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾، شرف لأهل العلم، فالله -عز وجل- ضرب الأمثال للناس كلهم، لكن ما يعقلها إلا العالمون، قال جابر: "العالم الذي عقل عن الله أمره"، يعني أصاب حقيقة الأمر وفقهه، فهو يعقل عن الله أمره، ثم عمل بطاعة الله واجتب سخطه، فلا يذهب وقته كله في التنظير والتفكير، بل يعمل، فإذا عمل انفتحت له أبواب الخير، وأغلقت عنه أبواب الجدل والمراء وما لا ينفع، يقول بعض السلف: إذا قرأت مثلاً في القرآن ولم أعرف وجهه ضاق صدري، لأن الله يقول: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[٣١٧]، فإذا لم عرفت المثل عرفت أني لست من هؤلاء.

(حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الْعَلاَءِ الْكُوفِيُّ[٣١٨] قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ يَزِيدَ الْبَحْرَانِيُّ[٣١٩] قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ[٣٢٠] قَالَ: حَدَّثَنِي قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ[٣٢١] عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ[٣٢٢] قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: لَيْسَ الْعِلْمُ لِلْمَرْءِ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ)[٣٢٣].

حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال، وقيل: إنه تغير بأخرة، ولم يكثر ذلك منه. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٦٩ ترجمة ٣٩٣٣)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٧٨ ترجمة ٢٩).

(٣١٣) محمد بن مسلم بن تدرس الإمام الحافظ الصدوق، أبو الزبير القرشي الأسدي المكي، مولى حكيم بن حزام. توفي سنة ست وعشرين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: صدوق، إلا أنه يدلس. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٤٠٢ ترجمة ٥٦٠٢)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨٠ ترجمة ١٧٤).

(٣١٤) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد، أحد المكثرين عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة. كان آخر أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موتا بالمدينة سنة ثلاث وسبعين ويقال إنه عاش أربعًا وتسعين سنة. (انظر أسد الغابة (١/ ٣٠٧ ترجمة ٦٤٧) الإصابة (١/ ٤٣٤ ترجمة ١٠٢٧).

(٣١٥) العنكبوت: ٤٣.

(٣١٦) موضوع: أخرجه الحارث في مسنده (البغية - ٨٣٧) من طريق داود بن المحبر به. قال ابن حجر في المطالب (٣٣٨٤): هذه الأحاديث من كتاب العقل لداود بن المحبر وكلها موضوعة.

(٣١٧) العنكبوت: ٤٣.

(٣١٨) لم أجده.

ليس العلم بكثرة الرواية، هذه علامة للعلم، كما أن العبادة ليست بكثرة الصلاة والصيام، ولكن العلم الخشية، فانظر في النفع: هل انتفعت أو لا؟ لأن العلم نور يقذفه الله في القلب؛ ولذلك قال الله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٣٢٤]، فهو يأتي من عند الله، كما قال الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي *** فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال: اعلم بأن العلم نور *** ونور الله لا يؤتاه عاصي

فالعلم فرقان ونور يقذف الله في القلب، ليميز به العبد، وهذا لا يكون إلا بعمل وصلاح نية وإقامة على السنة، وتورع عن أشياء تعملها حتى يقذف في قلبك هذا النور، أما أن تصل إلى النور بنفسك فلا تستطيع حتى يكون الله هو الذي يقذفه في قلبك.

فخلاصة هذه الآثار -وسيأتي إن شاء لها بقية- هو أن نعرف حقيقة الفقيه؛ حتى لا نغتر بالأسماء، فنعرف مَن هو الفقيه الحقيقي؟

---

(٣١٩) العباس بن يزيد بن أبى حبيب، أبو الفضل البحراني، يلقب عباسويه، ويعرف بالعبدي. كان قاضي همدان. كان حافظاً ثقة، قدم بغداد وحدث بها. مات سنة ثمان وخمسين ومئتين قال ابن حجر في التقريب: صدوق يخطئ. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٢٦١ ترجمة ٣١٤٦)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ١٠١ ترجمة ٣١).

(٣٢٠) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان، بن عبد الرحمن، الإمام الناقد المجود، سيد الحفاظ، أبو سعيد العنبري، وقيل: الأزدي، مولاهم البصري اللؤلؤي. توفي بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومئة، وهو ابن ثلاث وستين سنة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت حافظ. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٤٣٠ ترجمة ٣٩٦٩)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٢ ترجمة ٥٦).

(٣٢١) الحافظ، الحجة قرة بن خالد أبو خالد، ويقال: أبو محمد السدوسي البصري. مات سنة أربع وخمسين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ضابط. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٥٧٧ ترجمة ٤٨٧٠)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٩٥ ترجمة ٤١).

(٣٢٢) الإمام القدوة العابد عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أبو عبد الله الهذلي، الكوفي، أخو فقيه المدينة عبيد الله. توفي سنة بضع عشرة ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٥٣ ترجمة ٤٥٥٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٠٣ ترجمة ٣٧).

(٣٢٣) أخرجه أحمد في الزهد (١٥٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدي به، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٣١)، ابن عبد البر في جامع بيان االعلم وفضله (٢/ ٥٨/ ٧٢٨) من طريق قرة به.

(٣٢٤) طه: ١١٤.

يقول السائل: أحسن الله إليكم، نرى يا فضيلة الشيخ هذه السنوات الأخيرة تهافت الكثير من الناس؛ صالحهم وطالحهم، غنيهم وفقيرهم، عالمهم وجاهلهم على الأسهم بشكل ملفت للنظر ومؤذن بالخطر، حتى أصبحت هذه الفتنة بالأسهم أكبر همهم؛ فيكتتب اليوم ويبيع غدًا، ويشتري هذه الأسهم ويبيع هذه، فلا تتحقق شروط البيع المعتبرة عند علماء الإسلام على فرض كونها حلالاً، فما توجهكم لمن ابتلي بهذه الفتنة؟

التوجيه كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ»[٣٢٥]، هذه القاعدة يعمل بها الأعرابي في الصحراء، وينجو يتركها العالم الذي في البلد ويهلك، فالحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهة، وعلماؤنا اليوم الراسخون في العلم يقولون: ليس في الأسهم اليوم حلال، فهي تدور بين الحرام البين وبين الشبهة الحلال البين؛ لأن الشركات كلها لا بد فيها من قرض، فإما قرض ربوي أو محتال على الربا، ثم يدخلون في مداخل لا تحل لهم، ثم نية المشتري للأسهم قد يكون نية المضاربة، ظلمات كثيرة، فمَن استبرأ لدينه وعرضه عليه أن يتقي الله، ومَن أراد أن يخلط ويقتحم فله ما أراد لنفسه، والجزاء أمامه، فالإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس[٣٢٦].

هذه القواعد التي غفل الناس عنها، هذه القواعد المنجية: «الْحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مَشْتَبِهَةٌ»[٣٢٧].

---

(٣٢٥) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (١٧٢٧)، والترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه (٢٥١٨) والنسائي: كتاب الأشربة، باب الحث على ترك الشبهات (٥٧١١)، من حديث الحسن بن علي، قال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح. وفي الباب عن أنس.

(٣٢٦) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم (٢٥٥٣)، من حديث النواس بن سمعان.

(٣٢٧) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٥٩٩)، من حديث النعمان بن بشير.

يقول: فضيلة الشيخ، ما واجبنا تجاه ما نراه أو نسمعه من المنكرات التي فشت وعمت وطمت: هل نكتفي بالحوقلة والتأسي ولزوم الصمت بدعوى درء المفسدة والبعد عن المشاكل وأن هناك مَن يكفينا من العلماء والجهات المختصة؟! أرشدونا بارك الله فيكم.

الواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على جهتين، الجهة الأولى: إذا كانت المعاصي غُلِّفت باسم الدين فهذه أعظم إنكارًا؛ لأن هذا -مع أنها معصية- تبديل للدين، فإذا غلف الغناء أو الربا أو الزنا فهذا أعظم إنكارًا، حتى لو أتى به من يظهر منهم الخير والصلاح.

والجهة الثاني: إذا كانت المعاصي ظاهرة ولم تغلف باسم الدين، فيجب الصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله قدر الاستطاعة بالحكمة، ثم إذا رأيت هوى متبعًا في مجلس أو في بلدة أو في قرية أو في دولة، إذا رأيت هوى متبعًا، ودنيا مؤثرةً، وشحًّا مطاعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر الناس، ﴿لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[٣٢٨][٣٢٩].

فابذل كل ما تستطيع، وما خرج عن طاقتك لا تحاسب عليه -إن شاء الله-، والواجب على جميع الناس، وخاصة أهل العلم المصابرة والجهاد في هذا الأمر،والعلماء عليهم أن يردوا على هذا ويبينوا خطأ هذا؛ لأن واجبهم أعظم.

---

(٣٢٨) المائدة: ١٠٥.

(٣٢٩) ضعيف: أخرجه أبو داود: كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي (٤٣٤١)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة (٣٠٥٨)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب قوله -تعالى-: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم (٤٠١٤)، من حديث أبي ثعلبة الخشني، قال الألباني في ضعيف أبي داود: ضعيف.

يقول: شيخنا، ما واجبنا تجاه ما نسمع من فتاوى غريبة تخالف جمهور علماء هذه البلاد، بدعوى أنها صادرة من عالم أو مجتهد؟

أول شيء نستفيده من هذا الكتاب أن نعرف منه: من العالم والمجتهد؟! الآن قد يطلق حتى على الذي ما يطبق السنة في ظاهره، ولا يظهر منه لا ديانة ولا تقوى، ويسمى مجتهدًا وعالمًا! بل الآن بعض المجامع الفقهية فيها الرافضي والإباضي والصوفي، ويقال: هذا مجمع فقه، والصادر عنه يجب طاعته، وهذا هيئة علمية، وتجدها مخلطة مِن كل مَن هبَّ ودبَّ، فيجب أن نعرف مَن هو العالم؟! ثم إذا زل العالم كما قال عمر بن الخطاب: "يهدم الإسلام ثلاث؛ أولها: زلة العالم..."[٣٣٠]، فهذه تهدم الإسلام، وإذا كان العالم تقيًّا فإنه يقال: هذه زلة ولا أحد يتبعه فيها.

(٣٣٠) أخرجه الدارمي: كتاب المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي (٢١٤)، الفريابي في صفة النفاق (٣٠) عن عمر به.

يقول: فضيلة الشيخ، الفقه هل يعتبر منحة من الله للعبد أم أنه خصلة مكتسبة يحصل عليها من بذل جهده في اتباع هدي المصطفى؟

كلا الأمرين، الله -عز وجل- قال: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[٣٣١]، فالله هو الذي فهمه، ثم قال: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٣٣٢]، فهذا هو داود عليه السلام.

وابن القيم[٣٣٣] في أول مدارج السالكين في شرح قوله -تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٣٣٤]، تكلم عن مسألة الفهم وقال: "إن أكثرها منحة من الله"، وأيضًا لها أسباب، لأنك تحاول، لكن بعض الناس يبذل الأسباب، لكن لم يؤتَ فهمًا؛ ولذلك مَن يؤتى الحكمة ومَن الحكمة الفهم، فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

ولذلك فالعلماء إنما يتمايزون بالفهم، ويكون بعضهم أفهم من بعض، وأحسن إصابة للحق من بعض، فأنت أبذل السبب، وأسال الله -عزّ وجلّ- أن يفهِّمك، وأن يعطيك هذا الفهم.

وكذلك قال علي -رضي الله عنه- لأبي جحيفة[٣٣٥] لما سأله: هل عندكم شيء غير الذي عند الناس؟ قال: "لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يؤتيه الله من يشاء في كتاب"[٣٣٦]، فالقرآن موجود عند الناس كلهم، لكن الذي عنده فهم عنده شيء ليس عند الناس.

---

(٣٣١) الأنبياء: ٧٩.

(٣٣٢) الأنبياء: ٧٩.

(٣٣٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، شمس الدين أبو عبد الله، الزرعي، ثم الدمشقي. الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف. ابن قيم الجوزية. تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة. وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة، ولهج بالذكر. له تواليف حسان؛ منها: "زاد المعاد"، و"بدائع الفوائد". ولد سنة إحدى وتسعين وست مئة، وتوفي سنة إحدة وخمسين وسبع مئة. انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣ - دار هجر)، والذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠ ترجمة ٦٠٠).

(٣٣٤) الفاتحة: ٦.

(٣٣٥) وهب بن عبد الله بن مسلم بن جنادة بن حبيب بن سواءة السوائي -بضم السين المهملة، وتخفيف الواو والمد- ابن عامر بن صعصعة أبو جحيفة السوائي. قدم على النبي -صلى الله عليه وسلم- في أواخر عمره، وحفظ عنه، ثم صحب عليا بعده وولاه شرطة الكوفة لما ولى الخلافة. وكان علي يسميه وهب الخير. مات سنة أربع وستين في ولاية بشر على العراق. انظر: الاستيعاب (ص: ٧٥٠ ترجمة ٢٧٠٢)، والإصابة (٦/ ٦٢٦ ترجمة ٩١٧٢).

يقول أحسن الله إليكم: هل من التقنيط أن يكون كثير من الأشرطة فيها تخويف شديد، حتى إن بعضهم يعتمد هذا الأسلوب في أشرطته زائدًا على هذا البكاء المستمر؟

قال السلف: مَن عَبَد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومَن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومَن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، فلا بد أن يجمع بين الحب والخوف والرجاء ليقيم العبادة، أما إذا كان عنده تخويف فقط فقد يحمل الناس على الكفر، فالحرورية بلاؤهم إنهم نظروا في الآيات التي فيها تخويف فكفروا الناس، وإذا كان - كما تدعي الصوفية- أنهم تسقط عنهم التكاليف فهذه زندقة.

فكما قال السائل: فرق بين العلماء وبين القصاص والوعاظ، فبعضهم عنده البكاء المستمر، وبعضهم يتصنعه.. وكذا، لكن العالم يعظ الناس، ويبيِّن لهم، ويفسر لهم القرآن، والقرآن كما تلاحظون مثاني؛ كلما جاء تخويف جاء بعده تسهيل، كلما جاءت الجنة جاءت النار، حتى يحفظ ميزان العبد؛ فهذا معنى مثاني أي يثني بعضه على بعض.

أحسن الله إليكم، سائلة تقول: نحن النساء خلال السنتين الأخيرتين نعاني من كثرة العري في النساء، وليس ذلك خاصًّا بالمناسبات، بل وفي تجمعاتنا العائلية، وكلما أنكرنا عليهن أخذن بفتوى الشيخ الفلاني، وقوله إن العورة من السرة إلى الركبة، وأنهن الآن بين النساء، فنحن نرى مناظر تأباها النفوس الأبية، وقد كنا من قبل ننكر بفتاوى مشايخنا -رحمهم الله، أما فتاوى الآن فيجوز إظهار كل شيء عدا ما بين السرة إلى الركبة، أفتونا، فنحن نشعر بحرقة ونفكر في الاعتزال.

---

(٣٣٦) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير (٦٩١٥،٦٩٠٣،٣٠٤٧)، واللفظ له، مسلم: كتاب الحج، با فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه، كتاب العتق، باب تحريم تولي العتيق غير مواليه (١٣٧٠).

لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا آخر الزمان كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، رُؤُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ»(٣٣٧)، فهذه من أهل النار، أي: موعودات بالنار، إلا أن يعفو الله -عزّ وجلّ.

وأما الذي يقول: إن عورة المرأة مع المرأة من السرة إلى الركبة، فهذا قد رد عليه العلماء في وقته، وقالوا: صحيح إن هذا من حيث النظر، فإذا نظرت المرأة إلى صدر المرأة للحاجة لا تأثم، لكن لا يعني أنها تتكشف إلا ما بين السرة والركبة.

فهذا لا يفهم بالعكس، وهذا هو الخطأ، فدائمًا في الفقه يأتون بأشياء أُلِّفت وَبُيِّنت عند الإشكال وعند حل مشكلة، ثم يجعلونها للعمل، وهذا الذي يخاف منه العلماء في تدوين كتب الفقه، فإذا سألت امرأة وقالت: أنا نظرت إلى ظهر امرأة، نقول: هذا جائز للحاجة، لكن لا نقول للنساء: اكشفن إلا ما بين السرة الركبة! فهذا كله يرده القرآن قال -تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ﴾(٣٣٨).

هذا أيضًا مثل الفقه، يقولون: الحد الواجب في الركوع أن تقول: سبحان ربي العظيم مرة، فبعض الناس قد ينشرها في الناس، يقول: إذا ركعتم قولوا: سبحان ربي العظيم مرة واحدة؛ لأن هذا موجود في كتب الفقه، نقول: لا، أنت عكست المسألة، فإذا ركعتم فقولوا كما قال -عليه الصلاة والسلام- واطمئنوا، لكن مَن أدرك مِن ركوعه مع الإمام قدر تسبيحة واحدة فقد أدرك الركوع، فهم يعكسون الفقه.

فهذه فتوى لما صدرت رد عليها العلماء، وقالوا: هذا ليس هو الفهم الصحيح، فالقرآن كله يدل على الستر والعفاف وأخذ الزينة، ويجب على هذه الأخت وغيرها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا رأت أمرًا لا طاقة لها به فتعتزل هذه التجمعات، ولا تعتزل الناس بالكلية، فالتجمعات التي فيها شر تعتزلها، والخير تحضره وتصبر، فالجنة حفت بالمكاره.

---

(٣٣٧) أخرجه مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (٢١٢٨)، من حديث أبي هريرة.

(٣٣٨) الأحزاب: ٥٩.

أحسن الله إليكم: ما رأيكم في حال الدعوة السلفية اليوم، وخصوصًا مع هذه الخلافات التي فرقت صف السلفيين؟ وما الذي ينبغي على مَن هداه الله لهذا الطريق القويم في خِضَم هذه التوجهات التي تعج بها الساحة؟ وما الطريق الصحيح للتعامل معها؟

إذا هداه الله -عزّ وجلّ- لطريقة السلف الصالح في أموره كلها عضَّ عليها بالنواجذ، وتمسك بها، ويترك المراء وإن كان محقًّا، وهو لو عمل لَمَا سأل هذا السؤال، فنحن نحسن الظن بأخينا، لكن أي رجل يتبع الخلافات والكلام فمعناه أنه ليس عنده عمل، ولو اجتهد فيما يخصه لانقطع عن كثير من هذه الأشياء، فيعمل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وبعض هذه الفرقة على حق وبعضها على باطل، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- فرق الناس، وأمر باجتماعهم؛ فرقهم إذا كانوا على باطل، وجمعهم إذا كانوا على حق.

فأنت لا يضرك فعل الناس، فتمسك بالسنة واعرفها وعض عليها بالنواجذ تنجو بإذن الله، نسأل الله أن يجعلنا جميعًا كذلك، وصلى الله على عبده ورسوله محمد -صلى الله عليه وسلم.

(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي دَارِمٍ الْكُوفِيُّ [٣٣٩] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَزِيدَ الرَّازِيُّ[٣٤٠] قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الرَّازِيُّ[٣٤١] قَالَ: حَدَّثَنِي مُقَاتِلُ بْنُ مُحَمَّدٍ[٣٤٢] قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ[٣٤٣] إِلَى مِنًى فِي جَمَاعَةٍ فِيهِمْ أَبُو مُسْلِمٍ الْمُسْتَمْلِيُّ[٣٤٤] فَقَالَ سُفْيَانُ فِي بَعْضِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ: الْعَالِمُ بِاللهِ الْخَائِفُ مِنَ اللهِ،

---

(٣٣٩) أحمد بن محمد بن السري بن يحيى بن السري بن أبي دارم، أبو بكر التميمي الكوفي. كان موصوفا بالحفظ والمعرفة إلا أنه يترفض، قد ألف في الحط على بعض الصحابة، وهو مع ذلك ليس بثقة في النقل. مات في المحرم سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة، وقيل: سنة إحدى. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٦ ترجمة ٣٤٩)، وميزان الاعتدال (١/ ١٣٩ ترجمة ٥٥٢).

(٣٤٠) لم أجده.

(٣٤١) محمد بن مسلم بن عثمان بن عبد الله الرازى الحافظ، أبو عبد الله المعروف بابن وارة. روى له النسائي والبخاري في غير الصحيح. توفي بالري سنة سبعين ومئتين، وقيل: بعدها. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ. انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٣٩٩ ترجمة ٧٣٥)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨ ترجمة ١٧).

(٣٤٢) مقاتل بن محمد النصر أباذي الرازي. وثقه أبو زرعة الرازي، وقال: كان ثقة مأمونا. انظر: الجرح والتعديل (٨/ ٣٥٥ ترجمة ١٦٣٣).

(٣٤٣) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام. مولده بالكوفة، في سنة سبع ومئة. طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجوّد، وجمع، وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. قال ابن حجر في التقريب:

وَإِنْ لَمْ يُحْسِنْ فُلاَنٌ عَنْ فُلاَنٍ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنِ الْعِلْمَ وَالْخَوْفَ مِنَ اللهِ فَهُوَ جَاهِلٌ، وَإِنْ كَانَ يُحْسِنُ فَلاَنٌ عَنْ فُلاَنٍ، الْمُسْلِمُونَ شُهُودٌ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، عَرَضُوا أَعْمَالَهُمْ عَلَى الْقُرْآنِ، فَمَا وَافَقَ الْقُرْآنَ تَمَسَّكُوا بِهِ وَإِلاَّ اسْتَعْتَبُوا مِنْ قَرِيبٍ، قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلاَمَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟! قَالَ: إِنَّهُ وَاللهِ أَحْسَنُ مِنَ الدُّرِّ، وَهَلِ الدُّرُّ إِلاَّ صَدَفُهُ؟!).

هذا سفيان بن عينة أيضًا لما خرج إلى منى ومعه جماعة من طلابه قال: العالم بالله هو الخائف من الله، وإن كان لا يحسن فلان عن فلان، أي: السند، ومن لم يحسن العلم والخوف من الله فهو جاهل وإن كان يحسن فلان عن فلان، فالمسلمون شهود على أنفسهم، عرضوا أعمالهم عن القرآن؛ فما وافق القرآن تمسكوا به، وإلا استعتبوا من قريب، أي: رجعوا وتابوا من قريب، فقال أحد الطلاب: ما أحسن هذا الكلام يا أبا محمد. قال: إنه أحسن من الدر، فمن انتفع به فهو أحسن له من الدر، وهل الدر إلا صدفه؟! أي أن الصدف الذي يكون على الدر، وهذا أيضًا من العلامات.

(حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مَخْلَدٍ [٣٤٥] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرُّوذِيُّ[٣٤٦] قَالَ: حَدَّثَنَا حِبَّانُ بْنُ مُوسَى[٣٤٧] قَالَ: سُئِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ[٣٤٨] -رَحِمَهُ اللهُ-: هَلْ لِلْعُلَمَاءِ عَلاَمَةٌ يُعْرَفُونَ بِهَا؟ قَالَ: عَلاَمَةُ الْعَالِمِ مَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ، وَاسْتَقَلَّ كَثِيرَ الْعِلْمِ

ثقة حافظ، إلا أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس، لكن عن الثقات. وتوفي سنة ثمان وتسعين ومئة بالحَجُون -جبل بأعلى مكة-. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٧٧ ترجمة ٢٤١٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤ ترجمة ١٢٠).

(٣٤٤) عبد الرحمن بن يونس بن هاشم الرومي، أبو مسلم المستملي البغدادي، مولى أبي جعفر المنصور. كان مستملي سفيان بن عيينة. ولد سنة أربع وستين ومئة، وتوفي سنة خمس وعشرين ومئتين. كان من كبار الآخذين عن تبع الأتباع، وروى له البخاري. قال ابن حجر في التقريب: صدوق طعنوا فيه للرأي. انظر: رجال البخاري للكلاباذي (١/ ٤٦٠ ترجمة ٦٨٩)، وتهذيب الكمال (١٨/ ٢٣ ترجمة ٣٩٩٩).

(٣٤٥) محمد بن مخلد بن حفص، الإمام الحافظ الثقة القدوة، أبو عبد الله، الدوري ثم البغدادي العطار الخضيب. صحب جماعة من أصحاب الإمام أحمد. ولد سنة ثلاث وثلاثين ومئتين، ومات سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة. انظر: طبقات الحنابلة (٣/ ١٤٢ ترجمة ٦٠٥)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٦ ترجمة ١٠٨).

(٣٤٦) الإمام، القدوة، الفقيه، المحدث، شيخ الإسلام، أبو بكر، أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي، نزيل بغداد، وصاحب الإمام أحمد وكان من أجل أصحابه، وكان والده خوارزميا، وأمه مروذية. ولد في حدود المئتين. وتوفي في جمادى الأولى سنة خمس وسبعين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ١٣٧ ترجمة ٥٠)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧٣ ترجمة ١٠٣).

وَالْعَمَلِ مِنْ نَفْسِهِ، وَرَغِبَ فِي عِلْمِ غَيْرِهِ، وَقَبِلَ الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ آتَاهُ بِهِ، وَأَخَذَ الْعِلْمَ حَيْثُ وَجَدَهُ، فَهَذِهِ عَلَامَةُ الْعَالِمِ وَصِفَتُهُ، قَالَ الْمُرُّوذِيُّ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لأَبِي عَبْدِ اللهِ قَالَ: هَكَذَا هُوَ)[٣٤٩].

سئل عبد الله بن المبارك -وهو من العلماء الربانيين في هذه الأمة، ومن أعلام علماء أهل الحديث: هل للعلماء علامة يعرفون بها؟! وهذا يدل على أن السلف يحرصون على معرفة علامات العلماء الحقيقيين، ودائمًا يسألون، فسألوا سفيان، وسألوا عبد الله بن المبارك، وسألوا الإمام أحمد، دائمًا هذا السؤال: ما علامة العالم الصادق العالم الذي يستفتى؟ فذكر خمس صفات أو علامات، فقال: علامة العالم:

أولاً: مَن عمل بعلمه، وهذه أم العلامات أن يعمل بعلمه، فإذا كان يعمل ويطبق فإنه يوفق ويقل كلامه وجدله، ويقبل على ما يعنيه؛ ولذلك إنما يستكثر من الدروس والكتب الذي لا يعمل، يقول الأعمش[٣٥٠] يمثل مثالاً: كلما أخذت لقمة وضعتها بجانبك، كلما أخذت لقمة وضعتها بجانبك، فمتى تشبع؟![٣٥١] كذلك إذا كنت تستكثر من الدروس والكتب.. الخ، ولا تعمل فمتى تعمل؟!

فأعظم العلامات هي العمل الذي يزيدك في العلم الحقيقي، ويفتح لك آفاق العلم؛ ولذلك قال عليٌّ وغيره: مَن عمل بعلمه ورثه الله علم ما لم يعلم[٣٥٢]، أي: يفتح الله لك العلم الذي يغيب عنك، فلا بد من العمل، ولا بد

---

(٣٤٧) حبَان بن موسى بن سوار السلمي، أَبُو مُحَمَّد المْروزِي الكشميهني. من كبار الآخذين عن تبع الأتباع. روى له الجماعة، إلا أبا داود. توفي سنة ثلاث وثلاثين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٣٤٤ ترجمة ١٠٧٢)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٠ ترجمة ٥).

(٣٤٨) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي. أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث. له تواليف؛ منها "الزهد". قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه عالم جواد. ولد سنة ثمان عشرة ومئة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٥ ترجمة ٣٥٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨ ترجمة ١١٢).

(٣٤٩) أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٠-١٥١) من طريق المصنف به.

(٣٥٠) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم، أبو محمد الكوفي الأعمش. الإمام شيخ المقرئين والمحدثين. قال يوما: لولا القرآن، وهذا العلم عندي؛ لكنت من بقالي الكوفة. قال الذهبي: له قراءة شاذة ليس طريقها بالمشهور. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع، لكنه يدلس. توفي سنة سبع وأربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٧٦ ترجمة ٢٥٧٠)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٦ ترجمة ١١٠).

(٣٥١) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (١٢/ ٣٤١) عن الأعمش بنحوه.

(٣٥٢) موضوع: أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٤) من حديث أنس مرفوعا، قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٢٢): موضوع.

أنك كلما رويت حديثًا أو تعلمته أن تعمل به وتجرب وتطبق، إنما أريد العمل بالعلم، وإلا صار كسائر الأشياء، كما قال السلف: العلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر.

ثانيًا: واستقل كثير العلم والعمل من نفسه، فلا يرى لنفسه فضلاً مهما كثر علمه وكثر عمله، ويرى أنه قليل في حق الله -عزّ وجلّ- وفي جنب الله، فهو لا يتكبر ولا يزيد ولا يبغي، بل يستقل كل شيء يبذله، كما كان الصحابة -رضي الله عنهم- يستقلون كل أعمالهم وكل علومهم، ويرون أنها ليست بشيء، وما منكم من أحد سينجو بعمله حتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا أن يتغمدنا الله برحمة منه وفضل[٣٥٣].

ثالثًا: يرغب في علم غيره، فلا يكون عنده كبر ولا يكون عنده بغي، حيث يرى أنه مستغنٍ. قيل لبعض العلماء: عند مَن كل العلم؟ قال: عند كل الناس، فالعلم مبثوث مفرق.

رابعًا: ويقبل الحق مِن كل مَن أتاه به، وإن كان بغيضًا، وإن كان بعيدًا، فإذا أتاه بالحق تواضع له؛ لأن التواضع للحق أعظم علامات التوفيق.

والسلف يمثلون هذا بمثال أيضًا يقولون: كما أن المطر إذا نزل من السماء فإنه يسيل إلى الأماكن المنخفضة ولا يسيل إلى الأماكن المرتفعة، فكذلك الوحي؛ يذهب إلى القلوب المنخفضة المخبتة المتواضعة، أما القلوب التي فيها بغي وكبر فلا يأتيها الوحي، بل يبتعد عنها يمينًا وشمالاً؛ فلذلك كلما كان القلب أكثر تواضعًا للحق فإذا جاءه جاهد نفسه وقبله ولو كان مرًّا، فهذا حري أن يوفق وأن يفتح الله عليه.

وكذلك يتواضع للخلق، «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»[٣٥٤]، ولذلك لما خوَّف النبي -عليه الصلاة والسلام- أصحابه فقال: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، أي: إن الله لا يسامح في الكبر، ولو بمثقال ذرة، فخاف الصحابة وقالوا: يا رسول الله الرجل يحب أن يكون نعله حسنًا وثوبه حسنًا، فقال: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[٣٥٥]، بطر الحق أي لا يقبل الحق، فعنده كبر فلا

---

(٣٥٣) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت (٥٦٧٣)، مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله (٢٨١٦)، من حديث أبي هريرة.

(٣٥٤) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه ... (٥١٤٤،٦٠٦٤، ٦٠٦٦، ٦٧٤٢)، مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه (٢٥٦٤)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة.

(٣٥٥) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩١)، من حديث عبد الله بن مسعود.

يقبل إلا ما وافق هواه، أو ما جاء من شخص يعظِّمه، أو ما جاء من طريق يهواه هو، وغمط الناس، أي: احتقارهم، خاصة الذين يأتونهم بالحق، فهذا متكبر، ولو حفظ كل شيء ما يوفق للعلم إطلاقًا، بل يصرف قلبه عن الحق، قال -تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٣٥٦].

فالله -عزّ وجلّ- لما عرض عليهم الحق وردوه أول مرة، فكانت عقوبتهم أن تقلب أفئدتهم وأبصارهم، ولا يوفقون للحق: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٣٥٧]، فأحرى الناس بالتوفيق الذين يقبلون الحق ويتواضعون للخلق، ويكونون مخبتين، والعرب تسمي الأرض المنخفضة: الخبت، كذلك القلب المخبت الخاشع المتواضع.

خامسًا: يأخذ العلم حيث وجده، فالحكمة ضالة المؤمن وهو أولى بها، فإينما وجدها فهو أحق بها[٣٥٨]، قال عبد الله بن المبارك: فهذه علامة العالم وصفته في عبادته وعمله بالعلم، وفي تواضعه وفي قبوله للحق، قال المروذي: فذكرت ذلك لأبي عبد الله، يعني الإمام أحمد، والمروذي من أخص أصحاب الإمام أحمد، قال: فقال الإمام أحمد: نعم، أي: أن هذه صفة العالم.

(حَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمَرُّوذِيُّ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ الله: قِيلَ لابْنِ الْمُبَارَكِ: كَيْفَ يُعْرَفُ الْعَالِمُ الصَّادِقُ؟ فَقَالَ: الَّذِي يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَيَعْقِلُ أَمْرَ آخِرَتِهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، كَذَا نُرِيدُ أَنْ يَكُونَ)[٣٥٩].

يقول: قلت لأبي عبد الله -وهو الإمام أحمد: إن ابن المبارك سئل: كيف يعرف العالم الصادق؟ من هذه الأسئلة نعرف أن السلف كانوا يبحثون عن هذه العلامات، فقال: الذي يزهد في الدنيا زهد القلب، فلا يحبها ولا يستشرف لها، ولا يطلب الدنيا بأمر الآخرة، ويعقل آمر آخرته، ويعمل لها، ويجعلها بين عينيه، فقال الإمام أحمد: هكذا نريد أن يكون.

---

(٣٥٦) الأنعام: ١١٠.

(٣٥٧) الأنعام: ١١٠.

(٣٥٨) ضعيف جدا: أخرجه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٧)، قال الترمذي: غريب، ابن ماجة: كتاب الزهد، باب الحكمة (٤١٦٩)، بنحوه، من حديث أبي هريرة، قال الألباني في ضعيف الترمذي: ضعيف جدا.

(٣٥٩) أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٥١) من طريق المصنف به.

(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودٍ السَّرَّاجُ [٣٦٠] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ زَنْجَوَيْهِ[٣٦١] قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ[٣٦٢] قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ[٣٦٣] قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ[٣٦٤] يَقُولُ: لاَ نَثِقُ لِلنَّاسِ بِعَمَلِ عَامِلٍ لاَ يَعْلَمُ، وَلاَ نَرْضَى لَهُمْ بِعِلْمِ عَالِمٍ لاَ يَعْمَلُ)[٣٦٥].

هذا كلام عظيم من الزهري، يقول: العامل الذي لا يعلم ليس بثقة للناس؛ لأنه يضلهم إذا كان جاهلاً، فهو يعمل ويتعبد، لكنه ليس عنده علم، فهذا لا نثق للناس به، والثاني: العالم الذي لا يعمل، هذا أيضًا لا نرضاه للناس؛ ولذلك جاء في الآثار أن أعظم فتنة على هذه الأمة رجلين؛ العابد الجاهل، والعالم الفاجر،[٣٦٦] فالعابد الجاهل يضل الناس؛ لأنهم ينظرون في عبادته ونسكه وصيامه وصلاته، ولكنه جاهل فيضل الناس، والشيطان قد

---

(٣٦٠) محمد بن محمود بن محمد بن المنذر بن ثمامة أبو بكر السراج الأطروش. حدث عن: أبي هشام الرفاعي وزياد بن أيوب ومحمد بن عمرو بن أبي مذعور وأبي الأشعث أحمد بن المقدام وعلى بن مسلم الطوسي. روى عنه: القاضي الجراحي وأبو حفص بن شاهين ويوسف بن عمر القواس وأبو القاسم بن الصيدلاني وعبد الله بن عثمان الصفار. انظر: تاريخ بغداد (٤/ ٤٢٥ ترجمة ١٦١٩).

(٣٦١) محمد بن عبد الملك بن زنجويه البغدادى، أبو بكر الغزال، جار أحمد بن حنبل وصاحبه. روى له الخمسة. توفي سنة ثمان وخمسين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ١٧ ترجمة ٥٤٢٣)، والكاشف (٢/ ١٦٩ ترجمة ٥٠١٥).

(٣٦٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر الحميري مولاهم، الصنعاني، الثقة، الحافظ الكبير، عالم اليمن. ارتحل إلى الحجاز، والشام، والعراق، وسافر في تجارة. حدث عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، ووثقاه. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ مصنف، وكان يتشيع. ولد سنة ست وعشرين ومئة، وتوفي سنة إحدى وعشرة ومئتين. ومن أشهر مصنفاته "المصنف". انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٥٢ ترجمة ٣٤١٥)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٣ ترجمة ٢٢٠).

(٣٦٣) الإمام الحافظ الحجة معمر بن راشد الأزدي الحداني. أبو عُروة بن أبي عمرو البصري مولى عبد السلام بن عبد القدوس. ولد سنة خمس -أو ست- وتسعين، ومات في رمضان سنة اثنتين -أو ثلاث- وخمسين ومئة، وقيل أول سنة خمسين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فاضل، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئا، وكذا فيما حدث به بالبصرة. انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٣٠٣ ترجمة ٦١٠٤)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٥ ترجمة ١).

(٣٦٤) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام. الإمام العلم، حافظ زمانه. قال ابن حجر في التقريب: متفق على جلالته وإتقانه. ولد سنة إحدى وخمسين، ومات سنة أربع -أو ثلاث- وعشرين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٤١٩ ترجمة ٥٦٠٦)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦ ترجمة ١٦٠).

(٣٦٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٥، ٣٦٦)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٩/ ٢١٦) من طرق عن الزهري به.

(٣٦٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٨٩٦) مقطوعا عن سفيان الثوري.

يطلق له العبادة ولا ينازعه فيها حتى يصطاد به الناس، والعالم الفاجر أيضًا يضل الناس؛ لأنهم يقولون: هذا عالم مفتٍ، ولكنه يضل الناس؛ فلذلك أعظم ما يكون على أمة محمد هذان الصنفان.

فالزهري يقول: العامل الذي لا يعلم لا نثق للناس به، فهو ليس بموثوق في تصرفاته؛ لأن العلم نور، والعالم الذي لا يعمل ليس بمرضي؛ لأنه لو أراد أن ينفع الناس لينفع نفسه أولاً:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها *** فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

(حَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي سَهْلٍ الْحَرْبِيِّ[٣٦٧] قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَسْرُوقٍ الطُّوسِيُّ[٣٦٨] قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْجُنَيْدِ[٣٦٩] يَقُولُ: عُوتِبَ بَعْضُ الْعُقَلاَءِ عَلَى تَرْكِهِ الْمَجَالِسَ، وَقِيلَ لَهُ: مَا بَالُكَ لاَ تَكْتُبُ الْحَدِيثَ؟! فَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ حَدِيثَيْنِ فَأَنَا مُحَاسِبٌ نَفْسِي بِهِمَا، فَإِذَا أَنَا عَلِمْتُ أَنِّي قَدْ عَمِلْتُ بِهِمَا كَتَبْتُ غَيْرَهُمَا، قِيلَ: وَمَا الْحَدِيثَانِ؟ قَالَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ»[٣٧٠]، وَ«حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»[٣٧١]، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنِ اعْتِذَارِي إِلَيْهِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا قَدْ عَرَّفَنِي مِنْ ذَلِلِي، فَانْصَرَفُوا وَهُمْ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا رَأَيْنَا أَفْقَهَ مِنْهُ وَلاَ أَشَدَّ مُحَاسَبَةً مِنْهُ لِنَفْسِهِ، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: أَوْصِنِي، قَالَ: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَتَرْكِ مَا لاَ يَعْنِيكَ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ).

---

(٣٦٧) محمد بن أحمد بن أبي سهل، واسم أبي سهل يزيد بن خالد بن يزيد، ويكنى محمد أبا الحسين الحربي. مات سنة تسع وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٧ ترجمة ٢٧٩)، والمنتظم لابن الجوزي (٦/ ٣٢٥ ترجمة ٥٢٨).

(٣٦٨) الشيخ، الزاهد، الجليل، الإمام أحمد بن محمد بن مسروق، أبو العباس الطوسي. يروي عن: علي بن الجعد، وخلف بن هشام، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ومن بعدهم. وعنه: أبو بكر الشافعي، وجعفر الخلدي، وحبيب القزاز، ومخلد الباقرحي، وابن عبيد العسكري، وأبو بكر الإسماعيلي، وآخرون. توفي في صفر، سنة ثمان وتسعين ومئتين، وعاش أربعا وثمانين سنة. انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٢٧٩ ترجمة ٢٧٧٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٤ ترجمة ٢٤٣).

(٣٦٩) إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد، أبو إسحاق، المعروف بالْخُتَّلِيِّ. صاحب كتب الزهد والرقائق. بغدادي، سكَن سُرَّ مَنْ رَأَى. قال الخطيب البغدادي: ثقة. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٢٤٦ ترجمة ١٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٣١ ترجمة ٢٥١).

(٣٧٠) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (١٧٣٢، ١٧٣٧)، الترمذي: كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس (٢٣١٨)، من حديث علي بن حسين، قال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

(٣٧١) موضوع: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٠١) عن الحسن مرسلاً، قال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٢٢٦): موضوع.

هذه القصة تطبيق عملي لما كان عليه السلف -رحمهم الله- وما كان عليه الصحابة قبلهم، فكانوا لا يتعلمون إلا خمس آيات ثم يعملون، فإذا عملوا أخذوا التي بعدها ولا يستكثرون دون عمل، فهذا رجل عاقل أخذ حديثين، ثم وقف حتى يعمل بهما، والحديثان لكي نعمل نحن بهما، فكم تستغرق من الجهد والصبر والمصابرة؟!

الحديث الأول: «مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ»، فلو فكرت الآن في كثير مما يشغل وقتك وذهنك وجهدك وعمرك تجد كثيرًا منها لا تعنيك، فهي تأكل وقتك وعمرك ولا تعنيك، فخذ هذا الحديث، وحاسب نفسك في كل شيء تتصرفه؛ فلو أقبلت على ما يعنيك وما ينفعك في آخرتك ذهب عنك كثير من هذه الأمور، وهذا الجدل.

الحديث الثاني: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»، يقال: إن الشر كله يوضع في بيت ومفتاحه حب الدنيا والتلهف عليها، والخير كله وضع في بيت ومفتاحه الزهد في الدنيا؛ ولذلك فالسلف لهم أمثلة في هذا، يقولون: إن الشيطان يتشمم قلب ابن آدم؛ لأنه يجري مجرى الدم، فإذا وجد في قلبه إرادة الدنيا وحب الدنيا عرف الشيطان أنه سيظفر به اليوم أو غدًا، فلذلك حتى لو نهره لا يذهب بعيدًا، فهو كالكلب الذي يرى بين يديك لحمًا، فأنت تزجره ولا ينزجر؛ لأنه يرى مقصوده، عندك لكن لو أن الكلب ما رأى عندك شيئًا وزجرته، فإنه سيذهب ولن يعود.

فكذلك الشيطان؛ يشمم قلب ابن آدم، فإذا عرف أن فيه حب الدنيا وحب الارتفاع وحب الظهور وحب الشهرة وحب المال وحب المنصب هذا يجعل الشيطان دائمًا يحوم حول القلب حتى يدركه، وإذا تشمم القلب ووجده عازفًا عن الدنيا ولا يريدها يأس منه، ويجعله ممن قال فيهم: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٣٧٢].

ولذلك لما شم الشيطان قلب عمر وجد أنه ليس فيه مصلحة له؛ لأنه ما يريد الدنيا، فلذلك كان إذا رآه سالكًا فجًّا سلك فجًّا غير فجه.

فحب الدنيا رأس كل خطيئة، الذي يكون فيه حب للدنيا يدركه الشيطان ولو بعد حين؛ لأن الدنيا أعظم فتنة؛ ولذلك يقول السلف: من طلب العلم للدنيا مكر به ولو بعد حين، والله -عزّ وجلّ- يمكر بمن يمكر بدينه، فهذا الرجل يقول: أنا أحاسب نفسي وأجاهدها على العمل بهذين الحديثين، فإذا أتقنتهما أخذت ما بعدهما، فحلفوا أنهم ما رأوا أفقه منه، ولا أشد محاسبة منه لنفسه.

---

(٣٧٢) الحجر: ٤٠.

(حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْعَلاَءِ[٣٧٣] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ أَبِي السَّفَرِ[٣٧٤] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ[٣٧٥] عَنْ زَائِدَةَ[٣٧٦]، وَحَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ[٣٧٧] قَالَ: حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ[٣٧٨] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ زَائِدَةَ عَنْ هِشَامٍ[٣٧٩] عَنِ الْحَسَنِ [٣٨٠] -رَحِمَهُ اللهِ- قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا طَلَبَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُرَى ذَلِكَ فِي

---

(٣٧٣) الشيخ المحدث الثقة القدوة، أبو عبد الله، أحمد بن علي بن العلاء، الجوزجاني ثم البغدادي. ولد سنة خمس وثلاثين ومئتين. مات في ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة. انظر تاريخ بغداد (٤/ ٣٠٩ ترجمة ٢١٠١)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٤٨ ترجمة ١٠٢).

(٣٧٤) أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبى السفر سعيد بن يحمد. أبو عبيدة الهمداني الكوفي. توفي سنة ثمان وخمسين ومئتين. روى له الترمذي والنسائي وابن ماجه، قال النسائي: ليس بالقوي. قال ابن حجر في التقريب: صدوق يهم. انظر: الثقات لابن حبان (٨/ ٣٤ ترجمة ١٢١٣٤)، التهذيب (١/ ٣٦٧ ترجمة ٦٠).

(٣٧٥) حماد بن أسامة بن زيد القرشي مولاهم، أبو أسامة الكوفي، مولى بنى هاشم، وقيل: مولى زيد بن علي، توفي بالكوفة سنة إحدى ومئتين. من صغار أتباع التابعين. روى له الجماعة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت، ربما دلس، وكان بأخرة يحدث من كتب غيره. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢١٧ ترجمة ١٤٧١)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٢١٧ ترجمة ٧٦).

(٣٧٦) زائدة بن قدامة الثقفي، أبو الصلت الكوفي. من كبار أتباع التابعين روى له الجماعة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت صاحب سنة. توفي سنة ستين ومئة. انظر: الثقات لابن حبان (٦/ ٣٣٩/ ٨٠١٩)، وتهذيب الكمال (٩/ ٢٧٣ / ١٩٥٠).

(٣٧٧) الإمام الحافظ المجود الحجة محمد بن إسحاق بن جعفر، ويقال: محمد بن إسحاق بن محمد، أبو بكر الصاغاني، نزيل بغداد. خراساني الأصل. أحد الثقات الحفاظ الرحالين، وأعيان الجوالين. قال أبو بكر الخطيب البغدادي: كان أحد الأثبات المتقنين، مع صلابة في الدين واشتهار بالسنة، واتساع في الرواية. مات سنة سبعين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٩٦ ترجمة ٥٠٥٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٢ ترجمة ٢٢٤).

(٣٧٨) الإمام العلامة نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك الخزاعي، أبو عبد الله المروزي الفرضي الأعور. سكن مصر. توفي بسامراء سنة ثمان وعشرين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: صدوق يخطئ كثيرا. انظر: تهذيب الكمال (٢٩/ ٤٦٦ ترجمة ٦٤٥١)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩٥ ترجمة ٢٠٩).

(٣٧٩) الإمام العالم، الحافظ، محدث البصرة هشام بن حسان الأزدي القردوسي، أبو عبد الله البصري، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب: ثقة، من أثبت الناس في ابن سيرين، وفى روايته عن الحسن وعطاء مقال؛ لأنه قيل: كان يرسل عنهما. توفي سنة سبع وأربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ١٨١ ترجمة ٦٥٧٢)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٥٥ ترجمة ١٥٤).

(٣٨٠) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر. كانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، وكانت تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو صبي فتسكته بثديها. ويقال: كان مولى جميل بن قطبة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيرا ويدلس. مات سنة

تَخَشُّعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَزُهْدِهِ وَصَلاَحِهِ وَبَدَنِهِ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَطْلُبُ الْبَابَ مِنَ الْعِلْمِ فَلَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)[٣٨١].

الحسن البصري أدرك كثيرًا من الصحابة، وهو من كبار التابعين، ويصف ما كان عليه الأمر في وقته، فيقول: كان الرجل إذا طلب بابًا من العلم لم يلبث، أي: فترة بسيطة، ثم يُرى أثر ذلك في تخشعه وزهده وسمته وصلاحه ولسانه ويده وورعه، فأثمر فيه العلم، وينكسر قلبه، لماذا؟ لأنهم كان الباب يعملون به فيؤثر فيهم، وأمّ سفيان الثوري كانت تقول له: يا بني خذ حديثًا أو حديثين، فإذا أحسست بصلاح قلبك وانتفاعك، ولا تتعنى، أي: لا تتعب نفسك وتستكثر، وأنت لا تعمل[٣٨٢]، فأخذ سفيان -رحمه الله- بهذه الوصية من أمه، فكان يأخذ الحديث ويعمل به، ويوصي أهل الحديث، ويضرب لذلك مثلاً عظيمًا فيقول لأهل الحديث: أعطوا الطالب حديثين أو ثلاثة، فإذا رأيتم أثرًا عليه وانتفاعًا فزيدوه، وإن كان يأخذ الحديث ولا ينتفع فلا تزيدوه، فإنه يكون كشجر الحنظل كلما زدته ماءً كلما ازداد مرارة.

فهذا الطالب الذي لا يعمل كلما تزيده من الخير يزداد مرارة، فهذا الطالب سيكون عالم شبهة، وينشر في الناس الشبهات والتشكيك؛ ولذلك ما خرج أهل الشبهات في الصحف وفي غيرها إلا لأنهم درسوا العلم الشرعي ولم يعملوا، فانقلبوا وأخذوا يبثون في الناس المتشابه، فلذلك يقولون: كان العلماء أنفسهم يختبرون الطلاب، فإذا انتفع وظهر الانتفاع وإلا لم يزيدوه.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- كان يزكي أصحابه بذلك، والله -عزّ وجلّ- لم يذكر أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يعلمهم فقط، بل قال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٣٨٣].

عشر ومئة، وهو ابن نحو من ثمان وثمانين سنة. انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٩٥ ترجمة ١٢١٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣ ترجمة ٢٢٣).

(٣٨١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٢٠) من طريق محمد بن إسماعيل به. أخرجه الآجري في أخلاق العلماء (٤٣) من طريق نعيم بن حماد به. أخرجه ابن المبارك في الزهد (١) أخرجه هناد في الزهد (١٠٩٩) من طريق أبي أسامة به.

(٣٨٢) أخرجه ابن حنبل في الورع (ص١٩٣)، تاريخ جرجان (٩٩٧) عن أم سفيان بنحوه.

(٣٨٣) الجمعة: ٢.

ويزكيهم: من التزكية، وهو اختبار أثر الكتاب والحكمة فيهم، وهل ينتفعون أو لا؟ قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾(٣٨٤).

الجزء الثاني: وإن كان الرجل ليطلب الباب من العلم لهو خير من الدنيا وما فيها، فما من أحد يتقرب إلى الله بشيء بعد الفرائض أحب إليه من العلم، ولا يوجد أحد يزهد في العلم، وهذه آثار كلها لا تزهِّد في العلم، لكنها تبين الطريق الصحيح في التعامل مع العلم، وإلا لَبَابٌ الواحد من العلم خير لك من الدنيا وما فيها، فالعلم يوصلك إلى مراتب الصديقين التي ليس فوقها إلا مراتب الأنبياء، ومداد العلماء خير من دينار الشهداء، والعالم يفتح الله به قلوب أجيال تلو أجيال، ويقتدي به أناس، ويكون خلفًا من نبيه ليكون في هذه الأمة العلماء كأنبياء بني إسرائيل(٣٨٥)، إلا أنه لا يوحى إليهم، يقومون في الناس مقام الأنبياء، ويبلغون رسالات الله، ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله.

فالباب الواحد من العلم تتقنه وتحصله وتعمل به خير لك من الدنيا وما فيها، ولا يساوي العبادات الأخرى، لأن نفعه العلم متعدد، قال –تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٣٨٦).

(حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَاذِيُّ(٣٨٧) قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ(٣٨٨) ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ(٣٨٩) قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ(٣٩٠) عَنْ أَيُّوبَ(٣٩١) قَالَ: يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَضَعَ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ تَوَاضُعًا لله –عَزَّ وَجَلَّ)(٣٩٢).

---

(٣٨٤) ص: ٢٩.

(٣٨٥) حديث: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، قال الألباني في السلسلة الضعيفة: لا أصل له.

(٣٨٦) المجادلة: ١١.

(٣٨٧) إسحاق بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو الحسين الكاذي. قال الخطيب: كان ثقة زاهدا. توفي سنة ست وأربعين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٤٤٢ ترجمة ٣٤٠٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٨٣٢ ترجمة ٢١٠)، وكلاهما صدر عن دار الغرب الإسلامي، بتحقيق د/ بشار عواد معروف.

(٣٨٨) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الذهلي الشيباني المروزي، ثم البغدادي. ولد سنة ثلاث عشرة ومئتين، فكان أصغر من أخيه صالح بن أحمد قاضي الأصبهانيين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. مات سنة تسعين ومئتين. له كتاب "الرد على الجهمية"، و"السنة". انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨٥ ترجمة ٣١٥٧)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١٦ ترجمة ٢٥٧).

هذا من أساليب العرب، ولا يقصد ظاهر الكلام بأن يأخذ التراب ويضعه على رأسه، وإنما يقصد المبالغة في التواضع، فينبغي للعالم أن يكون سمته سمت الأنبياء من التواضع للحق والتواضع للخلق، ولا يكون سمته سمت الملوك وأهل الدنيا وأهل الترف من الكبر والبغي والارتفاع، فسمت العالم أقرب إلى سمت الأنبياء؛ فينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعًا لله الذي مَنَّ عليه، وأنعم عليه، وسلك به طريق الأنبياء.

هذا هو العالم الذي يعرف عظيم فضل الله عليه، وعظيم المسؤولية أيضًا.

(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ النَّحْوِيُّ[٣٩٣] قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْحُبَابِ[٣٩٤] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ الْقَطِيعِيُّ[٣٩٥] قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: الْعِلْمُ إِذَا لَمْ يَنْفَعْ ضَرَّ) [٣٩٦].

---

(٣٨٩) عفان بن مسلم بن عبد الله مولى عزرة بن ثابت الأنصاري، الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو عثمان البصري الصفار، بقية الأعلام. ولد سنة أربع وثلاثين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. وتوفي سنة عشرين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ١٦٠ ترجمة ٣٩٦٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤٢ ترجمة ٦٥).

(٣٩٠) حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البصري، الأزرق الضرير، أحد الاعلام، أصله من سجستان، سُبي جده درهم منها. مولده في سنة ثمان وتسعين، ومات في سنة تسع وسبعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت ربما دلس. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٩ ترجمة ١٤٨١)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٦ ترجمة ١٦٩).

(٣٩١) أيوب ابن أبي تميمة كيسان السختياني، العنزي، مولاهم، أبو بكر البصري، الأَدَمِيّ ويقال: ولاؤه لطهية، وقيل: لجهينة. الإمام الحافظ سيد العلماء. عداده في صغار التابعين. مولده عام توفي ابن عباس، سنة ثمان وستين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد. توفي سنة إحدى وثلاثين ومئة بالبصرة، زمن الطاعون، وله ثلاث وستون سنة. انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٤٥٧ ترجمة ٦٠٧)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٥ ترجمة ٧).

(٣٩٢) أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٥١) من طريق المصنف به. أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٨٣٤)، الخطيب في الجامع (٨١٧)، وفي الفقيه والمتفقه (٨٩٤) من طريق عفان به. أخرجه أحمد بن مروان الدينوري في المجالسة (٤٨٨) من طريق حماد بن زيد به.

(٣٩٣) الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون محمد بن القاسم بن بشار أبو بكر ابن الأنباري المقرئ النحوي. ولد سنة اثنتين وسبعين ومئتين. قال الخطيب البغدادي: كان صدوقا دينا من أهل السنة. حمل عن والده، وألف الدواوين الكبار مع الصدق والدين، وسعة الحفظ. وكان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظا للغة. من مصنفاته: "غريب الحديث"، و"شرح الكافي". توفي ليلة الاضحى ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة عن سبع وخمسين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤ ترجمة ١٢٢)، وإنباه الرواة (٣/ ٢٠١ ترجمة ٧٠٥).

العلم إذا لم ينفعك ضرك؛ فالعلم سلاح ذو حدين؛ لأنك إذا أخذت العلم ولم تنتفع به سيورثك العجب والكبر والارتفاع على الناس، وطلب الدنيا بالعلم، وطلب العلو في الأرض.. ونحو ذلك، فالعلم إذا لم ينفعك يضرك، مثل العبادة إذا لم تنفعك تضرك، كما ضرت الخوارج، حيث استكثروا منها ولم تصل إلى قلوبهم فضرتهم، فكذلك العلم، وهذه الآثار كلها تبين هذا الذي قاله سفيان: إنك إن لم تنتفع تضرك سيورثك أمراضًا خبيثة في القلب، فاسأل الله أن يرسخه في القلب وينفعك به، فالقرآن إذا رسخ في القلب نفع وإلا كان حجة الله على ابن آدم.

(حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رَجَاءَ[٣٩٧] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ ـ عِصْمَةُ بْنُ أَبِي عِصْمَةَ[٣٩٨] قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْقَنْطَرِيُّ[٣٩٩] قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ[٤٠٠] قَالَ: كَتَبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ -رَحِمَهُ اللهُ- عَنِّي كَلاَمًا، قَالَ الْعَبَّاسُ: وَأَمْلاَهُ عَلَيْنَا، قَالَ: لاَ يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَنْصِبَ نَفْسَهُ -يَعْنِي لِلْفَتْوَى- حَتَّى يَكُونَ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ).

(٣٩٤) الحسن بن الحباب بن مخلد بن محبوب أبو علي المقرئ البغدادي الدقاق. من حذاق القراء. أخذ عنه ابن مجاهد وابن الأنباري، والنقاش، وآخرون من البغداديين. توفي سنة إحدى وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٣٠١ ترجمة ٣٨١٣)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٢٢٩ ترجمة ١٢٨).

(٣٩٥) إسماعيل بن إبراهيم بن معمر بن الحسن الهذلي الهروي، ثم البغدادي أبو معمر القطيعي. روى له الجماعة. توفي سنة ست وثلاثين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة مأمون. انظر: التهذيب (٣/ ١٩ ترجمة ٤١٦)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٦٩ ترجمة ٢٧).

(٣٩٦) أخرجه أو نعيم في الحلية (٧/ ٢٧٧)، الخطيب في اقتضاء العلم العمل (٨٤) من طرق عن أبي معمر به.

(٣٩٧) عمر بن محمد بن رجاء، أبو حفص العكبري. كان عابدا صالحا، شديد الوطأة على الرافضة. توفي سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة. انظر: طبقات الحنابلة (٣/ ١٠٦ ترجمة ٥٩٨)، وتاريخ الإسلام (٧/ ٥٧٨ ترجمة ٤٥٣).

(٣٩٨) عصمة بن أبي عصمة، أبو طالب العكبري. لازم إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل إلى أن مات، وروى عنه مسائل جيادا. توفي سنة أربع وأربعين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ١٧٤ ترجمة ٣٣٩)، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص: ١٣٤) ط: دار هجر.

(٣٩٩) عباس بن الحسين القنطري، أبو الفضل البغدادي، ويقال: البصري، أخرج له البخاري. توفي سنة أربعين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٢٠٧ ترجمة ٣١١٦)، والكاشف (١/ ٥٣٤ ترجمة ٢٥٩٢).

(٤٠٠) لم أجده.

محمد بن الحجاج هو أبو بكر المروزي، المروزي هذا وجد لبعض السلف كلامًا حسنًا أنه لا ينبغي للرجل أن يكون مفتيًا حتى يكون فيه خمس خصال، فلما رآها الإمام أحمد معه -مع أنه تلميذه- كتبها أحمد عنه، وهذا من تواضع أحمد أنه يكتب حتى عن طلابه، ويرغب في العلم من كل مَن أتاه به، فقال أحمد: هذه حكمة نكتبها.

ولذلك لما كان ابن المبارك في مرض الموت سمع كلمة، فقال: أقيموني، فأقاموه حتى كتبها، قالوا: يا أبا عبد الرحمن في مثل هذا الموطن؟! فقال: لعل الكلمة التي ينفعني الله بها لم أسمعها بعد![401].

لذلك كانوا يكتبون ويأخذون العلم، لعل الكلمة التي يحيي الله قلبك بها، وترسخ في قلبك لم سمعتها إلى الآن، والإمام أحمد رأوا عليه آثار الحبر وهو فوق السبعين، فقالوا: إلى متى يا أبا عبد الله؟! قال: مع المحبرة إلى المقبرة![402] فالإنسان لا يزهد في العلم، ويقول: انتهيت من العلم! فلا بد من طلب العلم ما دامت حيًّا، فهذه خصال، وهي عظيمة؛ ولذلك الإمام أحمد لما رآها كتبها عن تلميذه.

(أَمَّا أُولاَهَا: فَأَنْ يَكُونَ لَهُ نِيَّةٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِيهِ نِيَّةٌ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ نُورٌ، وَلاَ عَلَى كَلاَمِهِ نُورٌ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَيَكُونُ لَهُ خُلُقٌ وَوَقَارٌ وَسَكِينَةٌ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ: فَيَكُونُ قَوِيًّا عَلَى مَا هُوَ فِيهِ وَعَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَأَمَّا الرَّابِعَةُ: فَالْكِفَايَةُ، وَإِلاَّ مَضْغَهُ النَّاسُ، وَأَمَّا الْخَامِسَةُ: فَمَعْرِفَةُ النَّاسِ).

لا ينبغي للرجل أن يكون مفتيًا حتى يكون فيه هذه الخصال:

الأولى: النية، وهو أن تكون له نية حسنة، ويكون قصدُه بث العلم الموروث عن النبي -عليه الصلاة والسلام- ونشره في الناس، وأن يتكلم بالوحي، فالناس لا يصلحهم إلا الوحي والأثر، فلا يتكلم برأي أو فكر، فإن لم يكن له نية، لم يكن على وجهه نور ولا على كلامه نور، ولم ينتفع الناس به.

وكثير من الذين يتصدرون الفتوى إذا لم يكن له نية صالحة لا ترى على وجهه نورًا، ولا على كلامه نورًا، وإنما فقط آراء وأفكار وثقافات، ولا تسمع قال الله، ولا قال رسوله، ولا تسمع وحيًا، فالأولى أن يكون له نية حسنة، والله -عزّ وجلّ- هو الذي يعلم النية الصالحة فينشرها في الناس، وينشر القبول، فمسألة القبول والانقباض

(٤٠١) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (١٣٦)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢/ ٤٠٩،٤٠٨) عن ابن المبارك بنحوه.

(٤٠٢) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/ ١٢٧).

والحب والبغض أمور إلهية من عند الله -عزّ وجلّ، والله -عزّ وجلّ- هو الذي يبلغ الكلام، وعلماؤنا (الشيخ عبد العزيز بن باز[٤٠٣] -رحمه الله- والشيخ ابن عثيمين[٤٠٤] كما ترون ليس عندهم أدوات توصل كلامهم إلى العالم، ومع ذلك وصل كلامهم إلى أقطار الدنيا، وليس عندهم وسائل إعلام تبلغ هذا، لكن الله -عزّ وجلّ- هو المبلغ، وهو الذي يضع القبول، وهو الذي ينشر الكلام؛ لذلك لما قال الله لإبراهيم -عليه السلام: يا إبراهيم أذن في الناس بالحج، قال: يا رب شيخ ضعيف وصوت ضعيف، ما عسى أن يبلغ صوتي، قال: يا إبراهيم عليك الأذان وعلينا البلاغ.

فالبلاغ على الله -سبحانه وتعالى- وهو الذي يبث القبول ويبلغ الكلام، فأنت قل الحق، مع النية الصالحة، يصل قولك للناس.

الثانية: أن يكون له خلق ووقار وسكينة، يعني يكون عليه سمت أهل العلم يكون عليه خلق ووقار وسكينة حتى يكون قدوة وإماما للناس

---

(٤٠٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن باز. الشيخ العلامة الداعية الفقيه الزاهد. ولد في الثاني عشر من ذي الحجة سنة ثلاثين وثلاث مئة وألف بمدينة الرياض، وكان بصيرا ثم أصابه مرض الجدري المنتشر في تلك الفترة، وضعف بصره ثم فقده عام خمسين وثلاث مئة وألف. حفظ القرآن الكريم قبل سن البلوغ، ثم جد في طلب العلم على العلماء في الرياض، ولما برز في العلوم الشرعية واللغة؛ عُين في القضاء. وشغل الإفتاء إلى أن مات -رحمه الله- قبيل فجر الخميس في السابع والعشرين من المحرم سنة عشرين وأربع مئة وألف. من مؤلفاته: "الفوائد الجلية في المباحث الفرضية"، و"التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة"، وغيرها كثير. انظر: علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب (١/ ٧٧)، وله ترجمة موعبة في موقعه على الشبكة العنكبوتية.

(٤٠٤) أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي، الشيخ العلامة الفقيه المتفنّن. قرأ القرآن الكريم على جده لأمه، ثم اتجه إلى طلب العلم، فتعلم الخط والحساب، وبعض فنون الآداب. قرأ على الشيخ ابن ناصر السعدي "مختصر العقيدة الواسطية"، و"منهاج السالكين"، و"الآجرومية"، "الألفية"، وتأثر به كثيرا. وقرأ على الشيخ ابن باز "صحيح البخاري"، وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية. عُين مدرسا في معهد عنيزة العلمي، ثم تولى إمامة الجامع الكبير، ثم انتقل إلى التدريس في كليتي الشريعة وأصول الدين بالقصيم. وعُرض عليه القضاء فأباه. له مؤلفات وشروح للمتون العلمية كثيرة؛ منها: شرح "كتاب التوحيد"، وشرح "زاد المستقنع". ولد بعُنَيْزَةَ في السابع والعشرين من رمضان سنة سبع وأربعين وثلاث مئة وألف، وتوفي في الخامس عشر من شوال سنة إحدى وعشرين وأربع مئة وألف إثر إصابته بسرطان القولون. انظر: مقدمة مجموع الفتاوى للشيخ (١/ ٩) ط: دار الثريا، وكتاب "ابن عثيمين الإمام الزاهد" ط: دار ابن الجوزي.

الثالثة: أن يكون قويًّا على ما هو فيه، وذلك بأن يكون راسخًا في العلم، فلا يتكلم بجهل، بل يكون قويًّا في معرفة العلم والأثر، ومعرفة السنة، ويعرف وجوه الكلام، ووجوه الاختلاف، ومواطن الإجماع، ومواطن الخلاف، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، يكون قويًّا على هذا الأمر، وإلا عرض نفسه للخطر، قال الإمام مالك: والله ما أفتيت حتى سألت سبعين من علماء المدينة، أيحق لي الفتوى؟ حتى قالوا كلهم: نعم، ويقول: ولو لم يجيزوني ما أفتيت[٤٠٥].

ومع ذلك ففي أكثر المسائل يقول: لا أدري، لا أدري، فهو يطلب لنفسه مخرجًا، كما سيأتي في نصيحة أحد علماء المدينة، فقد نصح الإمام مالكًا فقال: إني أرى الناس قد أحاطوا بك، فإذا سألك السائل لا يكون همك أن تبحث للمخرج عن السائل، وابحث لمخرج عن نفسك أنت؛ لأنك ستحاسب عن كل كلامك وعن فتاويك التي تقول، فهذا دين الله وشرعه.

الرابعة: الكفاية، أي: يكون مستغنيًا عن الناس، وإلا مضغه الناس، فلولا الكفاية مضغه الناس.

ولذلك لما سأل أحد الخلفاء وجوه أهل البصرة قال: مَن سيدكم؟ قالوا: الحسن البصري، قال: كيف سادكم الحسن وهو مولى من الموالي؟! قالوا: لأننا نحتاج إليه وهو لا يحتاج إلينا، قال الخليفة: هذه السيادة؛ لأنه استغنى بالله عنكم.

فالحسن البصري لو أغلق بابه ما تركوه؛ لأنهم يحتاجون إليه، ويسألونه في أمر دينهم ودنياهم، وهو لا يسألهم شيئًا، بل يُروى أنه دخل يومًا على بقال فأعطاه بضاعة، وقال: يا أبا سعيد ما نبيعها بهذا السعر، ولكن لأنك الحسن، فقال: سبحانه الله! صرنا نأكل بديننا، يعني يترخص لنا الأسعار لأجل الدين، وردَّ البضاعة، وما اشترى لنفسه طعامًا بعدها، فكان يرسل من له حتى لا يرخصون له في السعر!

ويروى أن بعض الملوك أراد أن يبدل في شريعة أمة قبلنا، فجمع علماء عصره وقال: نحن قد قررنا أن يكون الأمر كذا وكذا، فسكتوا إلا رجلاً قام وتكلم وقال: هذا تبديل ولا يجوز، فقال: اقطعوا عطائه، فقالوا: هذا يأكل

---

(٤٠٥) اخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣١٦)، الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٣٧) عن مالك به.

من غزل أمه، قال: لهذا تجرأ علينا، وذلك لأنه لا يحتاج العطاء، فلا بد أن يكون العالم عنده كفاية وغنى نفس، وإلا مضغه الناس[٤٠٦].

قال الفضيل[٤٠٧] لعبد الله بن المبارك الزاهد الورع: يا ابن المبارك هذه القوافل تأتي وتروح! فقال: لولا هذه القوافل لتمندلوا بنا، أي: جعلونا مناديل[٤٠٨]، فكما قال الإمام: الكفاية أن يكون العالم مستغنيًا بالله عن الخلق؛ ولذلك كان السلف يعودون أنفسهم من الصغر على التقلل من الدنيا، وعدم الاستشراف للترف والتوسع فيها؛ لأن هذا ما يناسب أهل العلم.

والخامسة: معرفة الناس، وهذا أيضًا أمر مهم وهي معرفة واقع الناس، وتعرف متى تفتي بالأشد؟ ومتى تفتي بالأسهل؟ فالجاهل له حكم، والعالم له حكم؛ ولذلك مَن أفتى الناس بما في الكتب فهو جاهل، حتى يعرف واقع الناس.

ولذلك هناك مثل يضربه العلماء للفتوى؛ يقولون: الفتوى مثل الوصفة الطبية، فكما أن الطبيب الآن لا يعطي علاجًا واحدًا لكل الناس حتى ينظر في المريض وينظر في جسمه، وعند ذلك يطبق علمه على واقع المريض هذا، فكذلك الفتوى، فالفرق بين التعليم والفتوى أن التعليم هو تعلم ما في شريعة، لكن إذا جئت تفتي يحتاج إلى أن تعرف الواقع، فقد يختلف، فهي مثل الوصفة الطبية تمامًا، وهذا السبب من الأسباب التي جعلت الأئمة يكرهون أن تكتب الفتاوى؛ لأنها الفتاوى تكون على واقع معين، ثم يتناقلها الناس ويطبقونها على واقع آخر مختلف.

فالإمام أحمد كان يكره جدًّا كتابة الفتاوى ويقول: لا تأخذوا عني ولا عن سفيان، خذوا من حيث أخذنا، خذوا من الكتاب والسنة والفهم الصحيح لهما، أما كتابة الفتاوى فقد تضل الناس.

---

(٤٠٦) ذكره في الدرر السنية (ص٢٢٨)

(٤٠٧) فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي، أبو علي الزاهد، أحد صلحاء الدنيا وعبادها. ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد، وكتب الحديث بالكوفة، وتحول إلى مكة، فسكنها ومات بها في أول سنة سبع وثمانين ومئة في خلافة هارون. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٢٨١ ترجمة ٤٧٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١ ترجمة ١١٤).

(٤٠٨) أخرجه البيهقي في الشعب (١٢٦٦)، الخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٠) عن الفضيل بمعناه.

ولذلك لما قيل له: إن الكوسج[٤٠٩] كتب عنك مسائل كثيرة وهو يوزعها في خراسان، قال: أخبروه أني رجعت عنها كلها، فهو يبين للكوسج أني أنا بشر أفتي اليوم بالمسألة وغدًا يتبين لي خلافها، والناس يتناقلونها يقولون: هذا كلام أحمد؛ فلذلك يكرهون جدًّا كتابة الفتاوى، وكتابة الفتاوى وإن كان فيها مصلحة لكن فيها أيضًا مفاسد، فقد يحتجون ويقولون: فتوى الشيخ الفلاني تقول كذا، والشيخ قد يكون غفل عن واقع هذه المسألة، فيجعلون فتوى الشيخ نصًّا؛ فلذلك سيكون في كل جيل مَن يقوم بحجة الله على عباده، فهذه الأمة سيكون فيها طائفة منصورة تقول الحق.

كذلك الفتاوى على الهواء أشد؛ لأنه قد يسأل رجل يقول: طلقت امرأتي، وحصل كذا وكذا، فيقول المفتي: امرأتك حلال، فيسمعها رجل في المشرق أو المغرب ويقول: أنا مثل السائل، فيستحل امرأته مباشرة، مع أنه في الحقيقة قد لا يكون مثل السائل، فقد يكون فيه فرق لم انتبه له، وقد يكون السائل نيته تختلف أو لفظه يختلف بالطلاق، فالفتاوى التي على الهواء تصلح في الأمور التي لا تتغير بتغير الناس مثل: لو سأله متى يبدأ المسح على الخفين؟ متى ينتهي؟ كم ركعات الصلاة؟ أي: الأشياء التي لا تختلف، وأما الفتوى المطبقة على واقع معين فهذه خطر، ويسمعها الناس على الهواء ويطبقونها على أنفسهم وهي لا تصلح لهم، فلذلك قال: لا بد من معرفة الناس، فالعلم الذي عندك وواقع الناس وتطبق عليه.

ولذلك يقول شيخ الإسلام: لا بد من ثلاثة أشياء: العلم بالشريعة، والعلم بالواقع، وتنزيل الشريعة على الواقع، وأي خطأ في الفتوى إما أن يكون عدم علمه بالشريعة، وإما لم يعرف واقع السؤال، وإما لم عرف تنزيل الشريعة على الواقع.

(قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ -رَحِمَهُ اللهُ: فَأَقُولُ -وَاللهُ الْعَالِمُ: لَوْ أَنَّ رَجُلاً أَنْعَمَ نَظَرَهُ وَمَيَّزَ فِكْرَهُ وَسَمَا بِطَرْفِهِ، وَاسْتَقْصَى بِجَهْدِهِ طَالِبا خَصْلَةً وَاحِدَةً فِي أَحَدِ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ وَالْمُتَصَدِّرِينَ لِلْفَتْوَى فِيهَا لَمَا وَجَدَهَا، بَلْ لَوْ أَرَادَ أَضْدَادَهَا

(٤٠٩) الإمام الفقيه الحافظ الحجة إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج، أبو يعقوب التميمي المروزي. نزيل نيسابور. مولده بمرو، ثم رحل إلى الحجاز والشام والعراق. سمع سفيان بن عيينة، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهم من الأئمة. توفي بنيسابور سنة إحدى وخمسين ومئتين. روى له الجماعة عدا أبا داود. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٤٧٤ ترجمة ٣٨٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٥٨ ترجمة ٩٨).

وَالْمُكْرُوهَ وَالْمَرْذُولَ مِنْ سَجَايَا دَنَاءَةِ النَّاسِ وَأَفْعَالِهِمْ فِيهِمْ لَوَجَدَ ذَلِكَ مُتَكَاثِفًا مُتَضَاعِفًا، وَاللهَ نَسْأَلُ صَفْحًا جَمِيلاً وَعَفْوًا كَثِيرًا).

فقهاء المدينة يقصد بها بغداد في وقته، والمؤلف عاش في آخر القرن الرابع في بغداد، وقد ذهبت فعلاً في ذلك الوقت القرون الفاضلة، وذهب أهل الحديث، وكثر أهل الرأي والجدل، وكثر الذين يطلبون الدنيا بالدين؛ ولذلك يقول: هذه الخصال الخمس لو نبحث عن واحدة في أكثر المفتين ما وجدناها، بل وجدنا العكس، والله نسأل صفحًا جميلاً وعفوًا كثيرًا.

(حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ[٤١٠] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ[٤١١] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ[٤١٢] عَنْ أَخِيهِ[٤١٣] عَنْ أَبِيهِ[٤١٤] قَالَ: أَدْرَكْتُ الْفُقَهَاءَ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُونَ: لاَ يَجُوزُ أَنْ يَنْصِبَ نَفْسَهُ لِلْفَتْوَى، وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يُسْتَفْتَى إِلاَّ الْمَوْثُوقُ فِي عَفَافِهِ وَعَقْلِهِ وَصَلاَحِهِ وَدِينِهِ وَوَرَعِهِ وَفِقْهِهِ وَحِلْمِهِ وَرِفْقِهِ).

الفقهاء بالمدينة يقصد مدينة الرسول -صلى الله عليه وسلم؛ لأن ابن أويس وأخوه وأبوه مدنيون، فيقول: أدركت الفقهاء في المدينة يقولون: لا يجوز أن ينصب أحد نفسه للفتوى، ولا يجوز أن يُستفتى، إلا أن يكون موثوقًا في عفافه، أي: متعفف من الدنيا.

---

(٤١٠) محمد بن أحمد بن ثابت بن بيان، أبو صالح العكبري. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١١٠ ترجمة ٨٠) ط: دار الغرب الإسلامي.

(٤١١) الإمام، الحافظ، الثبت، قاضي عكبرا، أبو عبد الله، محمد بن الهيثم بن حماد بن واقد، الثقفي مولاهم البغدادي، المشهور بأبي الأحوص. له رحلة واسعة، ومعرفة تامة. قال أبو الحسن الدارقطني: كان من الحفاظ الثقات. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ. توفي بعكبرا في جمادى الأولى سنة تسع وسبعين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٥٧١ ترجمة ٥٦٦٨)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٥٦ ترجمة ٨٨).

(٤١٢) الإمام الحافظ الصدوق إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبد الله بن أبي أويس المدني، حليف بنى تيم بن مرة ابن أخت الإمام مالك بن أنس. مولده في سنة تسع وثلاثين ومئة. روى له الجماعة عدا الترمذي. قرأ القرآن وجوده على نافع، فكان آخر تلامذته وفاة. قال ابن حجر في التقريب: صدوق، أخطأ فى أحاديث من حفظه. توفي سنة ست وعشرين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٣/ ١٢٤ ترجمة ٤٥٩)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٩١ ترجمة ١٠٨).

(٤١٣) عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو بكر بن أبي أويس المدني الأعشى. روى له الجماعة عدا ابن ماجه. مات سنة اثنتين ومائتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: ثقات ابن حبان (٨/ ٣٩٨ ترجمة ١٤٠٧٣)، وتهذيب الكمال (١٦/ ٤٤٤ ترجمة ٣٧٢١).

(٤١٤) عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو أويس المدني. روى له الجماعة. توفي سنة سبع وستين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: صدوق يهم. انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ١٦٦ ترجمة ٣٣٦١)، وميزان الاعتدال (٢/ ٤٥٠ ترجمة ٤٤٠٢).

والثانية: موثوق في عقله، وهذا أيضًا أمر مهم، فيكون بعض الناس عنده علم، ولكنه ليس عنده تمييز وحسن تصرف؛ فلذلك ربما تجد تلاميذه يسيطرون عليه ويوجهونه، وينقلون له الواقع مختلفًا، ويقولون: أَفتِي في المسألة الفلانية، وأفتي في المسألة الفلانية!! فيصير لعبة في أيديهم؛ وهذا الامر كان قد انتشر بين أهل الحديث، وعند بعض طلاب الحديث، كانوا إذا رأوا الشيخ ضعيفًا لقَّنوه، فيقبل التلقين، ويلقون في حديث ما ليس فيه يقولون: أنت قلت كذا؟ فيقول: نعم! ويرويها في أحاديثه.

وكثير من العلماء -حتى في الفتاوى- في أنحاء التاريخ الإسلامي يقبل التلقين، ويسيطر عليه تلاميذه، ولا يكون عنده تمييز؛ فلذلك قالوا ليحيى بن معين[٤١٥]: ما المخرج من هذا؟ قال: يعرف الإنسان ما يخرج من رأسه[٤١٦]، أي: يتحكم في نفسه، ويدري أن هذا أمر سيسأل عنه، ولا يكثر الناس حوله؛ لأن السلف كانوا لا يحبون كثرة الطلاب حولهم؛ لأنهم يخافون أن ينقلب الأمر، فبدلاً من أن يربي الشيخ الطلاب صاروا هم الذين يسيطرون عليه، خاصة إذا كان فيه ميل للدنيا، فإنه يخاف أنهم ينفضوا ويتفرقوا من حوله؛ فلذلك يتنازل، فلا بد أن يكون موثوقًا في عقله حتى يكون إمامًا للناس، ولا يحدث بكل ما سمع، وموثوق في صلاحه وفي دينه وفي ورعه وفي فقهه وفي حلمه وفي رفقه.

(وَعِلْمِهِ بِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، وَالْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ، وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ).

كذلك في القرآن، لا بد أن يكون عالمًا بأحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وإلا كيف يفتي؟! فقد يجتهد في مسألة قد حكم فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- وفُرِغ منها، وهو يجتهد فيها، فكثيرًا ما نسمع في بعض وسائل الإعلام من يجتهد في مسألة، والرسول -صلى الله عليه وسلم- قد حكم فيها، وفرغ منها!! وهو يجتهد.

---

(٤١٥) الإمام الحافظ الجهبذ، شيخ المحدثين، يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن، وقيل: يحيى بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن بسطام وقيل يحيى بن معين بن عون بن زياد بن نهار بن خيار بن بسطام المري الغطفاني، أبو زكريا البغدادي، مولى غطفان. ولد سنة ثمان وخمسين ومئة. وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل. توفي سنة ثلاث وثلاثين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٥٤٣ ترجمة ٦٩٢٦)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٧١ ترجمة ٢٨).

(٤١٦) أخرجه السلفي في الطيوريات (٦٨٥)، الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٧٣) عن ابن معين به.

سمعت رجلاً يسأل عن امرأة توفي عنها زوجها وهي حامل، فقال: تعتد بأطول الأجلين!! مع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث سبيعة الأسلمية [٤١٧] يقول: «كَذَبَ أَبُو السَّنَابِلِ...»[٤١٨]، فإذا وضعت حملها خرجت من العدة، فهو الآن يجتهد في مسألة قد فرغ منها، وفيها وحي، وفي الصحيحين!! هذا كيف يحل له أن يفتي؟! وربما بعض الصحابة قال هذا الكلام؛ لأنه لم يبلغه الحديث فهو معذور، أما هذا فغير معذور، الآن جُمع الحديث، وكثير ممن نصب نفسه الفتوى لم يقرأ الصحيحين ولا الكتب الستة، كيف يحل له أن يفتي؟! فربما اجتهد في مسألة والوحي قد انتهى منها، وهي موجودة بنصها، فلا بد أن يعرفها.

(عَالِمًا بِالسُّنَّةِ وَالآثَارِ وَبِمَنْ نَقَلَهَا، وَالْمَعْمُولِ بِهِ مِنْهَا وَالْمَتْرُوكِ).

عالما بالسنة والآثار، والصحيح والضعيف، والمعمول والمتروك؛ ولذلك من الميزة في كتاب جامع الترمذي أنه يعقب الحديث بصحته وضعفه عنده وسؤالات البخاري، ويعقب بما عليه العمل، يقول: هذا الحديث عليه العمل، وإن كان فيه ضعف، وعمل به أهل العلم، أو عمل به فلان فلان، وهذا الحديث متروك العمل به، ولم يعمل به أحد.

ولما روى حديث ابن عباس أن النبي -عليه الصلاة والسلام- جمع من غير خوف أو مطر[٤١٩]، قال: (كل ما في كتابي هذا قد عمل به أهل العلم أو بعضهم إلا حديثين: حديث ابن عباس، وحديث: قتل شارب الخمر في المرة الرابعة الخامسة[٤٢٠][٤٢١].

---

(٤١٧) الصحابية سبيعة بنت الحارث الأسلمية. ثبت ذكرها في الصحيحين، وفي الموطأ أنها وَلَدَت بعد وفاة زوجها، فانقضت عدتها. قال ابن عبد البر: روى عنها فقهاء المدينة وفقهاء الكوفة. انظر: أسد الغابة (٦/ ١٣٧ ترجمة ٦٩٧١)، الإصابة (٧/ ٦٩٢ ترجمة ١١٢٧٢).

(٤١٨) متفق عليه: البخاري: كتاب المغازي، باب من شهد بدرا (٣٩٩١)، مسلم: كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها (١٤٨٤).

(٤١٩) صحيح: أخرجه الترمذي: كتاب أبواب الصلاة، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر (١٨٧)، قال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

والحديث عند مسلم.

(٤٢٠) صحيح: أخرجه الترمذي: كتاب الحدود، باب ما جاء من شرب الخمر فاجلدوه ومن عاد في الرابعة فاقتلوه (١٤٤٤)، قال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح .

((٤٢١)) ذكره الترمذي في مقدمة كتابه العلل الصغير من آخر كتابه الجامع (٥/ ٧٣٦).

فميزة الترمذي أنه يصلح للمبتدئين من طلبة العلم، فكل حديث يبين ما عليه العمل، ومن أفتى به، وصححه وضعفه؛ فلذلك يصلح البداية به.

(عَالِمًا بِوُجُوهِ الْفِقْهِ الَّتِي فِيهَا الأَحْكَامُ، عَالِمًا بِاخْتِلاَفِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ رَأْيٍ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالأَحَادِيثِ وَالاخْتِلاَفِ، وَلاَ صَاحِبَ حَدِيثٍ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِالْفِقْهِ وَالاخْتِلاَفِ وَوُجُوهِ الْكَلاَمِ فِيهِ، لَيْسَ يَسْتَقِيمُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلاَّ بِصَاحِبِهِ).

فصاحب الحديث لا بد أن يكون عنده فقه، وإلا لا يصلح للفتوى، بل يكون ناقلاً، مثل الصنف الثاني الذي وصفهم النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما ضرب مثل الأرض والمطر؛ فإنه الأرض أمسكت الماء حتى جاء الناس وسقوا[٤٢٢] لكن لا يفتي، وأما إذا كان صاحب حديث وعنده فقه، ويعرف الاختلاف والإجماع والعمل فهذا يفتي، وكذلك صاحب الفقه الذي ليس عنده حديث لا يفتي؛ لأنه -كما تقدم- قد يكون في المسألة وحي، فكيف يجتهد؟! فلا بد من الجمع بين الاثنين؛ الحديث والفقه.

(قَالُوا: وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ وَالصَّلاَحِ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، إِلاَّ أَنَّ طُعْمَتَهُ مِنَ النَّاسِ وَحَاجَاتِهِ مُنْزَلَةٌ بِهِمْ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَيْهِمْ، فَلَيْسَ بِمَوْضِعٍ لِلْفَتْوَى وَلاَ مَوْثُوقٍ فِيهِ فِي فَتْوًى، وَلاَ مَأْمُونٍ عَلَى النَّاسِ فِيمَا اشْتُبِهَ عَلَيْهِمْ).

فإذا كان عنده آلة الاجتهاد، ولكن حاجته منزلة بالناس وطعمته منهم، فهذا غير موثوق ولا مأمون، فإذا كان يفتي للبنك، والبنك يصرف له رواتب فهو غير مأمون له؛ لأن النفوس ضعيفة، حتى يكون منعزلاً مستقلاً، فإذا كان طعمته بالناس وحاجته منزلة بهم فهذا غير مأمون ولا موثوق، وكذلك كل مَن أفتى لمؤسسات أو قنوات ويأخذ منهم وحاجته منزلة بهم وطعمته منهم فهذا غير موثوق.

(قَدْ اقْتَصَرْتُ يَا أَخِي -صَانَكَ اللهُ- مِنْ صِفَةِ الْفَقِيهِ عَلَى مَا أَوْرَدْتُ، وَكَفَفْتَ عَنْ أَضْعَافِ مَا أَرَدْتُ، فَإِنِّي رَأَيْتُ الإِطَالَةَ بِالرِّوَايَةِ فِي هَذَا الْبَابِ مَتَجَاوِزَةً مَا قَصَدْنَا مِنْ جَوَابِ الْمَسْأَلَةِ، نَعَمْ، أَيْضًا وَتَهْجِينٌ لَنَا وَسُبَّةٌ عَلَيْنَا

(٤٢٢) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم (٧٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب مثل بيان ما بعث به النبي ﷺ (٢٢٨٢) من حديث أبي موسى الأشعري.

وَغَضَاضَةٌ عَلَى الْمَوْسُومِينَ بِالْعِلْمِ وَالْمُتَصَدِّرِينَ لِلْفَتْوَى مِنْ أَهْلِ عَصْرِنَا مَعَ عَدَمِ العَالِمِينَ لِذَلِكَ وَالْعَامِلِينَ بِهِ، فَأَسْأَلُ اللهَ أَلاَ يَمْقُتَنَا، فَإِنَّا نَعُدُّ أَنْفُسَنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْفُقَهَاءِ الْفُهَمَاءِ الْعَارِفِينَ).

أي أن الناس يعدوننا أئمة متصدرين، وعلماء ربانيين، ولعلنا عند الله كذا وكذا.

(وَنَحْسَبُ أَنَّا أَئِمَّةٌ مُتَصَدِّرُونَ عِلْمًا وَفُتْيًا، وَقَادَةُ أَهْلِ زَمَانِنَا، وَلَعَلَّنَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْفَاجِرِينَ، وَمِنْ شِرَارِ الْفَاسِقِينَ، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ[٤٢٣] -رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ: إِنَّا نَتَكَلَّمُ بِكَلاَمٍ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَسْتَحْسِنُهُ، وَلَعَلَّهَا تَلْعَنُ عَلَيْهِ).

نحسب أن الملائكة تستحسنه ولعلها تلعن عليه، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «... الْكَلِمَةُ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً قَدْ تَهْوِي بِهِ فِي النَّارِ»[٤٢٤]، فيقول الشيخ -رحمه الله: نكتفي بهذه الآثار لأسباب:

أولاً: أن الكتاب كان بسبب فتوى الخلع، ونحن أكثرنا في صفة المفتي، فهذا يخرجنا عن جواب المسألة.

ثانيًا: أنه تهجين لنا وسبة علينا، أي أن هذه الآثار كأنها موجهة للموسومين بالعلم والفتوى، قال: (فنسألُ اللهَ ألاَّ يمقتنا)، لأن الناس يعدوننا قادة، ولعلنا عند الله من الفاجرين ومن شرار الفاسقين.

(وَرُوِيَ أَنَّ قَائِلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ شَرُّ النَّاسِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ غَفْرَى، شَرُّ النَّاسِ الْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا»[٤٢٥]).

---

(٤٢٣) فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي، أبو علي الزاهد، أحد صلحاء الدنيا وعبادها. ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد، وكتب الحديث بالكوفة، وتحول إلى مكة، فسكنها ومات بها في أول سنة سبع وثمانين ومئة في خلافة هارون. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٢٨١ ترجمة ٤٧٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١ ترجمة ١١٤).

(٤٢٤) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الرقائق، باب حفظ اللسان وقول النبي -صلى الله عليه وسلم- (٦٤٧٨)، مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة.

(٤٢٥) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٤٨)معلقا بلفظ روي، قال ابن عبد البر: وهذه الأحاديث -وإن لم يكن لها أسانيد قوية- فإنها قد جاءت كما ترى والقول عندي فيها كما قال ابن عمر في نحو هذا: عش ولا تغتر.

روي بصيغة التمريض، ونسبه للنبي -عليه الصلاة والسلام، الآثار نحن لا نتشدد فيها؛ لأنها حكمة وليست من الوحي، ولكن هذا الحديث بصيغة التمريض وسنده فيه ضعف، لكن المعنى صحيح، لكنا لا ننسبه للنبي -عليه الصلاة والسلام، وإلا فالأدلة تدل على أن شر الناس العلماء إذا فسدوا؛ لأن العامة إذا فسدوا فسادهم على أنفسهم، لكن العالم إذا فسد فسد بفساده خلق كثير؛ لأنهم يحتجون به ويقتدون به.

(وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: يُوشِكُ أَلاَّ يَبْقَى مِنَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ اسْمُهُ، وَمِنَ الْقُرْآنِ إِلاَّ رَسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ وَهِيَ خَرِبَةٌ مِنَ الْهُدَى، عُلَمَاؤُهُمْ شَرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، مِنْ عِنْدِهِمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَفِيهِمْ تَعُودُ)[٤٢٦].

فخطورة العالم الفاجر الذي يدل الناس على الحيل، ويرخص لهم في معاصي الله أنه يكون شر من تحت أديم السماء، مِن عنده تخرج الفتنة وإليه تعود، وهذا كما كان علماء بني إسرائيل، فهم شر من أديم السماء، وعلماء النصارى وأحبارهم ورهبانهم شر من تحت أديم السماء كذلك.

قال الله -عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٤٢٧] وقال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [٤٢٨]؛ ولذلك هذه الأمة ستركب سننهم، وسيكون فيها مَن هو شر من تحت أديم السماء، وسيكون فيهم طائفة منصورة يقولون الحق، ولا يضرهم مَن خالفهم ولا مَن خذلهم، وهذا هو الفرق، ولكن الشاهد هنا قوله: (من عندِهم تخرجُ الفتنةُ وفيهِمْ تعودُ)؛ لأنهم إذا فسدوا فالناس تبع لهم، وهذا فتنة؛ ولذلك الشيطان يلقن العامة الحجج، وإذا أخبرته بالحق قال: الشيخ الفلاني أفتى بكذا، والشيخ الفلاني أفتى بكذا، وسمعت في القناة كذا، وسمعت في الإذاعة كذا، فأنت لا تجادل قول هذا، بل علمه الحق والذي عليه العلماء الراسخون الذين هم أرسخ وأتقى من الذي قال بالحيل.

---

(٤٢٦) ضعيف جدا: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٩٠٨)، قال البيهقي: هذا موقوف و إسناده إلى شريك مجهول. انظر السلسلة الضعيفة (١٩٣٦).

(٤٢٧) التوبة: ٣٤.

(٤٢٨) المائدة: ٤٢.

(وَقَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ: يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ، الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ، إِنَّ الدُّنْيَا لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ بِالْمِلْحِ، وَالطَّعَامُ لاَ يَطِيبُ إِلاَّ بِهِ، فَإِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ فَسَدَ الطَّعَامُ، وَذَهَبَتْ الْمَنْفَعَةُ بِهِ، وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ مِلْحُ الأَرْضِ، لاَ تَسْتَقِيمُ الأَرْضُ إِلاَّ بِهِمْ، وَإِذَا فَسَدَ الْعُلَمَاءُ فَسَدَتِ الأَرْضُ).

لا شك أنه إذا فسد أهل الدين وأهل الخير فسدت الأرض، فالعلماء ملح الأرض، فإذا فسد الملح، فكيف يصلح الطعام؟! فأمة الإسلام من أول الدهر تتأثر بأهل الدين، ولا تتأثر بالملوك ولا بالمغنيين والممثلين، فالرافضة الباطنية حكموا مصر ثلاثمئة أو أربعمئة سنة، ومع ذلك مصر ليس فيها الآن شيعي واحد، والمأمون حكمهم وأخذهم بالقوة على الاعتزال، ومع ذلك لما ذهب ذهبت كل بدعته، ورجعوا في عهد المتوكل للسنة.

أما مقتل المسلمين فيأتي من قبل أهل الخير وأهل الدين؛ ولذلك العلمانيين حاولوا إخراج المرأة منذ ثمانين سنة وعجزوا، ولكن يأتي عالم واحد ويقول: الاختلاط ليس فيه شيء، وقيادة السيارة ليس فيها شيء، وحجاب الوجه مختلف فيه، فإنه يفعل في سنة ما لم يفعله العلمانيون في ألف سنة؛ لأن الناس يغترون بأهل الدين أكثر، وإذا رأوا صاحب الدين كأنهم تخدروا.

والعلمانيون حاولوا العمل بالربا منذ ثمانين سنة، لكن الناس يبغضونهم ويكرهونهم، ولما دخل المتنسبون للدين في البنوك، وقالوا: إنها إسلامية، انتقلت في خلال سنوات كل البنوك الربوية وصارت بهذا المثابة، فدائمًا المقتل على أمة محمد يأتي من أهل الدين وأهل الخير إذا فسدوا.

لذلك قال ابن مسعود: "إن فتنة بني إسرائيل كانت على أيدي قرائهم وفقهائهم، وإن فتنة هذه الأمة ستكون على أيدي قرائها وفقهائها"، فالملوك لن يستطيعوا أن يزحزحوا الأمة، ربما تكون جولة بسيطة ولكن تنتهي، كذلك الممثلون والمنافقون لا يستطيعون، فالناس ينفرون منهم، لكن أهل الدين إذا فسدوا فسد الناس بفسادهم.

(وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ[٤٢٩] : قَدِمَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ[٤٣٠] الْكُوفَةَ، فَلَمَّا رَأَى اجْتِمَاعَهُمْ عَلَيْهِ، قَالَ: أَشَنْتُمُ الْعِلْمَ وَأَذْهَبْتُمْ نُورَهُ! لَوْ أَدْرَكَنِي وَإِيَّاكُمْ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لأَوْجَعَنَا ضَرْبًا)[٤٣١].

---

(٤٢٩) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام. مولده بالكوفة، في سنة سبع ومئة. طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف،

كان طلب الحديث في ذلك الزمان فتنة، حتى الآن طلب الإسناد العالي وطلب الأسانيد موجود، وكان الشباب في فترة نهضة الحديث في ذلك القرن والذي بعده يذهبون من أجل إسناد العالي، وإذا جاءهم رجل عنده أسانيد عالية اجتمعوا عليه وتكاثروا، حتى قال بعضهم: نخشى من هذا الحديث! أصبح بعضه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة؛ لأنه يصبح حظ الناس، بأن يكون عنده أسانيد عالية وإجازات.

فعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب من علماء المدينة، وهو ثقة، ومن رجال الصحيحين، والمكبر عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم[٤٣٢] ضعيف، فعبيد الله بن عمر جاء من المدينة إلى الكوفة، فاجتمع عليه أهل الحديث، وخرجوا عن سمت أهل العلم تكاثروا عليه، وجاءوا يريدون السند العالي، ويريدون أحاديث عن نافع[٤٣٣] عن ابن عمر، فلما رآهم قال: (أشنتُمُ العلم)، فهذا شين للعلم وذهاب لنوره، فأين السمت؟ أين الوقار؟ أين الخلق؟ كأنكم تبحثون عن بضاعة لا تبحثون عن الدين! (لو أدركَنِي وإياكُم عمرُ لأوجعَنا ضربًا)؛ لأن عمر يكره أي شيء فيه تبديل للدين.

وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ، إلا أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس، لكن عن الثقات. وتوفي سنة ثمان وتسعين ومئة بالحُجُونِ -جبل بأعلى مكة-. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٧٧ ترجمة ٢٤١٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤ ترجمة ١٢٠).

(٤٣٠) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي العمري، أبو عثمان المدني، أخو عبد الله وأبي بكر وعاصم. لحق أم خالد بنت خالد الصحابية، وسمع مها، فهو من صغار التابعين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت. ولد بعد السبعين أو نحوها، وتوفي سنة سبع وأربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٩/ ١٢٤ ترجمة ٣٦٦٨)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٠٤ ترجمة ١٢٩).

(٤٣١) أخرجه الدارمي: كتاب المقدمة، باب صيانة العلم (٥٨١)، المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٣٩٢) من طريق سفيان به.

(٤٣٢) عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو عبد الرحمن العمري المدني. قال النسائي: ضعيف الحديث. قال ابن حجر في التقريب: ضعيف عابد. توفي سنة إحدى أو اثنتين وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ٣٢٧ ترجمة ٣٤٤٠)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣٩ ترجمة ١٢٣).

(٤٣٣) الإمام المفتي الثبت، عالم المدينة، أبو عبد الله نافع القرشي، ثم العدوي العمري، مولى ابن عمر وراويته. روى عن ابن عمر، وعائشة، وأبي هريرة، ورافع بن خديج، وأبي سعيد الخدري، وأم سلمة، وأبي لبابة بن عبد المنذر، وصفية بنت أبي عبيد زوجة مولاه، وسالم وعبد الله وعبيد الله وزيد أولاد مولاه، وطائفة. وعنه الزهري، وأيوب السختياني، وعبيد الله بن عمر، وأخوه عبد الله وزيد بن واقد، وحميد الطويل، وأسامة بن زيد، وغيرهم. قال مالك: إذا قال نافع شيئا؛ فاختم عليه. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه مشهور. توفي سنة سبع عشرة ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٩/ ٢٩٨ ترجمة ٦٣٧٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٩٥ ترجمة ٣٤).

ولما رأى عمر أناسًا قد طأطأوا رقابهم، وتضاعفوا في أصواتهم وأضعفوا مشيتهم، قال: "ما بال هؤلاء"، وضربهم بالدرة، قال: "أمتم الدين أماتكم الله"، فالدين ليس بضعف الصوت المتكلف وضعف المشية، بل الدين في القلب، حتى قالوا: إن عمر وابنه عبد الله لا يعرف منهما البر حتى يعملا به، فلا يظهر ذلك في وجوههم وتصنعهم، حاشاهم ذلك، ثم جاء بعدهم نساك من العراق يظهرون العبادة في مشيتهم وفي صوتهم وفي كلامهم، فضربهم عمر؛ لأنه كان يخشى من تبديل الدين.

(هَذَا -رَحِمَكُمُ اللهُ- قَوْلُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَحِمَهُ اللهُ- لِمَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ وَهُمْ: سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ[٤٣٤] وَابْنُ عُيَيْنَةَ[٤٣٥] وَأَبُو عَبْدِ اللهِ الْخَوْلاَنِيُّ[٤٣٦] وَحَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ[٤٣٧] وَنُظَرَاؤُهُمْ، فَمَا ظَنُّكَ بِقَوْلِهِ لَوْ رَأَى أَهْلَ عَصْرِنَا؟! فَنَسْأَلُ اللهَ صَفْحًا جَمِيلاً وَعَفْوًا كَبِيرًا.

(٤٣٤) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي. من ثور. إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه. ولد سنة سبع وتسعين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، وكان ربما دلس. مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤ ترجمة ٢٤٠٧)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩ ترجمة ٨٢).

(٤٣٥) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام. مولده بالكوفة، في سنة سبع ومئة. طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ، إلا أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس، لكن عن الثقات. وتوفي سنة ثمان وتسعين ومئة بالْحَجُونِ -جبل بأعلى مكة-. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٧٧ ترجمة ٢٤١٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤ ترجمة ١٢٠).

(٤٣٦) الإمام الحافظ الفقيه محمد بن حرب أبو عبد الله الخولاني الحمصي. المعروف بالأبرش. كاتب الزبيدي. من صغار أتباع التابعين. روى له الجماعة. توفي سنة أربع -وقيل: اثنتين- وتسعين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٤٤ ترجمة ٥١٣٨)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥٧ ترجمة ١٧).

(٤٣٧) الإمام القاضي حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث، بن ثعلبة، بن عامر بن ربيعة، بن عامر، بن جشم، بن وهبيل، بن سعد، بن مالك بن النخع، أبو عمر النخعي الكوفي، ولد سنة عشرة ومئة. كان آخر القضاة بالكوفة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه تغير حفظه. ومات سنة خمس وتسعين وقيل ست وتسعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٥٦ ترجمة ١٤١٥)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٢٢ ترجمة ٦).

فَيَا طُوبَى لَنَا إِنْ كَانَتْ مُوجِبَاتُ أَفْعَالِنَا أَنْ نُوجَعَ ضَرْبًا، فَإِنِّي أَحْسَبُ كَثِيرًا مِمَّا يَتَصَدَّرُ لِهَذَا الشَّأْنِ يَرَى نَفْسَهُ فَوْقَ الَّذِينَ قَدْ مَضَى وَصْفُهُمْ، وَيَرَى أَنَّهُمْ لَوْ أَدْرَكُوهُ لاحْتَاجُوا إِلَيْهِ وَأَمَّمُوهُ، وَيَرَى أَنَّ هَذِهِ الأَفْعَالَ مِنْهُمْ وَالأَقْوَالَ الْمَأْثُورَةَ عَنْهُمْ كَانَتْ مِنْ عَجْزِهِمْ وَقِلَّةِ عِلْمِهِمْ وَضَعْفِ نَحَائِزِهِمْ، اللهُ الْمُسْتَعَانُ، فَلَقَدْ عِشْنَا لِشَرِّ زَمَانٍ).

ضعف نحائزهم، أي، طبائعهم، فالنحيزة الطبيعة، يقول: يمكن هؤلاء الذين فتنوا بالرأي وكثرة الكلام، ويرون أنهم أعلم من أولئك، ويرون أنما نقل عنهم من الخوف والورع إنما هو من عجزهم وقلة علمهم وضعفهم، وأنهم لو أدركوه لجعلوه إمامًا، وهذا صحيح، وموجود في الكتب مَن تكلم عن الصحابة! وقال: إن الصحابة لم يحرروا المسائل ولم يحققوها، ونحن الذين حررنا مسائل الاعتقاد ومسائل الفروع، وبعضهم يحاول التأدب، فيقول: الصحابة أشغلتهم المغازي عن العلم، ونحن تفرغنا وأتينا بما لم يأتوا به، وهذا هو الجهل المركب.

فالصحابة -رضي الله عنهم- هم أعمق الناس علمًا، وأصحهم قياسًا، وأدقهم فهمًا، ولكنهم ليس عندهم تكلف؛ لذلك فابن تيمية[٤٣٨] -رحمه الله- كان من فضله على أهل الإسلام أنه رأى أن الرؤوس الكبار الذين تعاظموا عند الناس رأى أن بضاعتهم الرأي والاعتقادات الفاسدة، ولكن الناس قد أوصلوهم مراتب عالية، فجاء ابن تيمية وتكلم عليهم حتى أرجعهم إلى قدرهم الحقيقي، وأخبر بأنهم لا علم لهم ولا حديث ولا آثر ولا حتى عقول صحيحة!

وكتاباتهم تدل على أنهم يرون أنفسهم فوق الصحابة، وإنهم هم الذين أتوا بالمعقولات والمنقولات وحققوا الأمور، نسأل الله العافية والسلامة، فإن الجهل المركب هو ألا يدري، ولا يدري أنه لا يدري.

---

(٤٣٨) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيميّة الحرّاني، ثم الدمشقي، الحنبلي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. برع في العلوم الإسلامية والآلية، وقمع الله به أهل الضلال، ونصر به أهل السنة. ولد سنة إحدى وستين وست مئة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة. وله من المؤلفات: الواسطية، ومنهاج السنة. انظر الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩١ ترجمة ٥٣١)، والوافي بالوفيات (٧/ ١٠ ترجمة ٦١٩).

(فَقَدْ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ السُّكَّرِيُّ[٤٣٩] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى السَّاجِيُّ[٤٤٠] قَالَ: حَدَّثَنَا الأَصْمَعِيُّ[٤٤١] قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ قَالَ: إِذَا كُنْتَ فِي زَمَانٍ يُرْضَى فِيهِ بِالْقَوْلِ دُونَ الْفِعْلِ، وَالْعِلْمِ دُونَ الْعَمَلِ، فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ فِي شَرِّ زَمَانٍ، بَيْنَ شَرِّ النَّاسِ[٤٤٢]، وَلَقَد رُوِيَ عَنْ حَبْرٍ مِنْ أَحْبَارِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَسَيِّدٍ مِنَ سَادَاتِ عُلَمَائِهَا أَنَّهُ قَالَ: مَا أَرَى أَنْ يُعَذِّبَ اللهُ هَذَا الْخَلْقَ إِلاَّ بِذُنُوبِ الْعُلَمَاءِ)[٤٤٣].

قال أبو عبد الله عبيد الله بن محمد: (وَمَعْنَى ذَلِكَ -وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنَّ الْعَالِمَ إِذَا زَلَّ عَنِ الْحَجَّةِ، وَعَدَلَ عَنِ الْوَاضِحَةِ، وَآثَرَ مَا يَهْوَاهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ، وَسَامَحَ نَفْسَهُ فِيمَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ، زَلَّ النَّاسُ بِزَلَلِهِ، وَانْهَمَكُوا مُسْرِعِينَ فِي أَثَرِهِ، يَقْفُونَ مَسْلَكَهُ، وَيَسْلُكُونَ مَحَجَّتَهُ، وَكَانَ مَا يَأْتُونَهُ وَيَرْتَكِبُونَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَحَوْبَاتِ الْمَآثِمِ بِحُجَّةٍ وَعَلَى اتِّبَاعِ قُدْوَةٍ، فَلاَ تَجْرِي مَجْرَى الذُّنُوبِ الَّتِي تُمْحَى بِالاسْتِغْفَارِ، وَمُرْتَكِبُوهَا بَيْنَ الْوَجَلِ وَالانْكِسَارِ، فَالْمُقْتَدُونَ بِهِ فِيهَا كَالسَّفِينَةِ إِذَا غَرِقَتْ غَرِقَ بِغَرَقِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَوْهَرٌ خَطِيرٌ أَضْعَافَ ثَمَنِهَا وَقِيمَتِهَا بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ).

هذا الكلام الصحيح، فقديمًا إذا سمع واحد الغناء قالوا: استغفر الله وأتوب إليه، فهذه معصية وعسى الله أن يتوب عليَّ، ولكن إذا سمع الغناء الذي حُلِّل وأصبح إسلاميًّا فلا يستغفر، وهو على حجة وقدوة، فيقول: الشيخ الفلاني يسمعها، فلا تجري مجرى الذنوب التي يستغفر منها، وإنما تكون دين يدينون الله به.

---

(٤٣٩) عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى، أبو محمد السكري. قال الخطيب: كان ثقة. توفي سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٧٠ ترجمة ٥٤٥٢)، وتاريخ الإسلام (٧/ ٤٧٨ ترجمة ١٣٤).

(٤٤٠) الإمام الثبت الحافظ، محدث البصرة وشيخها ومفتيها، زكريا بن يحيى بن خلاد المنقري البصري، أبو يعلى الساجي. قال الخطيب البغدادي: نزل بغداد، وحدث بها عن عبد الله بن داود الخريبي، وزياد بن سهل الحارثي، وعبد الملك بن قريب الأصمعي، والحكم بن مروان الضرير. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فقيه. مات بالبصرة سنة سبع وثلاث مئة وهو في عشر التسعين. انظر: الجرح والتعديل (٣/ ٦٠١)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٩٧ ترجمة ١١٣).

(٤٤١) الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن عبد شمس بن أعيا، بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان من مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الأصمعي البصري، اللغوي الأخباري، أحد الأعلام. يقال: اسم أبيه عاصم، ولقبه قريب. قال ابن حجر في التقريب: صدوق سني. توفي سنة ست عشرة ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٣٨٢ ترجمة ٣٥٥١)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧٥ ترجمة ٣٢).

(٤٤٢) أخرجه أحمد بن مروان الدينوري في المجالسة (١٥٠٨)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٢/ ٥٤، ٥٥) من طريق سفيان عن أبي حازم به.

(٤٤٣) أخرجه أحمد بن مروان الدينوري في المجالسة (٩١) عن يوسف بن أسباط به.

لذلك قال بعض من سبق: إن العلماء إذا فسدوا فلا أرى أن الله يعذب هذا الخلق إلا بذنوب هؤلاء الذين فتحوا لهم أبواب الشر، وأما الصادقون فإنهم ورثة الأنبياء، فلا يفضلهم أحد إلا أنبياء الله -عز وجل، فهم خيرة خلقه وصفوة العباد.

(الْقِسْمُ الثَّانِي: جَوَابُ السُّؤَالِ، وَنَعُودُ إلَى جَوَابِ الْمَسْأَلَةِ، وَنَسْتَوْفِقُ اللهَ لِصَوَابِ الْقَوْلِ وَصَالِحِ الأَعْمَالِ).

(وَأَمَّا الْحَالِفُ بِالطَّلاَقِ ثَلاَثَةً أَنَّه لاَ بُدَّ أَنْ يَقْتُلَ أَخَاهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحَدَّ لِذَلِكَ حَدًّا أَوْ يُوَقِّتَ لَهُ وَقْتًا، فَهُوَ غَيْرُ حَانِثٍ مَا كَانَ مُجْتَهِدًا فِي إنْفَاذِ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ، مَعَ مُوَاظَبَةِ الأَوْقَاتِ لِمُوَاظَبَةِ عَزْمِهِ وَتَصْحِيحِ نِيَّتِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَفِي إصْرَارِهِ عَلَى ذَلِكَ وَإِقَامَتِهِ عَلَيْهِ مُبَارَزَةٌ لله -عَزَّ وَجَلَّ- فِي تَعَدِّي حُدُودِهِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، وَاسْتِجْلاَبِ غَضَبِهِ وَلَعْنَتِهِ، وَالْخُلُودِ فِي أَلِيمِ عَذَابِهِ.

فَإِنْ تَلاَوَمَتْ نِيَّتُهُ أَوْ وَقَفَ عَزْمُهُ وَحَلَّ عَقْدَ الإِصْرَارِ مِنْ قَلْبِهِ، وَعَزَمَ أَلاَّ يَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا، فَسَاعَتَهُ بَانَتِ امْرَأَتُهُ، وَانْقَطَعَتِ الْعِصْمَةُ بَيْنَهُمَا وَحَرُمَتْ عَلَيْهِ، فَلَمْ تُحِلَّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، وَفِي تَرَدُّدِهِ فِي يَمِينِهِ وَضَرْبِهِ عَرْضَ الْبِلاَدِ وَمَلاَقَاةِ الرِّجَالِ يَلْتَمِسُ الْمَخْرَجَ مِنْ يَمِينِهِ وَالْخَلاَصَ مِنْ حِنْثِهِ مِنْ غَيْرِ الْوَفَاءِ بِيَمِينِهِ مَا دَلَّ عَلَى تَنَاغُمِ نِيَّتِهِ وَوُقُوفِ عَزْمِهِ وَفُتُورِ قَلْبِهِ عَمَّا كَانَ حَلَفَ عَلَيْهِ، فَصَارَ ذَلِكَ إلَى صَرِيحِ الْحَنْثِ بِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ).

هذا جواب الشيخ عن مسألة السائل، وهذا أحد القولين في المسألة، وهو قول الإمام أحمد وقول الجمهور: أن الحلف بالطلاق طلاق، فما دام أنه حلف بالطلاق ثلاثًا أن يقتل فلانًا، وما دام عازمًا على قتله ويبحث عنه، فزوجته عنده تحت يمينك؛ لأنه لم يحنث، ولكنك مقيم على سخط الله؛ لأن قتل مسلم لا يجوز ويستوجب لأليم عقابه ولعنته.

فإذا تلاومت نيتك وندمت على إرادة القتل، ووقف عزمك وانحل عقد الإصرار، ولم ترد القتل، عند ذلك انحلت المرأة وطلقت ثلاثًا، ولا تحل لك إلا بزوج آخر، قال: وإن تلاومت نيتك، فأنت متردد وتبحث عن مفتٍ، وتضرب عرض البلاد، وتلاقي الرجال، وتبحث عمن يخلصك، فمعناه إنك انتهيت من مسألة القتل ولا تريد قتله، فالقتل انتهى الآن، وحصل الطلاق، هذا هو مخلص جواب الشيخ، وهذا أحد القولين في المسألة، لكنه سيرجع إلى كلام المفتي الذي أفتاه.

(وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِ الْمُفْتِي أَنْ تَسْأَلَ امْرَأَتَكَ أَنْ تَفْتَدِيَ مِنْكَ نَفْسَهَا بِشَيْءٍ تُعْطِيكَهُ مِنْ مَالِهَا، فَإِذَا قَبِلَتَ الْفِدْيَةَ طَلَّقْتَهَا تَطْلِيقَةً بَائِنَةً فَانْخَلَعَتْ مِنْكَ، وَسَقَطَتْ عَنْكَ الْيَمِينُ الأُولَى، ثُمَّ اخْطُبْهَا مِنْ وَلِيِّهَا وَتَزَوَّجْهَا تَزْوِيجًا ثَانِيًا، وَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ مَعَكَ.

إِنَّ هَذَا الْجَوَابَ لاَ يَجْرِي مَجْرَى الْفَتْوَى، وَلاَ يُقَالُ لِقَائِلِهِ مُفْتٍ وَلاَ فَقِيهٌ؛ لأَنَّ الْفَتْوَى عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ تَعْلِيمُ الْحَقِّ وَالدَّلاَلَةُ عَلَيْهِ، قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ﴾[٤٤٤] يَقُولُ: يَسْتَعْلِمُونَكَ، قُلِ: اللهُ يُعَلِّمُكُمُ الْحَقَّ، وَيَدُلُّكَ عَلَيْهِ قَوْلُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾[٤٤٥] فَالْفَتْوَى هِيَ تَعْلِيمُ الْحَقِّ وَالدَّلاَلَةُ عَلَيْهِ).

هذا كلام مهم أن يقول للذي قال لك هذا الكلام هذه ليست بفتوى، وقائله لا يسمى مفتيًا ولا فقيهًا، فالسلف كانوا يفهمون أن الفتوى هي البحث عن مراد الله -عز وجل، وتعليم الناس الحق والدلالة عليه، والذي لا يبحث عن مراد الله هذا ليس بمفتٍ، وكلامه يسمى هوى؛ ولذلك الله -عز وجل: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ﴾[٤٤٦] أي: يعلمكم الحق، وقالوا: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾[٤٤٧] والنبي -عليه الصلاة والسلام- أفتى، وجمع فتاويه ابن حزم[٤٤٨] وجمع فتاوى أكابر الصحابة، ونقلها عنه ابن القيم[٤٤٩] في إعلام الموقعين وفي زاد المعاد، فذكر كل صحابي وعدد فتاويه.

---

(٤٤٤) النساء: ١٧٦.

(٤٤٥) يوسف: ٤٦.

(٤٤٦) النساء: ١٧٦.

(٤٤٧) يوسف: ٤٦.

(٤٤٨) الإمام الأوحد، البحر، ذو الفنون والمعارف، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي -رضي الله عنه- المعروف بيزيد الخير، نائب أمير المؤمنين أبي حفص عمر على دمشق، الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير الظاهري، صاحب التصانيف. ولد سنة بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاث مئة. فنشأ في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاء مفرطا، وذهنا سيالا، وكتبا نفيسة كثيرة. مات سنة ست وخمسين وأربع مئة. له من المؤلفات: "المحلى" في الفقه، و"الإحكام" في أصول الفقه، انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤ ترجمة ٩٩)، و"ابن حزم فقهه وآراؤه" للشيخ/ محمد أبو زهرة.

(٤٤٩) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، شمس الدين أبو عبد الله، الزرعي، ثم الدمشقي. الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف. ابن قيم الجوزية. تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة. وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة،

فهم يبحثون عن مراد الله، فلا يبحث عن الأيسر ولا يبحث عن الأشد ولا يبحث عن الوسط، بل يبحث عن مراد الله، فإذا وُفِّق لمراد الله فإن في مراد الله اليسر، وفيه الوسط والخير، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾[٤٥٠] فأنتم ابحثوا عما يريد الله، فإذا عرفتم ما يريد الله ففي أثنائه وفي داخله اليسر كله، ولو كان في الظاهر شديدًا فهو اليسر؛ قال –تعالى: ﴿وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٤٥١].

أما من تعمد التيسير ولو كان مخالفًا لمراد الله فهذا ليس تيسيرًا بل هذا تبدل، ومن تعمد التوسط ولو كان مخالفًا لمراد الله فهذا ليست وسطية، بل وضع وسطًا من عنده هو، فالمفتي هو مَن يبحث عن مراد الله، وماذا يريد الله –عز وجل؟ فمثلاً مسألة الخلع، ماذا يريد ربنا لما شرع الخلع؟! الله يريد أن الرجل إذا كره المرأة ففي يده الطلاق، لكن المرأة إذا كرهت الرجل، فماذا في يدها؟ هل تبقى طول حياتها وهي مسجونة وتكرهه ولا تطيق العيش معه ولا تقوم بحقه؟! لا، لذلك فالله –عز وجل– من رحمته أن فتح بابًا وهو الخلع، فترد لزوجها المهر أو بعضه ويطلقها تطليقة واحدة بائنة.

فهذا المفتي يكذب ويوصيهم بالخلع! فالخلع غير مراد لهما، فالمرأة لم تكره الزوج، والزوج لم يكرهها، وإنما يوصيهم بالخلع مخالفًا لمراد الله، يريد به أن يفك اليمين، إذن لا يسمى مفتيًا، لأنه لم يبحث عن الحق، ولم يبحث عن مراد الله، بل بحث فقط عما يريده الناس.

(وَأَمَّا مَنْ عَلِمَ الْحِيلَةَ وَالْمُكَارَةَ فِي دِينِ اللهِ وَالْخَدِيعَةَ لِمَنْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، حَتَّى يُخْرِجَ الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ فَلاَ يُقَالُ لَهُ: مُفْتٍ؛ لأَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلاَمُ– وَشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ، فَقَدْ تَيَقَّنَ عِلْمًا وَعَلِمَ يَقِينًا أَنَّ هَذِهِ حِيلَةٌ لإِبَاحَةِ مَا حَذَّرَهُ اللهُ، وُتُوْسِعَةِ مَا ضَيَّقَهُ اللهُ، وَتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ اللهُ، وَلَفْظٌ حَقٌّ فِي ظَاهِرِهِ أُرِيدَ بِهِ بَاطِلٌ فِي بَاطِنِهِ، وَقَدْ عَلِمَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْفُقَهَاءُ الدَّيَّانُونَ أَنَّ الْحِيلَةَ عَلَى اللهِ وَفِي دِينِ اللهِ لاَ تَجُوزُ، وَأَنَّ فَاعِلَهَا مُخَادِعٌ للهِ وَلِلرَّسُولِ، وَمَا يُخَادِعُ إِلاَّ

ولهج بالذكر. له تواليف حسان؛ منها: "زاد المعاد"، و"بدائع الفوائد". ولد سنة إحدى وتسعين وست مئة، وتوفي سنة إحدة وخمسين وسبع مئة. انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣)، والذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠ ترجمة ٦٠٠).

(٤٥٠) البقرة: ١٨٥.

(٤٥١) البقرة: ١٨٥.

نَفْسَهُ، لاَ مَنْ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَيَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ، وَمَنْ قَالَ: ﴿إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾[٤٥٢] وَمَنْ قَالَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٤٥٣] وَمَنْ قَالَ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ ولا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ ولَا فِي السَّمَاءِ ولاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ ولاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٤٥٤]).

يقول السائل: أحسن الله إليكم، أُعاني كثيرًا من مسألة الإخلاص، فهل من كلمة توجهها إليَّ؟

جاهد نفسك، فالسلف كانوا يعانون في الإخلاص يقولون: ما رأينا أشد من النية، كأنها تنبت على لون آخر، كلما آتيناها من هنا جاءت من هنا، فهذا أعظم الجهاد أن تجاهد نفسك في إخلاص العمل وإرادة الله والدار الآخرة، وتوفق إن شاء الله، قال الله -تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنهُمْ سُبُلَنَا﴾[٤٥٥] وأن تعلم أن الدنيا زهيدة ليست بشيء، فلا تستحق أن يصرف لها العمل أو الجهد.

يقول: هل زواج السر بدون علم أهل الزوج لمصلحة وكذلك دون علم الجيران وأهل المرأة يعد حيلة؟

لا شك في هذا، فالله لما وصف النكاح قال: ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾[٤٥٦] فإذا كان سرًّا ولم يعلم به أحد هذا يشبه متخذي الأخدان، فالفرق بين النكاح والسفاح الإظهارُ والإعلان وضرب الدف، وأمر يرفع الرأس لا أن يختبئ به؛ لأن هذا الذي يكون فيه اختباء وسر فيه مفاسد كثيرة.

يقول المؤلف -رحمه الله: إن الفقه ليس بكثرة السرد وسعة الهذر... إلى آخره، أليس هذا يخالف ما كان عليه الصحابة -رضي الله عنهم- من كثرة السرد؛ فهذا أبو هريرة -رضي الله عنه- من أكثر المحدثين عن الرسول -

(٤٥٢) آل عمران: ٢٩.

(٤٥٣) ق: ١٦.

(٤٥٤) يونس: ٦١.

(٤٥٥) العنكبوت: ٦٩.

(٤٥٦) المائدة: ٥.

صلى الله عليه وسلم، والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً...»، إلى آخر الحديث، فكيف نجمع؟

أولاً هذا ليس كلام المؤلف، بل هذا كلام عمر بن الخطاب [٤٥٧]، أما قوله -عليه الصلاة والسلام-: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا..»[٤٥٨]، فلا بد أن يعي الإنسان المقالة ويفهمها ويؤديها كما سمعها، فإذا وعاها وعمل بها وأداها فهو على خير، فكلام العلماء كلهم أن كثرة الروايات تدل على العلم، لكن ليست هي العلامة الوحيدة، مثل كثرة العبادة علامة تدل على الخير، لكن قد توجد عبادة ولا تنفع مثل الخوارج، كذلك في العلم قد يكون عنده كثرة سرد وسعة هذر لكنه لم ينتفع، فلا يسمى عالمًا حتى يُنظر في عمله والصفات الأخرى، هذا وجه الأمر، وليس تزهيدًا في طلب العلم، وإنما تبين حقيقته.

أحسن الله إليكم، ما الفرق بين المحكم والمتشابه؟

المحكم: هو أم القرآن، أي أكثر القرآن، وهو الأمور الظاهرة الواضحة التي ليس فيها أوجه مختلفة، مثل المعلوم من الدين بالضرورة، مثل: الشرك والظلم والربا والزنا.. فهذه أمور محرمة في الدين، وهناك أمور متشابهة ولها أوجه، أو أحاديث متشابهة لها أوجه فهذه الآيات والاحاديث هي المتشابه، وقد تحتمل معنيين أو ثلاثة أو أربعة، فقد يكون بعض معانيها ليس هو المراد، ويؤدي إلى أشياء ليست صحيحة.

وإلا لن تجد صاحب ضلالة إلا سيجد في القرآن ما قد يؤيده على ضلالته، حتى اليهود والنصارى قد يحتجون بقول الله -عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤٥٩] قد يقولون: القرآن يصحح مذهبنا، ويثني علينا! نقول: لا، هذا متشابه لها أوجه، أما المحكم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾[٤٦٠] وقوله:

---

(٤٥٧) أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٩)، ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/ ١١٥) عن عمر بن الخطاب به.

(٤٥٨) صحيح: أخرجه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٢٦٥٨)، ابن ماجه: في المقدمة، باب من بلغ علما (٢٣٢)، من حديث عبد الله بن مسعود، قال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح. وفي الباب من حديث جبير بن مطعم، وأبي بكرة.

(٤٥٩) البقرة: ٦٢.

(٤٦٠) المائدة: ٧٣.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[٤٦١] وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾[٤٦٢] هذا هو المحكم، أما هذه الآية فلها وجه؛ فالذين لم يدركوا النبي -عليه الصلاة والسلام- وآمنوا بأنبيائهم فهؤلاء يثنى عليهم، أو الذين آمنوا بأنبيائهم وأدركوا النبي -صلى الله عليه وسلم- وآمنوا به، فما من صاحب هوى إلا وسيجد في متشابه القرآن ما يوهم أنه يؤيده على بدعته! حتى يرد المتشابه إلى المحكم!

أحسن الله إليكم، يقول السائل: ذكرتم -حفظكم الله- أنه لا ينبغي للعالم أن يكون مترفعًا على الآخرين ويمنع من اللحاق به، ألم يقل الرسول -صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ؟!»[٤٦٣].

بلى، قال -عليه الصلاة والسلام: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ»، وتوقير العالم له وجوه كثيرة، لكن هذا الذي نهى عنه عمر وأبيٌّ بن كعب[٤٦٤] وعليٌّ، ونهى عنه من هو أفقه منا؛ لأن هذا فتنة للمتبوع وذلة للتابع[٤٦٥]، فإذا مشي مع العالم يسأله فلا بأس، أما التجمع حول العالم واللحاق به في كل مسألة هذا يشبه ما عند الصوفية من تعظيم علمائهم، حتى رفعوهم فوق منزلتهم، فهذا ليس من التوقير، بل هذا فتنة له وفتنة لهم، كما قال الصحابة، وهم أعلم منا وأعرف بحقائق الأمور.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: ما واجب المرء في هذه الفتن فهي تموج بالناس، فهل من نصيحة؟

---

(٤٦١) المائدة: ١٧.

(٤٦٢) التوبة: ٣٠.

(٤٦٣) حسن: أخرجه أحمد في المسند (٢٢٧٥٥) بنحوه، من حديث عبادة بن الصامت، قال الهيثمي في المجمع (١/ ٣٣٨)، (٨/ ٣٣): إسناده حسن. وفي الباب من حديث ابن عباس، وواثلة، وغيرهما.

(٤٦٤) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار. سيد القراء، أبو منذر الأنصاري النجاري المدني المقرئ البدري، ويكنى أيضا أبا الطفيل. شهد العقبة، وبدرا، وجمع القرآن في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعرض على النبي -عليه السلام-، وحفظ عنه علما مباركا، وكان رأسا في العلم والعمل -رضي الله عنه-. قال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ليهنك العلم أبا المنذر». مات سنة اثنتين وثلاثين. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٢ ترجمة ٢)، وأسد الغابة (١/ ١٦٨ ترجمة ٣٤).

(٤٦٥) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب من كره الشهرة والمعرفة (٥٣٢)، موقوفا على عمر بن الخطاب .

النصيحة: يجتنبها أول شيء، فالوقاية خير من العلاج، فحاول أن تسحب نفسك من الفتن، ولا تقل: سأجرب وأسمع وأجالس وأفتح نظري وقلبي وسمعي لكل شيء، هذه أعظم نصيحة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- كان يستعيذ بالله من الفتن[٤٦٦]، حتى الدجال مَن سمع منكم به فلا يأتيه، فالنصيحة: لا تنظر في قنوات السوء والبدع والشبهات أو قنوات الشهوات ولا مواقعهم ولا مجالسهم ولا كتبهم ولا أشرطتهم، بل اسحب نفسك، واشتغل بما يعنيك، واسأل الله دائمًا النجاة، واعتصم به تُوَفَّق بإذن الله.

أحسن الله إليكم، قول ابن عباس -رضي الله عنهما- للذي في عينيه الشر: ليس لك توبة، ألا يعتبر إعطاء حكم شرعي لا يصح؟

لا، ليس ذلك، وإنما أعطاه الآية على ظاهرها: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٤٦٧] قرأ عليه هذه الآية وبيَّن له ليخوفه، والمسألة فيها قولان: بعض العلماء ومنهم ابن عباس في قول له يرى أن القاتل ليس له توبة، وإنما لا بد أن يمحص بالنار[٤٦٨]، صحيح أنه تحت المشيئة، لكن لا بد أن يمحص؛ لأن ظاهر الآية صحيح، وأن كل ما دون الشرك يقبل المغفرة.

أحسن الله إليكم، ما حكم مَن قال: أبيعك هذه السلعة بخمسين ونسيئة بمئة؟ وهل هذا داخل في حديث «فَلَهُ أَوْكَسُهُمَا أو الربا »[٤٦٩] داخل في هذا؟ وهل هو من حيل الربا؟

إذا قال أبيعك بخمسين نقدًا أو مئة نسيئة، إذا اتفقوا على إحدى البيعتين وانعقد العقد عليهما فلا بأس، وإذا قال هذه السيارة إذا أردتها نقدًا بخمسين، وإذا أردتها مؤجلة بستين، واختر أحدى البيعتين من الآن، ويتفرقون

---

(٤٦٦) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر (١٣٧٧)، مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٥٨٨) من حديث أبي هريرة.

(٤٦٧) النساء: ٩٣.

(٤٦٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠١٨٧ - ١٠١٩٧) من طرق عن ابن عباس به وبنحوه.

(٤٦٩) حسن: أخرجه أبو داود: كتاب البيوع، باب فيمن باع بيعتين في بيعة (٣٤٦١)، من حديث أبي هريرة، قال الألباني في صحيح أبي داود: حسن.

عليها، فهذه لا بأس، وأما إذا تفرقوا وهو معلق إما خمسين أو ستين فهذه من صور البيعتين في بيعة، وإذا كان تشبه العينة، أي: يعطيه ستين ويستردها بخمسين، فهذه حيلة على الربا.

أحسن الله إليكم: ما صحة حديث: «اخِلاَفُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ»[٤٧٠] وهل الخلاف رحمة؟

هذا الحديث لا يصح بهذا اللفظ، والخلاف شر، لكن المقصود بالرحمة المسائل الاجتهادية التي فيها مجال للاجتهاد، كما اختلف أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم، هذا هو المقصود، قال عمر بن عبد العزيز[٤٧١] : ما

(٤٧٠) موضوع: قال السخاوي في المقاصد الحسنة حديث: اختلاف أمتي رحمة، البيهقي في المدخل من حديث سليمان بن أبي كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله: (مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد في تركه فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي؛ إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة)، ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني والديلمي في مسنده بلفظه سواء وجويبر ضعيف جدا والضحاك عن ابن عباس منقطع، وقد عزاه الزركشي إلى كتاب الحجة لنصر المقدسي مرفوعا من غير بيان لسنده ولا صحابيه وكذا عزاه العراقي لآدم بن أبي اياس في كتاب العلم والحكم بدون بيان بلفظ (اختلاف أصحابي رحمة لأمتي) قال وهو مرسل ضعيف وبهذا اللفظ ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير اسناد وفي المدخل له من حديث سفيان عن أفلح بن حميد عن القاسم بن محمد قال اختلاف أصحاب محمد رحمة لعباد الله، ومن حديث قتادة أن عمر بن عبد العزيز كان يقول: ما سرني لو أن أصحاب محمد لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة، ومن حديث الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال أهل العلم أهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا فلا يعيب هذا على هذا إذا علم هذا، وقد قرأت بخط شيخنا إنه يعني هذا الحديث حديث مشهور على الألسنة وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ (اختلاف أمتي رحمة للناس)، وكثر السؤال عنه وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له، لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطردا وقال اعترض على هذا الحديث رجلان أحدهما ماجن والآخر ملحد وهما إسحاق الموصلي وعمرو بن بحر الجاحظ وقالا جميعا لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا ثم تشاغل الخطابي برد هذا الكلام ولم يقع في كلامه شفاء في عزو الحديث ولكنه أشعر بأن له أصلا عنده ثم ذكر شيخنا شيئا مما تقدم في عزوه.

قال الألباني في السلسلة الضعيفة: لا أصل له، ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند فلم يوفقوا، حتى قال السيوطي في "الجامع الصغير": ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا ! وهذا بعيد عندي، ثم قال: ونقل المناوي عن السبكي أنه قال: ليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع، وأقره الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على تفسير البيضاوي.

(٤٧١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، أبو حفص المدني، ثم الدمشقي. أمير المؤمنين، الإمام العادل، والخليفة الصالح، وأمه أم عاصم حفصة، وقيل ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. وَلِيَ الخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك بن مروان، وكان من أئمة العدل، وأهل الدين والفضل، وكانت ولايته تسعة وعشرين شهرا مثل ولاية أبي بكر الصديق. قال ابن

يسرني أن أصحاب محمد لم يختلفوا؛ لأنه لو لم يختلفوا لشق الأمر عليَّ[٤٧٢]، لكن اختلافهم جعل في المسألة سعة ، والخلاف يكون في المسائل الاجتهادية، فهم لا يختلفون في شيء فيه نص أو إجماع، وأما مطلق الخلاف فهو شر، والجماعة هي الخير، فلا يقال: اختلاف الأمة رحمة، مطلقًا.

(نموذج للفتوى عند أهل الحديث وأهل الفتوى الصادقين)

نشرح كلام الإمام أبي عبد الله عبيد الله بن بطة في مسألة الخلع، وننظر طريقة أهل الحديث الربانيين في الفتوى، فإنك ستجد اليوم أنهم يتبعون في دينهم الأمر الأوثق، فيحشد في المسألة الآثار وقبلها الآيات والأحاديث والفهم الصحيح، والبحث عن مراد الله -عز وجل- حتى تخرج من المسألة وأنت على يقين من دينك، وعلى ثقة في أن هذا هو الدين الذي ينجي عند رب العالمين؛ ولذلك كان الإمام أحمد -رحمه الله- قليل التمثل بأبيات الشعر، لكن بعض الأبيات يقولها أحيانًا، فمن ضمن الأبيات التي كان الإمام أحمد يرددها:

دين النبي محمد آثار *** نعم المطية للفتى الأخبار

لا ترغبن عن الحديث وأهله *** فالرأي ليل والحديث نهار

فلربما جهل الفتى سبل الهدى *** والشمس واضحة لها أنوار

وشيخه الشافعي هو القائل:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ***إلا الحديث وعلم الفقه في الدين

العلم ما كان فيه: قال، حدثنا *** وما سوى ذاك وسواس الشياطين

فأهل الحديث هم أوثق الناس في دينهم، ويمشون على الأثر وعلى نور من ربهم؛ ولذلك يخف حسابهم عند الله -عز وجل، فإن اتبع الدليل والأثر ومشى على نور من ربه وتهيب أن يقول في دين الله ما لا يعلم، يخف حسابه يوم القيامة، بخلاف مَن يتكلم في دين الله برأيه، ويقول: هذا حلال وهذا حرام، وأهل الحديث يبنون الدين كله على حديثين، هما قطبا الرحى للدين؛ وهما: حديث عمر -رضي الله عنه، وحديث عائشة، فحديث عمر يقول -

---

حجر في التقريب: عُد مع الخلفاء الراشدين. ولد سنة ثلاث وستين، ومات يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة إحدى ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٤٣٢ ترجمة ٤٢٧٧)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤ ترجمة ٤٨).

(٤٧٢) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٧٠)

عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[٤٧٣] فهذا الحديث هو ميزان الباطل، وحديث عائشة: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[٤٧٤] فهذا الحديث في المعاملات والأنكحة والعبادات وفي كل شيء؛ ولذلك فاعتبار القصد والنية هو الذي يغلق باب الحيل.

وسنلاحظ أن الشيخ أَعْمَلَ هذين الحديثين، فحديث عائشة ينظر في الخلع، هل هو الخلع الذي شرعه الله؟ وحديث عمر يبين مراد الله -عز وجل- من الخلع، ومراد هذا المفتي والمستفتي من الخلع؟ وهل مراده موافق لمراد الله؟ وهل هم أرادوا الخلع كما شرعه الله أم أرادوه محللاً ليمينهم التي فعلوها؟! فهذه دورة تدريبية في طريقة الفتوى عند أهل الحديث، وكيف كان القوم يتكلمون في دين الله بهذا النور.

(قَدْ عَلِمَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنَّ الْخُلْعَ الَّذِي أَفْتَى بِهِ هَذَا الْمُفْتِي لَيْسَ هُوَ الْخُلْعُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَلاَ هُوَ الَّذِي عَلِمَهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عِبَادِهِ).

التأمل في كلامه طيب؛ لأن هذه المسألة يقاس عليها كل مسائل الدين، فيقول: (هذا الخلعُ الذي أفتى به المفتي ليس هو الخلع الذي ذكره الله في كتابه، ولا الذي علمه المؤمنون من عباده)، مع أنه في ظاهر الأمر خلع، والمرأة ستدفع المهر، ويختلع الرجل، لكنه قال: ليس هو الذي ذكره الله في كتابه، كذلك الذي يظهر البيع وهو يريد القرض، أو يظهر الشركة ولا يريدها، نقول: ليس هو الذي أحله الله في كتابه، وإن كان ظاهره أنه بيع، كذلك نكاح التحليل فيه: ولي وشهود ومهر وإعلان، نقول: ليس هذا النكاح الذي أحله الله في كتابه؛ لأن هذا -وإن انطبق فيه حديث عائشة- لم ينطبق عليه حديث عمر، «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

(وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ جَعَلَ الرِّجَالَ قَوَّامِينَ عَلَى النِّسَاءِ، وَجعلَ عَقْدَ النِّكَاحِ بِأَيْدِهِمْ، وَجَعَلَ النِّسَاءَ كَالْعَوَانِي عِنْدَهُمْ، وَلَمَّا جَازَ أَنْ يَقَعَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْقَوْلِ وَالنِّفَارِ وَالْبُغْضِ وَالنُّشَازِ مَا إِنْ تَعَاشَرَا مَعَهُ خَافَا عَلَى

---

(٤٧٣) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (١، ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣) واللفظ له، مسلم كتاب الإمارة، باب قوله -صلى الله عليه وسلم-: «إنما الأعمال بالنية» (١٩٠٧).

(٤٧٤) أخرجه مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

أَنْفُسِهِمَا الْخُرُوجَ عَنْ أَحْكَامِ الطَّاعَةِ إِلَى شُرُورِ الْمَعْصِيَةِ، وَلاَ سَبِيلَ لِلْمَرْأَةِ إِلَى حَلِّ عِصْمَتِهَا بِنَفْسِهَا، وَكَانَ وُجُوبُ الْمَهْرِ عَلَى الزَّوْجِ وَمَا يَخَافُهُ مِنَ الْمُطَالَبَةِ يَمْنَعُهُ مِنْ تَخْلِيَةِ سَبِيلِهَا، جَعَلَ لِذَلِكَ حُكْمًا بَائِنًا مِنَ الْخُلْعِ بِإِعْطَاءِ الْفِدْيَةِ تَمْلِكُ الْمَرْأَةُ بِهِ نَفْسَهَا، وَيَبْرَأُ الزَّوْجُ بِذَلِكَ مِنْ صَدَاقِهَا، فَأَمَرَ بِالْخُلْعِ وَقُبُولِ الْفِدْيَةِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ لِذَلِكَ نَفْسِهِ، وَسَمَّاه حَدًّا مِنْ حُدُودِهِ الَّتِي مَنْ تَعَدَّاهَا كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٤٧٥] فَجَعَلَ الاخْتِلاَعَ عَلَى الْمَرْأَةِ آثَامًا، وَأَخْذَ الرَّجُلِ مِنْهَا الْفِدْيَةَ حَرَامًا، إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَخَافَتِهِمَا عِصْيَانَ اللهِ، وَالإِقَامَةَ بَيْنَهُمَا عَلَى عِشْرَةٍ فِيهَا تَعَدِّي حُدُودِهِ، وَالْمُفْتِي بِالْخُلْعِ فِي الْمَسْأَلَةِ الْمَذْكُورَةِ حَالُهُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ هَذَا الْحَالِفَ قَدْ وَضَعَ الْخُلْعَ فِي غَيْرِ مَا وَضَعَهُ اللهُ وَقَصَدَهُ، وَهُوَ: ﴿إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾[٤٧٦] أَيْ: فِيمَا افْتَرَضَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ الْعِشْرَةِ وَالصُّحْبَةِ).

هذا المدخل الصحيح للمسألة، المفتي الآن من أهل الحديث، فأول ما يدخل المسألة يدخل من هذا الباب، فينظر أولاً: ماذا أراد الله من هذا الشيء؟ هذا هو السؤال الذي يطرأ على المفتي من أهل الحديث، لماذا شرع الله الخلع؟ لماذا شرع الله الطلاق؟ يسأل نفسه هذه الأسئلة، ماذا أراد الله بالبيع وحله؟ وماذا أراد الله بتحريم الربا؟ ولماذا حرم الله نكاح التحليل؟ فينظر في هذه المسألة، فهذا المفتي -عبيد الله بن بطة- وهو من أهل الحديث سأل نفسه: لماذا شرع الله الخلع؟ حتى ننظر هل هذا المفتي والمستفتي قد وافقوا مراد الله أم هم يحتالون؟ الله -عز وجل- يقول: ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾، وهما الزوجان، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾، أي: فيما افترض على كل واحد منهما في حسن العشرة والصحبة ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾[٤٧٧] أي أن المرأة تفتدي نفسها من زوجها كما سيأتينا الآن في الأحاديث والآثار، إذن هذا هو مراد الله من الخلع هو شبيه بالطلاق لكن الطلاق بيد الزوج، والخلع هو المقابل له عند الزوجة.

ولكن الزوج قد يمتنع من الطلاق؛ لأنه يخاف من دفع المهر، خاصة إذا كانت الأحوال شحيحة وليس عنده أموال....

---

(٤٧٥) البقرة: ٢٢٩.

(٤٧٦) البقرة: ٢٢٩.

(٤٧٧) البقرة: ٢٢٩.

فقد يمنعه من إطلاق عصمتها، مع هذا النفور والبغض الذي بينهما؛ لأنه يخاف من ذَهاب ماله، وقد لا يتيسر له مال آخر ليتزوج به بدلاً عن هذه المرأة؛ فشرع الله –عز وجل– هذا الشرع الكامل؛ أن المرأة ترد له ماله وتفتدي نفسها، فهذا هو الخلع الذي أراده الله –عز وجل، ولما انتقلنا إلى هذا المفتي وجدناه يأمر المستفتي أن يخلع زوجته، مع أنهما لا تنطبق عليهم الآية، وليس بينهما نفور ولا بغض، فهو الآن يفتح لهم بابًا مغلقًا عليهم، فالله –عز وجل– ما فتح باب الخلع إلا لمن كان كما وصف في الآية: ﴿إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾(٤٧٨).

فهذا المفتي فتح لهم بابًا لم يفتحه الله لهم، إذن لماذا يدخلون من هذا الباب؟ يدخلون من هذا الباب لأنهم يريدون أن يحلوا اليمين، وهذا تلاعب بالشريعة؛ ولذلك فالله –عز وجل– في نفس آية الخلع قال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

ومِن تعدي حدود الله أن يستخدم الخلع في غير ما شرع الله، ومِن تعدي حدود الله أن يستخدم البيع في غير ما شرع الله، فالمشتري لا يريد السلعة، والبنك لا يريد السلعة، وإنما جعلوها محللاً للقرض بزيادة، والسلعة هذه – كما قال ابن عباس: "دراهم بدراهم ودخلت بينهما السلعة"(٤٧٩)، محلل كمحلل النكاح، إذن هذا البيع ليس هو البيع الذي شرعه الله، هذا بيع صوري، ماذا تريدون؟ قالوا: نريد أن نبيع له المال ونرده مرة أخرى، فهذا محلل فقط.

فهذه مخادعة لله –عز وجل، وهذا الولي والزوج والشاهد الذين في نكاح التحليل، أظهروا نكاحًا من: الولي والشهود والمهر، نقول: هل تريدون النكاح الذي شرعه الله للألفة والازدواج والذرية والسكن؟ فيقولون: لا، فلماذا يتزوجون؟ قالوا: حتى نحلها لزوجها الأول، نقول: هذا ليس النكاح الذي شرعه الله، هذا سفاح، كما سماه النبي –عليه الصلاة والسلام: «تَيْسٌ مُسْتَعَارٌ»(٤٨٠).

---

(٤٧٨) البقرة: ٢٢٩.

(٤٧٩) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٠٥٢٧) بنحوه.

(٤٨٠) حسن: أخرجه ابن ماجه: كتاب النكاح، المحلل والمحلل (١٩٣٦) من حديث عقبة بن عامر، قال الألباني في صحيح ابن ماجه: حسن.

(وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ(٤٨١) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ(٤٨٢) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الأَسْوَدِ(٤٨٣) عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ(٤٨٤)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ(٤٨٥)، عَنْ عَطَاءِ بْنِ رَبَاحٍ(٤٨٦) قَالَ: لاَ يَحِلُّ الْخُلْعُ إِلاَّ أَنْ تَقُولَ الْمَرْأَةُ لِزَوْجِهَا: إِنِّي أَكْرَهُكَ وَمَا أُحِبُّكَ، وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ آثَمَ فِي جَنْبِكَ وَلاَ أُؤَدِّي حَقَّكَ، وَتَطِيبُ نَفْسًا بِالْخُلْعِ")(٤٨٧).

أي: ترد المال، فهذا عطاء وهو من أكابر التابعين ومن فقهاء المسلمين، وهذا فهمهم للخلع، قال: "لاَ يَحِلُّ الْخُلْعُ"، أي: لا يجوز إلا إذا كانت المرأة تقول لزوجها: أنا أكرهك ولا أحبك، وقد خشيت أن آثم في إقامتي عندك في جنبك، ولا أؤدي حقك، وتطيب نفسًا برد المهر أو بعضه، عند ذلك يحل الخلع، لكن لو طبقنا هذا على الفتوى

---

(٤٨١) علي بن عبد العزيز البغوي. نزيل مكة، الإمام، الحافظ، الصدوق، أحد المكثرين مع علو الإسناد. مشهور وهو في طبقة صغار شيوخ النسائي. قال الدارقطني: ثقة مأمون. وهو عم المسند الحافظ الكبير أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، المعروف بابن بنت منيع. ولد سنة بضع وتسعين ومئة، ومات بمكة سنة بضع وثمانين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٤٨ – ترجمة ١٦٤).

(٤٨٢) أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله. الإمام الحافظ المجتهد، الفقيه القاضي الأديب المشهور صاحب التصانيف المشهورة والعلوم المذكورة. ولد سنة سبع وخمسين ومئة، ومات سنة أربع وعشرين ومئتين. له تواليف حسان؛ منها: "الإيمان"، و"الأمثال"، و"الأموال". انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٥٤ – ترجمة ٤٧٩٢)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠ – ترجمة ١٦٤).

(٤٨٣) النضر بن عبد الجبار بن نضير المرادي أبو الأسود المصري مولى آل كثير بن إياس الدؤلي بطن من مراد. كان كاتب لهيعة بن عيسى بن لهيعة قاضي مصر بن أخي عبد الله بن لهيعة. قال يحيى بن معين: شيخ صدق، كان راوية ابن لهيعة. توفي لخمس بقين من ذي الحجة سنة تسع عشرة ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٩/ ٣٩١ – ترجمة ٦٤٢٩)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٦٧ – ترجمة ١٩٦).

(٤٨٤) عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان بن ربيعة بن ثوبان الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري الفقيه قاضي مصر. طلب العلم في صباه، ولقي الكبار بمصر، والحرمين. ولد سنة خمس -أو ست- وتسعين، وتوفي سنة أربع وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ٤٨٧ – ترجمة ٣٥١٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١١ – ترجمة ٤).

(٤٨٥) كذا، وليس في أبناء عبد الله بن أبي فروة مَن اسمه عبد الله.

(٤٨٦) عطاء بن أبي رباح، واسمه أسلم، الإمام شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم المكي. يقال: ولاؤه لبني جمح. ثقة كثير الإرسال. نشأ بمكة، وولد في أثناء خلافة عثمان، وتوفي سنة أربع عشرة ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٦٩ – ترجمة ٣٩٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٧٨ – ترجمة ٢٩).

(٤٨٧) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (١٦٦) من طريق علي بن عبد العزيز به.

أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٤٧٨) عن عطاء بنحوه.

هذه، فالمرأة لم تكره الزوج ولا تريد فراقه، وإنما يظهرون شيئًا ويبطنون خلافه، هذا مثل النفاق، فالحيل نوع من النفاق، فالمنافق يظهر التوحيد والصلاة ولا يريد القرب من الله، بل يريد أن يعصم نفسه وماله.

ولذلك سيأتينا إن شاء الله أن أول دليل في إبطال الحيل أنها نفاق؛ لأنها أشبه شيء بفعل المنافقين، فالمنافقون ارتكبوا الحيلة الكبرى، فأظهروا الإيمان والإسلام وهم لا يريدونه، وهؤلاء على سبيلهم.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْمَاعِيلَ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ(٤٨٨) عَنْ هِشَامٍ(٤٨٩) عَنْ عُرْوَةَ(٤٩٠) أَنَّهُ قَالَ: لاَ تَحِلُّ الْفِدْيَةُ وَلاَ يَتِمُّ الْخُلْعُ حَتَّى يَكُونَ الْفَسَادُ مِنْ قِبَلِهَا، وَحَتَّى تَقُولَ: لاَ أَغْتَسِلُ لَكَ مِنْ جَنَابَةٍ، وَلاَ أَبَرُّ لَكَ قَسَمًا)(٤٩١).

يقول عروة: لا تحل الفدية ولا يتم الخلع حتى يكون الفساد من قبلها"، أي: من قبل المرأة، حتى تقول المرأة: لا أغتسل لك من جنابة، ولا أبر لك قسمًا، أي: لا أمكنك من نفسي، ولا أبر قسمك، فهي تبغضه، عند ذلك يحل الفدية، ويحل الخلع، وسيأتي أثران أيضًا عن عروة بعد قليل يبينان هذا.

(٤٨٨) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي الأموي، المكي، الإمام العلامة، الحافظ، شيخ الحرم. أول من دون العلم بمكة، وكان من بحور العلم. كان يصوم الدهر سوى ثلاثة أيام من الشهر. مات سنة خمسين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٣٣٨ – ترجمة ٣٥٣٩)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥ – ترجمة ١٣٨).

(٤٨٩) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو المنذر، وقيل: أبو عبد الله المدني. رأى أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وسهل بن سعد وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومسح رأسه ودعا له. مات سنة ست وأربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٢٣٢ – ترجمة ٦٥٨٥)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٤ – ترجمة ١٢).

(٤٩٠) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني. عالم المدينة، الفقيه، أحد الفقهاء السبعة. حدث عن أبيه بشيء يسير لصغره، وعن أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وعن خالته أم المؤمنين عائشة، ولازمها وتفقه بها. ولد لست سنين خلت من خلافة عثمان، ومات سنة تسع وتسعين، وقيل: سنة إحدى ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ١١ – ترجمة ٣٩٠٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢١ – ترجمة ١٦٨).

(٤٩١) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (١٧١) من طريق علي بن عبد العزيز به.

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٧٣٧)، تفسير الطبري (٢/ ٤٦٩) من طريق ابن جريج به.

(حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ(٤٩٢) قَالَ: حَدَّثَنَا الْكُدَيْمِيُّ(٤٩٣) قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ الْكِلاَبِيُّ(٤٩٤) قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ(٤٩٥) قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي(٤٩٦) عَنِ الْحَسَنِ(٤٩٧) -رَحِمَهُ اللهُ- يَقُولُ: إِذَا قَالَتْ: لاَ أَبَرُّ لَكَ قَسَمًا، وَلاَ أَغْتَسِلُ لَكَ مِنْ جَنَابَةٍ، فَحِينَئِذٍ حَلَّ الْخُلْعُ)(٤٩٨).

هذا الثالث من المفتين في الإسلام، فبدأ بعطاء وهو مفتي أهل مكة، وثنى بعروة مفتي أهل المدينة، وثلث بالحسن البصري مفتي أهل البصرة والعراق، وكلهم فهم أن الخلع لا يحل حتى يكون الفساد من قِبَل المرأة، حتى تقول: أكرهك، ولا أغتسل لك من جنابة، ولا أبر لك قسمًا، وهذا غير منطبق في الواقعة التي هي سبب هذا الكتاب.

---

(٤٩٢) محمد بن أحمد بن ثابت بن بيان، أبو صالح العكبري. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١١٠ – ترجمة ٨٠).

(٤٩٣) محمد بن يونس بن موسى بن سليمان بن عبيد بن ربيعة بن كديم، القرشي، السلمي، الكديمي، أبو العباس البصري. ولد سنة ثلاث وثمانين ومئة، ومات في جمادي الآخرة سنة ست وثمانين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٦٦ – ترجمة ٥٧٢١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٠٢ – ترجمة ١٣٩).

(٤٩٤) عمرو بن عاصم بن عبيد الله بن الوازع الكلابي القيسي، أبو عثمان البصري. الحافظ، أحد الأثبات. وثقه يحيى بن معين. وقال النسائي: ليس به بأس. قال البخاري: توفي سنة ثلاث عشرة ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٨٧ – ترجمة ٤٣٩٠)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٥٦ – ترجمة ٦٧).

(٤٩٥) معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي، أبو محمد البصري الإمام الحافظ القدوة. قيل: إنه كان يُلقب بالطفيل، ولم يكن من بني تيم، وإنما نزل فيهم فنسب إليهم، وكان مولى لبني مرة. كان من كبار العلماء. قال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: ثقة صدوق. وقال ابن سعد: كان ثقة، ولد سنة ست ومئة. ومات بالبصرة سنة سبع وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ٢٥٠ – ترجمة ٦٠٨٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٧٧ – ترجمة ١٢٣).

(٤٩٦) سليمان بن طرخان الإمام شيخ الإسلام، أبو المعتمر التيمي البصري. نزل في بني تيم فقيل التيمي. قال يحيى بن معين، والنسائي وغيرهما: ثقة. مات سنة ثلاث وأربعين ومائة، وهو ابن سبع وتسعين سنة. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٥ – ترجمة ٢٥٣١)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٩٥ – ترجمة ٩٢).

(٤٩٧) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. وكانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، وكانت تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو صبي فتسكته بثديها. ويقال: كان مولى جميل بن قطبة. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ومات سنة عشر ومئة، وهو ابن نحو من ثمان وثمانين سنة. انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٩٥ – ترجمة ١٢١٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣ – ترجمة ٢٢٣).

(٤٩٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٤٦٩) من طريق المعتمر بن سليمان به.

(حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ(٤٩٩)، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَلَفٍ الضَّبِّيُّ(٥٠٠)، قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ(٥٠١)، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ(٥٠٢)، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لاَ يَصْلُحُ الْخُلْعُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الْفَسَادُ مِنْ قِبَلِ الْمَرْأَةِ. أَخْبَرَنِي أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رَجَاءٍ(٥٠٣) عَنْ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ حَمْدُونَ(٥٠٤)، قَالَ: حَدَّثَنَا حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ(٥٠٥)، قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ،

(٤٩٩) محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الفريابي، الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، أبو عبد الله الضبي، مولاهم، نزيل قيسارية الساحل من أرض فلسطين. سئل الدارقطني عنه، فوثقه. ولد سنة بضع وعشرين ومئة، وتوفي سنة اثنتي عشرة ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٢ - ترجمة ٥٧١٦)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١١٤ – ترجمة ١١).

(٥٠٠) عبد الرحمن بن خلف بن الحصين الضبي، أبو رويق. صدوق. مات سنة تسع وسبعين ومئتين. انظر: تقريب التهذيب ترجمة ترجمة (٣٨٥٤).

(٥٠١) حجاج بن المنهال الأنماطي، أبو محمد السلمي، وقيل: البرساني مولاهم البصري. الحافظ الإمام القدوة العابد الحجة. كان ثقة كثير الحديث روى له الجماعة. توفي في شوال سنة سبع عشرة ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٤٥٧ – ترجمة ١١٢٨)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٥٢ – ترجمة ٨٨).

(٥٠٢) حماد بن سلمة بن دينار، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة البصري، النحوي، البزاز، الخرقي، البطائني، مولى آل ربيعة بن مالك، وابن أخت حميد الطويل. كان بحرا من بحور العلم. قال علي بن المديني: من تكلم في حماد؛ فاتهموه في الدين. وقال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدا؛ ما قدر أن يزيد في العمل شيئا. مات سنة سبع وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٥٣ – ترجمة ١٤٨٢)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٤ – ترجمة ١٦٨).

(٥٠٣) عمر بن محمد بن رجاء، أبو حفص العكبري. كان عابدا صالحا، شديد الوطأة على الرافضة. توفي سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة. انظر: طبقات الحنابلة (٣/ ١٠٦ – ترجمة ٥٩٨).

(٥٠٤) موسى بن حمدون، أبو عمران البزار العكبري. قال الخطيب البغدادي: كان ثقة. توفي سنة إحدى وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٥٥ – ترجمة ٦٩٧٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٤٥ – ترجمة ٦٦).

(٥٠٥) حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد. الإمام، الحافظ، المحدث الصدوق، المصنف، أبو علي الشيباني، ابن عم الأمام أحمد، وتلميذه. ولد قبل المئتين، وتوفي سنة ثلاث وسبعين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣٨٣ – ترجمة ١٨٨)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١ – ترجمة ٣٨).

عَنْ حَمَّادٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ(٥٠٦)، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لاَ يَصْلُحُ الْخُلْعُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الْفَسَادُ مِنْ قِبَلِ الْمَرْأَةِ(٥٠٧).

قَالَ: وَحَدَّثَنَا حَنْبَلٌ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: الْخُلْعُ لاَ يَكُونُ إِلاَّ مِنْ قِبَلِ الْمَرْأَةِ؛ لأَنَّهَا هِيَ الْمُطَالِبَةُ).

أبو عبد الله هو الإمام أحمد، وهنا ذكر الإمام مع أن هؤلاء كلهم متقدمون عليه، لكن ذكره؛ لأن الراوي عنه هو نفس أبو عمران، وفي أول السند: أبو حفص عن أبي عمران، ثم لما انتهى من عروة، قال: -أي: أبو عمران نفسه: حدثنا حنبل بن إسحاق، قال أبو عبد الله، وهو الإمام أحمد، وحنبل ابن عم الإمام أحمد.

(٥٠٦) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع، أبو عمران النخعي. الإمام، الحافظ، فقيه العراق. وهو ابن مليكة أخت الأسود بن يزيد. وقد دخل على أم المؤمنين عائشة وهو صبي. مات سنة ست وتسعين وله سبع وخمسون سنة. انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٢٣٣ – ترجمة ٢٦٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠ – ترجمة ٢١٣).

(٥٠٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٤٦٩) من طريق حماد به.

(حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عُمَرَ النُّزُلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هَمَّامٍ الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ(٥٠٨)، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي زَائِدَةَ(٥٠٩)، عَنْ صَالِحِ بْنِ صَالِحٍ(٥١٠)، قَالَ: قُلْتُ لِعَامِرٍ -يَعْنِي الشَّعْبِيَّ(٥١١): مَتَى يَجُوزُ الْخُلْعُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَمَتَى يَطِيبُ لَهُ أَخْذُ الْفِدْيَةِ مِنْهَا؟ قَالَ: إِذَا كَرِهَتْهُ، وَعَصَتِ اللَّهَ فِيهِ)(٥١٢).

وهذا مفتي أهل الكوفة، عامر الشعبي، وهو من أهل الحديث، وهو من طبقة إبراهيم النخعي، وكلهم من تلاميذ أصحاب ابن مسعود؛ ولذلك المؤلف يدور على أمصار الإسلام كلها، ويذكر كلام المفتين، وأن فهمهم واحد للخلع، قال الشعبي: إذا كرهته وعصت الله فيه عند ذلك حل الخلع، وطاب للزوج أخذ الفدية منها.

(٥٠٨) الوليد بن شجاع بن الوليد بن قيس السكوني الكندي، أبو همام ابن أبي بدر الكوفي نزيل بغداد. جال في الحديث، وجمع وألف. قال يحيى بن معين، لا بأس به. مات سنة ثلاث وأربعين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٢٢ – ترجمة ٦٧٠٩)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٣ – ترجمة ٤).

(٥٠٩) يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، واسمه ميمون بن فيروز الهمداني الوادعي، أبو سعيد الكوفي، مولى امرأة من وداعة، وقيل: مولى محمد بن المنتشر الهمداني. الحافظ، العلم، الحجة. كان من أوعية العلم. قال أحمد، ويحيى بن معين: ثقة. توفي سنة ثلاث وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٣٠٥ – ترجمة ٦٨٢٦)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٣٧ – ترجمة ٩٠).

(٥١٠) صالح بن صالح بن حي، واسمه حيان، وقيل: صالح بن صالح بن مسلم بن حيان الثوري الهمداني الكوفي. والد علي بن صالح بن حي، والحسن بن صالح بن حي، وقد ينسب إلى جده. قال سفيان بن عيينة: حدثنا صالح بن صالح بن حي، وكان خيرا من ابنيه علي والحسن، وكان عليّ خيرَهما. توفي سنة ثلاث وخمسين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٣/ ٥٤ – ترجمة ٢٨١٦).

(٥١١) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار -وذو كبار: قيل من أقيال اليمن- الإمام، علامة العصر، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي. رأى عليا -رضي الله عنه- وصلى خلفه، وسمع من عدة من كبراء الصحابة. ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على المشهور، ومات سنة أربع ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨ – ترجمة ٣٠٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤ – ترجمة ١١٣).

(٥١٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٧٢٩)، الطبري في تفسيره (٢/ ٤٦٩) عن الشعبي بمعناه.

(حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الأَحْوَصِ(٥١٣) قَالَ: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ النَّمْرِيُّ(٥١٤)، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ(٥١٥) عَنِ الْحَكَمِ(٥١٦) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى(٥١٧)، قَالَ: مَا أَقَامَ الزَّوْجَانِ عَلَى إِقَامَةِ حُدودِ اللهِ بَيْنَهُمَا، فَالْخُلْعُ غَيْرُ جَائِزٍ، وَالْفِدْيَةُ لاَ تَحِلُّ).

وهذا عبد الرحمن بن أبي ليلى، أبوه صحابي، وهو أدرك مئة من الصحابة، فهو من خيار المسلمين، وهو من أصحاب عليٍّ وغيره من أكابر الصحابة، وهو ثقة، وأما ابنه محمد(٥١٨)، فهو الفقيه الكوفي المشهور، لكنه ضعيف في الحديث.

---

(٥١٣) سلام بن سليم الحنفي مولاهم أبو الأحوص الكوفي. الإمام الثقة الحافظ. قال أبو زرعة والنسائي: ثقة. مات سنة تسع وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٢٨٢ – ترجمة ٢٦٥٥)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٢٨١ – ترجمة ٧٤).

(٥١٤) حفص بن عمر بن الحارث بن سخبرة الأزدي النمري، أبو عمر الحوضي البصري، من النمر بن غيمان، ويقال: مولى بني عدي. الإمام المجود الحافظ. قال علي بن المديني: اجتمع أهل البصرة على عدالة أبي عمر الحوضي. مات سنة خمس وعشرين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٦ – ترجمة ١٣٩٧)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٥٤ – ترجمة ٨٩).

(٥١٥) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، أبو بسطام الواسطي مولى عبدة بن الأغر مولى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة. الإمام الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، عالم أهل البصرة وشيخها، سكن البصرة من الصغر، ورأى الحسن، وأخذ عنه مسائل. كان من أوعية العلم، لا يتقدمه أحد في الحديث في زمانه. ولد سنة ثمانين، في دولة عبدالملك بن مروان؟، ومات سنة ستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٤٧٩ – ترجمة ٢٧٣٩)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٢ – ترجمة ٨٠).

(٥١٦) الحكم بن عتيبة، الإمام الكبير، عالم أهل الكوفة، أبو محمد الكندي، مولاهم الكوفي، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله. قال أحمد بن حنبل: هو من أقران إبراهيم النخعي. مات سنة خمس عشرة ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ١١٤ – ترجمة ١٤٣٨)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٠٨ – ترجمة ٨٣).

(٥١٧) عبد الرحمن بن أبي ليلى، أبو عيسى الأنصاري، الكوفي، الإمام، العلامة، الفقيه. ويقال: أبو محمد، من أبناء الأنصار. ولد في: خلافة الصديق، أو قبل ذلك. وقيل: بل ولد في وسط خلافة عمر، ورآه يتوضأ، ويمسح على الخفين. وقيل: إنه قرأ القرآن على علي. قتل بوقعة الجماجم سنة اثنتين وثمانين. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٣٧٢ – ترجمة ٣٩٤٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٢ – ترجمة ٩٦).

(٥١٨) محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى. العلامة، الإمام، مفتي الكوفة وقاضيها، أبو عبد الرحمن الأنصاري، الكوفي. ولد سنة نيف وسبعين. ومات أبوه وهذا صبي، لم يأخذ عن أبيه شيئا. بل أخذ عن أخيه عيسى، عن أبيه. قال العجلي: كان فقيها، صاحب سنة، صدوقا، جائز الحديث. قال النسائي: ليس بالقوي، وقال الدارقطني: رديء الحفظ، كثير الوهم. مات سنة ثمان وأربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٦٢٢ – ترجمة ٥٤٠٦)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣١٠ – ترجمة ١٣٣).

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى -وهذا نفس الفهم السابق: ما أقام الزوجان على إقامة حدود الله بينهما، فالخلع غير جائز، والفدية لا تحل، والزوجان المذكوران في المسألة مقيمان على إقامة حدود الله، فإذن الخلع غير جائز، حتى لو أفتي به المفتي.

(حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ الْخَضِيبُ(٥١٩)، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عِصَامِ بْنِ الْحَكَمِ(٥٢٠)، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ أَحْمَدُ بْنُ الْفُرَاتِ الأَصْبَهَانِيُّ(٥٢١)، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ(٥٢٢) عَنْ عَطَاءَ وَالزُّهْرِيِّ(٥٢٣)وَعَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ(٥٢٤)، قَالُوا: لاَ يَجُوزُ الْخُلْعُ إِلاَّ مِنَ النَّاشِزِ)(٥٢٥).

---

(٥١٩) يحيى بن محمد بن سهل الخضيب، أبوعيسى. ذكره الخطيب في تاريخه ولم يتكلم عنه بجرح ولا تعديل. انظر: تاريخ بغداد (١٦/ ٣٥٠ -ترجمة ٧٤٩٩).

(٥٢٠) عبد الوهاب بن عصام بن الحكم بن عيسى بن زياد الشيباني العكبري. ذكره الخطيب في ثنايا تاريخ بغداد في تراجم أبناء وأحفاد المترجَم.

(٥٢١) أحمد بن الفرات بن خالد الضبي، أبو مسعود الرازي الحافظ، نزيل أصبهان. قال الإمام أحمد بن حنبل: ما تحت أديم السماء أحفظ لأخبار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أبي مسعود. قال أبو الشيخ توفي سنة ثمان وخمسين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (١/ ٤٢٢ -ترجمة ٨٨).

(٥٢٢) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي. كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقيبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات. كان خيرا، فاضلا، مأمونا كثير العلم والحديث والفقه، حجة. كان مولده في حياة الصحابة، وتوفي سنة سبع وخمسين ومئة.

وقيل: كان مولده ببعلبك. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧ -ترجمة ٤٨).

(٥٢٣) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام. الإمام العلم، حافظ زمانه. ولد سنة إحدى وخمسين، ومات سنة أربع -أو ثلاث- وعشرين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٤١٩ -ترجمة ٥٦٠٦). سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦ -ترجمة ١٦٠).

(٥٢٤) عمرو بن شعيب بن محمد ابن صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، الإمام المحدث أبو إبراهيم، وأبو عبد الله القرشي، السهمي، الحجازي فقيه أهل الطائف، ومحدثهم، وكان يتردد كثيرا إلى مكة، وينشر العلم، وله مال بالطائف، وأمه حبيبة بنت مرة الجمحية. حدث عن أبيه فأكثر. توفي سنة ستين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٦٤ -ترجمة ٤٣٨٥)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٦٥ -ترجمة ٦١).

(٥٢٥) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (١٦٧)، ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٧٤٢) من طريق الأوزاعي به.

الناشز من النشز، والنشز هو الارتفاع، يقال: أرض نشز، يعني مرتفعة، فالناشز هي المترفعة على زوجها، فلا تطيعه وتكرهه، قال تعالى: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾(٥٢٦)، فهذه يجوز الخلع لها، والأوزاعي هنا جمع المفتين في أمصار الحجاز الثلاثة، فعطاء مفتي أهل مكة، والزهري مفتي المدينة، وعمرو بن شعيب كان من أهل الطائف؛ لأنه حفيد عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه، فهؤلاء كلهم على كلام واحد، وهو أن الخلع لا يجوز إلا من الناشز.

(٥٢٦)النساء: ٣٤.

(حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَبْدُ الْوَهَّابِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُسْعُودٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى(٥٢٧)، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ(٥٢٨)، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: إِذَا كَانَ مِنْ قِبَلِهَا فَلاَ بَأْسَ، وَإِذَا كَانَ مِنْ قِبَلِهِ فَلاَ، وَلاَ نُعْمَى عَيْنٍ)(٥٢٩).

إذا كان الخلع من قبل الزوج، فلا، وإذا كان هو الذي كرهها، ولكن لا يريد أن يطلق، ويريد أن يسترجع المهر، فهذا حرام عليه ولا يجوز؛ لأن هذا حقها بها استمتع منها، وإنما يحل إذا كان الفساد من قبلها هي؛ لأن الله يقول: ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾(٥٣٠).

(٥٢٧) محمد بن عيسى بن نجيح، الحافظ الكبير الثقة، أبو جعفر بن الطباع البغدادي، أخو الحافظ الإمام، إسحاق بن عيسى، ويوسف بن عيسى، تحول إلى الشام، ورابط بأذنة من بلاد الثغور. كان من مشايخ الإسلام، ذكره أحمد بن حنبل، فقال: لبيب كيِّس. مات سنة أربع وعشرين ومئتين بالثغور. أنظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٢٥٨ – ترجمة ٥٥٣٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٨٦ – ترجمة ١٠٥).

(٥٢٨) حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البصري، الأزرق الضرير، أحد الأعلام، أصله من سجستان، سُبي جده درهم منها. مولده في سنة ثمان وتسعين، ومات في سنة تسع وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٩ – ترجمة ١٤٨١)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٦ – ترجمة ١٦٩).

(٥٢٩) سبق تخريج شطره الأول.

(٥٣٠)البقرة: ٢٢٩.

(حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَبْدُ الْوَهَّابِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ(٥٣١) عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَالِمٍ(٥٣٢)، عَنِ الشَّعْبِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ: إِذَا كَانَ مِنْ قِبَلِهَا فَلاَ بَأْسَ، وَإِذَا كَانَ مِنْ قِبَلِهِ فَلاَ(٥٣٣).

حَدَّثَنَا أَبُو عِيسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ(٥٣٤) عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ(٥٣٥) -رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ: لاَ يَجُوزُ الْخُلْعُ حَتَّى يَكُونَ مِنْ قِبَلِ الْمَرْأَةِ، وَإِذَا كَانَ مِنْ قِبَلِ الرَّجُلِ لَمْ يَتِمَّ).

عمرو بن دينار من أصحاب ابن عباس، وهو مفتي أهل مكة، ومن خيار المسلمين وعلمائهم، كذلك تلميذه سفيان بن عيينة، وهو كوفي الأصل، ولكنه سكن مكة، وكان مقيمًا بمكة -رحمه الله، وكلام العلماء في جميع أمصار الإسلام واحد لا يختلف، كلهم يفهمون هذا الفهم.

---

(٥٣١) هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية بن أبي خازم، وقيل: أبو معاوية بن بشير بن أبي خازم الواسطي. قيل: إنه بخاري الأصل. الإمام، شيخ الإسلام محدث بغداد، وحافظها. ولد سنة أربع ومئة، وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٢٧٢ – ترجمة ٦٥٩٥)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٢٨٧ – ترجمة ٧٦).

(٥٣٢) إسماعيل بن سالم الأسدي، أبو يحيى الكوفي. نزيل بغداد قبل أن تُبنى. قيل: إنه أخو محمد بن سالم، وقيل: ليس بأخيه. انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٩٨ – ترجمة ٤٤٧).

(٥٣٣) أخرجه سعيد بن منصور في السنن (١٤٣٦)، أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (١٦٩) من طريق هشيم بنحوه.

(٥٣٤) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. مولده بالكوفة، في سنة سبع ومئة، وتوفي سنة ثمان وتسعين ومئة بالْحَجُونِ -جبل بأعلى مكة-. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٧٧ – ترجمة ٢٤١٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤ – ترجمة ١٢٠).

(٥٣٥) عمرو بن دينار أبو محمد الجمحي مولاهم، المكي، الأثرم، أحد الأعلام، وشيخ الحرم في زمانه، وكان من أوعية العلم، وأئمة الاجتهاد. حدث عنه ابن أبي مليكة وهو أكبر منه. وقال ابن عيينة: عمر ثقة ثقة ثقة. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٠٠ - ترجمة ١١٤)، وطبقات ابن سعد (٨/ ٤٠ - ترجمة ٢٤٠٠ - ط: الخانجي).

(حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْكُدَيْمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا بَكَّارٌ اللَّيْثِيُّ(٥٣٦) قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ(٥٣٧) عَنِ الْحَسَنِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي قَوْلِهِ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾(٥٣٨)، قَالَ: ذَلِكَ فِي الْخُلْعِ، إِذَا قَالَتْ: وَاللهِ لاَ أَغْتَسِلُ لَكَ مِنْ جَنَابَةٍ)(٥٣٩).

وهذا هو الذي يؤكد ما قاله الشافعي:

العلم ما كان فيه: قال، حدثنا *** وما سوى ذاك وسواس الشياطين

فبعد هذه الآثار كلها تتكلم وأنت مطمئن؛ لأن أمامك علماء المسلمين كلهم على فهم واحد، فالذي يتخبط في الدين بدون أثر يتبعه وبدون دليل، هذا ارتكب أمرًا عظيمًا وجرمًا فادحًا، أما أهل الحديث فيمشون على الأثر، كما قال الإمام أحمد وهو يتمثل في الآبيات السابقة:

لا ترغبن عن الحديث وأهله *** فالرأي ليل والحديث نهار

ولربما جهل الفتى سبل الهدى *** والشمس واضحة لها أنوار

فانظر كيف طريقتهم في الفتوى، يذكر الآيات والأحاديث والآثار، ثم يفتي وهو مطمئن إلى أن هذا مراد الله، وهذا شرع الله، ولا يخبط خبط عشواء في دين الله؛ ولذلك فالمؤلف الآن ارتاح بعد ما ساق الآيات، قال: فهذه أقوال الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين، يمشون على دين وثيق.

وأما الذي خبط هكذا، ويخرص في دين الله فاحذره، فإنك لا تنجو، حتى لو قلت: الشيخ فلان أفتاني، فإنك لا تنجو إلا إذا احتطت لدينك، فالناس يحتاطون لأمر دنياهم، ولا يضعون أموالهم إلا عند المتثبت الذي يعتقدون أنه وفيٌّ وأمين، والدين يتساهلون فيه إلا من رحم الله!

---

(٥٣٦) لم أجده.

(٥٣٧) يزيد بن إبراهيم التستري، أبو سعيد البصري. مات سنة ثلاث وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٢/ ٧٧ – ترجمة ٦٩٥٩).

(٥٣٨)البقرة: ٢٢٩.

(٥٣٩) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٤٧٨) من طريق يزيد بن إبراهيم بنحوه.

(قَالَ أبو عَبْدِ اللهِّ: فَهذِهِ أَقْوَالُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَفُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ، مُوَافِقَةٌ كُلُّهَا لِمَا أُنْزِلَ بِهِ الْقُرْآنُ، مُخَالِفَةٌ لِمَا أَفْتَى بِهِ الْمُفْتِي مِنَافِيَةٌ لَهُ، وَأَوْضَحَ ذَلِكَ وَصَحَّحَتْهُ السُّنَّةُ الَّتِي فَسَّرَتِ الْكِتَابَ، وَالْخُلْعُ الَّذِي أَجَازَهُ رَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ يُوسُفَ الطَّبَّاعُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ(٥٤٠)، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ(٥٤١)، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الأَعْلَى(٥٤٢) عَنْ سَعِيدٍ(٥٤٣) عَنْ قَتَادَةَ(٥٤٤) عَنْ عِكْرِمَةَ(٥٤٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ جَمِيلَةَ بِنْتَ سَلُولَ(٥٤٦)

---

(٥٤٠) عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه، الحافظ الإمام الحجة المعمر، مسند العصر، أبو القاسم البغوي الأصل، البغدادي الدار والمولد. أحد الأئمة الثقات، وصاحب المسائل عن أحمد. ولد سنة سنة أربع عشرة ومئتين، وتوفي سنة سبع عشرة وثلاث مئة. انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٣٠ – ترجمة ٢٥٩)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٤٠ – ترجمة ٢٤٦).

(٥٤١) عبيد الله بن عمر بن ميسرة الجشمي، مولاهم القواريري أبو سعيد البصري نزيل بغداد. توفي ببغداد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومئتين وحضره خلق كثير ودفن بعسكر المهدي خارج الثلاثة الأبواب وهو يوم توفي بن أربع وثمانين سنة. انظر: تهذيب الكمال (١٩/ ١٣٠ – ترجمة ٣٦٦٩)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٤٤٢ – ترجمة ١٠٢).

(٥٤٢) عبد الأعلى بن عبد الأعلى بن محمد، وقيل: بن شراحيل السامي القرشي البصري من بنى سامة بن لؤي بن غالب كنيته أبو محمد ولقبه أبو همام وكان يغضب منه. صدوق قوي الحديث، لكنه رمي بالقدر. توفي في شعبان سنة تسع وثمانين ومئة، وله نحو من سبعين سنة. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٣٥٩ – ترجمة ٣٦٨٧)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٢٤٢ – ترجمة ٦٩).

(٥٤٣) سعيد بن أبي عروبة الإمام، الحافظ، عالم أهل البصرة، وأول من صنف السنن النبوية، أبو النضر بن مهران العدوي، مولاهم البصري. حدث عن الحسن، ومحمد بن سيرين، وأبي رجاء العطاردي، والنضر بن أنس وعبد الله الداناج، وقتادة، وأبي نضرة العبدي، ومطر الوراق، وخلق سواهم. وكان من بحور العلم إلا أنه تغير حفظه لما شاخ. وأكبر شيخ له هو أبو رجاء. توفي سنة ست وخمسين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ٥ – ترجمة ٢٣٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٤١٣ – ترجمة ١٧٠).

(٥٤٤) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه، وسدوس: هو ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة من بكر بن وائل. كان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ. كان يقول: يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا، وعنه قال: ما سمعت شيئا إلا وحفظته. مات سنة سبع عشرة ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٩٨ – ترجمة ٤٨٤٨)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩ – ترجمة ١٣٢).

(٥٤٥) عكرمة العلامة، الحافظ، المفسر، أبو عبد الله القرشي، مولاهم، المدني، البربري الأصل. قيل: كان لحصين بن أبي الحر العنبري، فوهبه لابن عباس. كان يقول: يقول: طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب، وابن عباس في الدار. قال قتادة: أعلم الناس بالحلال والحرام الحسن، وأعلمهم بالمناسك عطاء، وأعلمهم بالتفسير عكرمة. مات بالمدينة سنة خمس ومئة، وهو ابن ثمانين سنة. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٦٤ – ترجمة ٤٠٠٩)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٢ – ترجمة ٩).

أَتَتِ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا أَعْتِبُ عَلَى ثَابِتٍ(٥٤٧) فِي دِينٍ وَلاَ خُلُقٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الإِسْلاَمِ، لاَ أُطِيقُهُ بُغْضًا، فَقَالَ لَهَا نَبِيُّ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرُدِّينَ إِلَيهِ حَدِيقَتَهُ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَأْخُذَ مَا سَاقَ وَلاَ يَزْدَادُ)(٥٤٨).

هذا الحديث هو الأصل في باب الخلع، وهو حديث ثابت بن قيس بن شماس -رضي الله عنه- الذي هو من أهل الجنة قطعًا؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- شهد أنه من أهل الجنة(٥٤٩)، وهو خطيب النبي -عليه الصلاة والسلام.

وهذا يدل على أن الخلع ليس عيبًا في الرجل إذا كرهته المرأة؛ فإن ثابتًا من خيار المسلمين، وهو من أهل الجنة وكرهته المرأة، وقالت: ما أكره عليه ما خلق ولا دين، وقطعًا أن ثابتًا لا يؤخذ عليه لا خلق ولا دين، ولكن كرهته كراهة نفسية، قالت: إني رأيته بين الرجال وكرهته، وأنا لا أطيق العيش معه بغضًا، والمرأة بشر، ومع ذلك ما أهم ثابتًا أن المرأة أحبته أو بغضته، كما قال عمر بن الخطاب لأبي مريم الحنفي(٥٥٠) -من أهل اليمامة، وهو الذي قتل

---

(٥٤٦) جميلة بنت أبي بن سلول، امرأة ثابت بن قيس بن شماس، وهي التي خالعته وردت عليه حديقته. كناها ابن المسيب أم جميل. انظر: الاستيعاب: (ص: ٨٨١ – ترجمة ٣٢٤٧)، والأسد (٧/ ٥٢ – ترجمة ٦٨١٣).

(٥٤٧) ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ بن امرئ القيس بن مالك الأغر، وأمه امرأة من طيّء. يكنى أبا محمد. وكان خطيب الأنصار، ويقال له: خطيب رسول الله –صلى الله عليه وسلم-. شهد أحدا وما بعدها من المشاهد. وقتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر –رضي الله عنهم أجمعين-. انظر: الاستيعاب (ص: ١٠١ – ترجمة ٢٥٣)، والأسد (١/ ٤٥١ – ترجمة ٥٦٩).

(٥٤٨) صحيح: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١٨٣٤)، (٢٤/ ٢١١/ ٥٤١)، البيهقي (١٤٦١٩) من طريق عبيد الله بن عمر القواريري به.

أخرجه ابن ماجه: كتاب الطلاق، باب المختلعة تأخذ ما أعطاها (٢٠٥٦) من طريق عبد الأعلى به، قال الألباني في صحيح ابن ماجه: صحيح.

أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب الخلع وكيف الطلاق فيه (٥٢٧٣) من طريق عكرمة بنحوه.

(٥٤٩) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله (١١٩) من حديث أنس بن مالك.

(٥٥٠) إياس بن صبيح بن المحرش بن عبد عمرو الحنفي. يكنى أبا مريم. قال ابن سعد: كان من أصحاب مسيلمة ثم تاب وحسن إسلامه وولي قضاء البصرة في زمن عمر. انظر: الإصابة (١/ ٢٢٣ – ترجمة ٥٠٢).

زيد بن الخطاب(٥٥١)، وكان قد ارتد ثم أسلم: والله يا أبا مريم إني ما أطيقك بغضًا، ولا أحبك حتى تحب الأرض الدم، ومعروف أن الأرض لا تحب الدم؛ ولذلك يجمد الدم ولا تشربه الأرض، فقال له أبو مريم: يا أمير المؤمنين بغضك إياي يمنعني حقي أو تظلمني؟ قال: لا، فقال: إنما يأسف على الحب النساء.

فالمرأة هي التي تأسف وتقول: لا أحبني، لكن الرجل لم يقل: كيف لا تحبني يا أبا حفص؟! ثم قال لعمر: أتنقم عليَّ أن الله أكرم زيدًا على يدي، ولم يهني على يده، أي: لو قتلني زيد كنت من أهل النار، لكن أنا قدَّمت زيدًا إلى الجنة.

فالمقصود إن ثابتًا لم أسف أن الزوجة لم تحبه، وإما أن يطلقها ويحتسب المهر ويرزقه الله، وإما أن يطلب بعض المهر ويستعين به على الزواج من أخرى، والحمد لله، ما شرعه الله إلا لأن فيه خير.

وجميلة هذه بنت سلول، وسلول أمها، وهي أخت عبد الله بن أُبَيٍّ المنافق، لكنها مؤمنة؛ ولذلك قالت: يا رسول الله أكره الكفر في الإسلام، أي: أكره أن يحملني هذا البغض لثابت على شيء لا أريده، فلذلك أمرها النبي -صلى الله عليه وسلم- أن ترد الحديقة، وكان المهرُ حديقةً قد أمهرها ثابت -رضي الله تعالى عنه، هذا هو الأصل.

وفي رواية أنه قال لثابت: «خُذِ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً»(٥٥٢)، فهذا هو الأصل في باب الخلع، ويدل على مشروعية الخلع في باب معين، ولم يفتح لهؤلاء المحتالين.

---

(٥٥١) زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي. أمه أسماء بنت وهب من بني أسد، وكان أسنَّ من عمر، وأسلم قبله، وشهد بدرا والمشاهد، واستشهد باليمامة. وكانت راية المسلمين معه سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر. وحزن عليه عمر حزنا شديدا ولما قُتل؛ قال عمر: سبقني إلى الحسنيين أسلم قبلي واستشهد قبلي. انظر: الاستيعاب (ص: ٢٤١ – ترجمة ٧٩٩)، والإصابة (٢/ ٦٠٤ – ترجمة ٢٨٩٩).

(٥٥٢) سبق تخريجه.

قال أبو عبد الله: (فَهَذَا الْخُلْعُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ وَجَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ فُقَهَاءُ الأُمَّةِ، لاَ نَعْلَمُ لَهُ وَجْهًا غَيْرَ هَذَا، وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يُصْرَفَ وَلاَ يُسْتَعْمَلَ إِلاَّ عِنْدَ الأَسْبَابِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ وُقُوعُ النِّفَارِ وَالْبُغْضِ وَالشِّقَاقِ وَمَعْصِيَةِ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لاَ لِلْحِيلَةِ وَالْمُخَالَفَةِ وَالْخَدِيعَةِ وَالْمُمَكَارَةِ، وَالْعُدُولِ بِهِ إِلَى غَيْرِ جِهَتِهِ، وَوَضْعِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ الَّذِي أَرَادَ اللهُ لَهُ، وَفَسَحَ بِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ).

هذه القاعدة تطبقها في كل مسألة، فإذا دخلوا من باب لم يفتحه الله لهم فاعلم أنهم محتالون، وإذا أظهروا البيع وهم لا يريدونه، أو أظهروا الشركة وهم لا يريدونها وإنما يتوصلون بها إلى شيء آخر، فهم محتالون، حتى تدخل من الباب الذي فتحه الله لك، والباب المغلق عليك لا تفتحه؛ لأن الله له الحكمة البالغة في كل ما أمر -سبحانه وتعالى.

(وَمَا ظَنُّكَ بِهِ إِذَا كَانَ بِدْءُ الْمَسْأَلَةِ مِنَ الرَّجُلِ لِزَوْجَتِهِ أَنْ تَنْخَلِعَ مِنْهُ، وَأَنْ تَفْتَدِي مِنْهُ نَفْسَهَا عَلَى شَرِيطَةِ عَقْدِ النِّكَاحِ بَيْنَهُمَا بَعْدُ).

عكس المسألة، فالذي يطالب بالخلع هو الزوج الذي نوى الرجل القتل، ويريد أن يبرأ من الطلاق، مع أن لا يكون إلا إذا طالبت به المرأة، فهذا معناه أنهم محتالون على دين الله، وأن هذه مخادعة وممكارة.

(فَإِنَّ هَذَا مِمَّا لاَ خَفَاءَ عَلَى أَهْلِ الْعَقْلِ فِي قُبْحِهِ وَفَسَادِهِ، فَإِنَّهُ وَضَعَ الْخُلْعَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَاسْتَعْمَلَهُ فِي غَيْرِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَشَرَطَ أَيْضًا عَقْدَ النِّكَاحِ بِوُقُوعِهِ، فَصَارَ مَا فَعَلَهُ فِي الْقُرْبِ مِنْ مَقْصِدِهِ وَالظَّفَرِ بِمَطْلَبِهِ، كَالَّذِي أَرَادَ مَشْرِقًا فَذَهَبَ مَغْرِبًا، فَكُلَّمَا ازْدَادَ فِي سَعْيِهِ جَهْدًا ازْدَادَ مِنْ ظَنِّهِ بُعْدًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمُتَلاَعِبِينَ بِحُدُودِ الله -عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمُسْتَهِينِينَ بِآيَاتِهِ).

هذا من الاستهزاء بآيات الله؛ ولذلك قال الله -عز وجل- في آية الطلاق: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِّ هُزُوًا﴾[٥٥٣].

فسمى الله -عز وجل- التلاعب بالطلاق من الاستهزاء بآيات الله، كذلك التلاعب بالخلع والبيع والعقود، وهذا من الأدلة على إبطال الحيل.

---

(٥٥٣)البقرة: ٢٣١.

(فَقَدْ حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حُذَيْفَةَ[٥٥٤] وَحَدَّثَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَبْدُ الْبَاقِي بْنُ قَانِعٍ[٥٥٥]، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ حِمْدَانَ الْبَجَلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ طَرْخَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حُذَيْفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ[٥٥٦]، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ[٥٥٧]، عَنْ أَبِي بَرْدَةَ[٥٥٨]، عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُوسَى[٥٥٩] -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَلْعَبُونَ بِحُدُودِ اللهِ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِآيَاتِهِ، خَالَعْتُكِ رَاجَعْتُكِ، طَلَّقْتُكِ رَاجَعْتُكِ»[٥٦٠]).

---

(٥٥٤) موسى بن مسعود أبو حذيفة النهدي البصري. المحدث الحافظ الصدوق. ولد في حدود الثلاثين ومئة، ومات في جمادى الآخرة سنة عشرين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٩/ ١٤٥ – ترجمة ٦٣٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٣٧ – ترجمة ١٩).

(٥٥٥) عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق، القاضي أبو الحسين الأموي مولاهم. الإمام الحافظ البارع الصدوق. كان واسع الرحلة كثير الحديث بصيرا به. ولد سنة خمس وستين ومئتين، وتوفي في شوال سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٣٧٥ – ترجمة ٥٧٢٨)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٢٦ – ترجمة ٣٠٣).

(٥٥٦) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي. من ثور. إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه. ولد سنة سبع وتسعين، ومات بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤ – ترجمة ٢٤٠٧)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩ – ترجمة ٨٢).

(٥٥٧) سليمان بن أبي سليمان، واسمه فيروز، ويقال: خاقان، ويقال: عمرو. أبو إسحاق الشيباني، الكوفي، مولى بني شيبان بن ثعلبة، وقيل: مولى عبد الله بن عباس والصحيح الأول. ولد في أيام الصحابة؛ كابن عمر، وجابر، ولحق عبد الله بن أبى أوفى وسمع منه. مات سنة تسع وثلاثين ومائة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ٤٤٤ – ترجمة ٢٥٢٥)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٩٣ – ترجمة ٩١).

(٥٥٨) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري. اسمه الحارث، ويقال: عامر بن عبد الله بن قيس، ويقال: اسمه كنيته، تابعي فقيه من أهل الكوفة، وولي القضاء بها، فعزله الحجاج وولى مكانه اخاه أبا بكر. مات سنة أربع ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ٦٦ – ترجمة ٧٢٢٠).

(٥٥٩) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري. مشهور باسمه وكنيته معا وأمه ظبية بنت وهب بن عك أسلمت وماتت بالمدينة وكان هو سكن الرملة وحالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة. كان حسن الصوت بالقرآن. شهد فتوح الشام ووفاة أبي عبيدة واستعمله عمر على إمرة البصرة بعد أن عزل المغيرة وهو الذي افتتح الأهواز. مات سنة خمسين. انظر: الاستيعاب (ص: ٨٥١ – ترجمة ٣١٣٧)، والإصابة (٤/ ٢١١ – ترجمة ٤٩٠١).

(٥٦٠) حسن: أخرجه البيهقي (١٤٦٧٥)، معجم الشيوخ للصيداوي (١٤٠) من طريق أبي حذيفة، دون قوله: وَيَسْتَهْزِئُونَ بِآيَاتِهِ ، قال الألباني في تحقيق كتاب صفة الفتوى والمفتي والمستفتي ١/ ٢٨: حسن.

أخرجه ابن ماجه: كتاب الطلاق، باب حديث سويد بن سعيد (٢٠١٧) من طريق سفيان بنحوه .

هذا تفسير الآية، وهذا استهزاء بآيات الله، فالله -عز وجل- جعل الخلع والرجعة والطلاق في أحوال معينة.

(حَدَّثَنَا الْقَاضِي الْمُحَامِلِيُّ[٥٦١] قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَانِئٍ[٥٦٢]، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَلْعَبُونَ بِحُدُودِ اللهِ، طَلَّقْتُكِ رَاجَعْتُكِ، طَلَّقْتُكِ رَاجَعْتُكِ»).

قال أبو عبد الله -رحمه الله: (وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا الْخُلْعِ وَالنِّكَاحِ الْوَاقِعِ بِعَقْدٍ شَرِيطَتُهُ، وَبَيْنَ مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَلَى شَرِيطَةِ أَنْ يُطَلِّقَهَا بَعْدَ الدُّخُولِ بِهَا، فَتَعُودُ إِلَى زَوْجٍ كَانَ لَهَا؟ وَهَذَا الْمُحَلِّلُ وَالْمُحَلَّلُ لَهُ اللَّذَانِ لَعَنَهُمَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

هذا صحيح، كل الحيل: ما الفرق بينها وبين التحليل؟ أكثر ما تسمع الذين يجيزون الحيل في البنوك وغيرها، يقولون: الصورة صحيحة؛ لأن فيها تملك وقبض، وصورة نكاح التحليل صحيحة؛ لأن فيها ولي وشهود، وكل الشروط.

فلذلك هنا يقول: ما الفرق بين هذه الصورة ونكاح التحليل؟ لا فرق، فنكاح التحليل نكاح بشرط الطلاق، حتى تحل للأول، وهنا خلع بشرط إعادة النكاح من جديد حتى تنفك اليمين، نفس الطريقة تلاعب بحدود الله.

ونكاح التحليل فيه أحاديث تلعن المحلل والمحلل له[٥٦٣]، بل قال عمر: لا أوتى بهم إلا جلدتهم أو رجمتهم، فكانوا لا يعتبرون هذا نكاحًا، بل تلاعبًا، ويكون -نسأل الله العافية والسلامة- هو الحرام بعينه، وشيخ الإسلام له الكتاب النفيس اسمه (بيان الدليل في إبطال نكاح التحليل)، والكتاب أصله في إبطال نكاح التحليل، ولكن

---

(٥٦١) الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان، أبو عبد الله الضبي البغدادي المحاملي. القاضي الإمام العلامة المحدث الثقة، مسند الوقت. مولده في أول سنة خمس وثلاثين ومئتين، ووفاته سنة ثلاثين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٨ – ترجمة ١١٠).

(٥٦٢) إبراهيم بن هانئ أبو إسحاق النيسابوري. نقل عن الإمام أحمد مسائل كثيرة. وكان ورعا صالحا صبورا على الفقر. وكان أحمد يقول: إن كان في البلد رجل من الأبدال؛ فأبو إسحاق النيسابوري. واختفي الإمام أحمد في بيته أيام الواثق. ولد بعد الثمانين ومئة، ومات سنة خمس وستين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٢٥٢ – ترجمة ١٠٥)، و سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧ – ترجمة ١٠).

(٥٦٣) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٦٦٠)، أبو داود: كتاب النكاح، باب في التحليل (٢٠٧٦)، الترمذي: كتاب النكاح، باب ما جاء في المحل والمحلل له (١١١٩)، ابن ماجه: كتاب النكاح، باب المحلل والمحلل له (١٩٣٥) من حديث علي بن أبي طالب، قال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح.

جعل نصفه أو أكثر في إبطال الحيل عمومًا، ونقل الكثير من الكلام ممن نسمعه اليوم لابن بطة وغيره، وجمع فيه آثارًا، وساق إبطال الحيل من عشرات الأدلة، وذكر سد الذراع، وذكر أشياء نفيسة جدًّا، كما قال ابن القيم(٥٦٤): إنه حرر هذا الكتاب تحريرًا بالغًا.

وقال شيخ الإسلام: إن نكاح التحليل تسبب على الإسلام ونبي الإسلام بالسب والشتم، فقال: إن النصارى عندنا في دمشق لما رأوا نكاح التحليل قد انتشر ويفتي به المفتون في زمانهم، فقال النصارى -نسأل الله العافية: إن نبي المسلمين يأمر أحدهم إذا طلق امرأته أن يبحث عمن يزني بها حتى تحل له! فهذه الصورة التي أمامهم، لكنهم افتروا على نبي الإسلام، والسبب هم أهل الحيل.

كما يقولون اليوم بعض الاقتصاديين النصارى: إن المسلمين يخادعون ربهم أكثر مما نخادع القضاة! وقال: إن الرافضة أيضًا صار لهم مدخل على أهل السنة، فقالوا: يا عجبًا يا أهل السنة تعيبون علينا نكاح المتعة، وعندكم ما هو أخبث من المتعة وهو التحليل! قال شيخ الإسلام: وصدقت الرافضة وهم أهل كذب وفجور، لكن صدقوا في هذا، فنكاح التحليل أبشع وأخبث من نكاح المتعة؛ ولذلك المتعة أحلت في الإسلام ثم حرمت، لكن نكاح التحليل ما حل أبدًا، قال: فطالت ألسنة اليهود والنصارى والرافضة على أهل السنة بسبب الحيل.

واليوم تحل الحيل عقد الإسلام من القلب، وتجعل الناس يتساهلون بالدين، ولا يعتنون به، فإذا كان أي شيء تريده ستجد لك مخرجًا أو منفذًا أو حيلة حتى تصل إلى مرادك، وإن كان الله قد حرم عليك، وتجد من يفتيك، فهذا هو هدم الإسلام، ولذلك عبارة السلف شديدة في الحيل، قالوا: إنها تنقض الإسلام عروة عروة.

وهذا لا يكون في المسائل الاجتهادية، وقالوا: إنها تقلب الإسلام ظهرًا لبطن، وقالوا: تجعله أرق من الثوب السابري، أي: شفافًا لا يستر عورة ولا ينفع.

---

(٥٦٤) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، شمس الدين أبو عبد الله، الزرعي، ثم الدمشقي. الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف. ابن قيم الجوزية. تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة. وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة، ولهج بالذكر. له تواليف حسان؛ منها: "زاد المعاد"، و"بدائع الفوائد". ولد سنة إحدى وتسعين وستمئة، وتوفي سنة إحدة وخمسين وسبع مئة. انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣)، والذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠ – ترجمة ٦٠٠).

(وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا الْخُلْعِ وَبَيْنَ مَنْ بَاعَ دَرَاهِمَ مُكَسَّرَةً مِنْ صَيْرَفِيٍّ بِدِينَارٍ، عَلَى أَنْ يُعْطِيَهُ بِذَلِكَ الدِّينَارِ صِحَاحًا عَلَى صَرْفٍ مَقْطُوعٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي عَقْدٍ وَاحِدٍ).

هذا من صور الحيل، وهذا الرجل مراده دراهم بدراهم، فعنده دراهم مكسرة، ويريد أن يبيعها بدراهم صحاح، وسيكون فيها فضل؛ لأنه سيعطيه الصحاح ويأخذ مكسرة بنفس الوزن، فلا بد أن يكون فيها فضل، والفضل لا يجوز؛ لقوله -عليه الصلاة والسلام: «الدِّرْهَمُ بِالدِّرْهَمِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، مِثْلاً بِمِثْلٍ، يَدًا بِيَدٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ»[٥٦٥]، فإذا أراد أن يبيع المكسرة بالصحاح لا بد أن تكون مثلاً بمثل، يدًا بيد، سواء بسواء ولا يستفيد، فصاحب الصحاح لن يعطيه، فماذا يفعلون؟ يبيع المكسرة على الصيرفي بدينار ذهب، ثم يقول: أعطني بنفس الدينار صحاحًا على صرف مقطوع.

فمراده هو دراهم بدراهم، ولكن جعل الدينار محللاً، وهو لا يريد الدينار، بل يريد أن يحلل له دراهم بدراهم بزيادة، أي: يبيع الدراهم بدراهم بزيادة، ويجعل الدينار محللاً له، فهذه حيلة.

(وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا الْخُلْعِ وَبَيْنَ مَنِ اسْتَلَفَ مِنْ رَجُلٍ فِي سِلْعَةٍ إِلَى أَجَلٍ، عَلَى أَنَّهُ إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا عَادَ الْبَائِعُ لَهَا فَاشْتَرَاهَا مِنَ الْمُسَلَّمِ فِيهَا عَلَى سِعْرٍ مَقْطُوعٍ).

وهذه نفس الطريقة، وقصدهم القرض بزيادة، ولكن جعل السلف هذا محللاً، فيقول: أبيعك مئة صاع من التمر، وأعطني الدراهم الآن، فإذا استلف منه السلعة إلى أجل وحل الأجل لا يعطيه، بل يبيع نفس الثمن مرة أخرى بدراهم أكثر منها، فقصده بدلاً من أن يقول له: أعطني خمسين واكتبها عليَّ ستين، يقول: أعطني خمسين بتمر، فإذا جاء التمر، قال: اكتبها ستين، نفس الطريقة، وهذه تشبه العينة.

---

(٥٦٥) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب بيع الذهب بالذهب (٢١٧٥)، مسلم: كتاب المساقاة، باب النهي عن بيع الورق بالذهب دينا (١٥٩٠) بمعناه، من حديث أبي بكرة.

(وَمَا الفَرْقُ بَيْنَ هَذَا الخُلْعِ، وَبَيْنَ مَنِ اشْتَرَى مِنْ رَجُلٍ سِلْعَةً نَسِيئَةً، عَلَى أَنْ يَشْتَرِيَهَا مِنْهُ بِالنَّقْضِ).

هذه هي العينة، وهي ربا الجاهلية، وهي أخبث من الربا، وهي أنه يريد دراهم بدراهم، وربا الجاهلية إما أن يكون في القروض، وإما أن يكون في الديون، فربا القروض أن يقرض الدراهم بأكثر منها، وربا الديون أن يحل عليه الدين، ولم يدفع، فيقول: أنا لا ما أصبر مجانًا، فإما أن تقضي الدين، وإما أن تُرْبِي.

فهذا الرجل يريد دراهم بدراهم، لكن يذهب إلى المرابي ويحتالون، وهؤلاء أشد من المرابين، فيقول: أبيعك هذه السيارة بستين ألف مؤجلة، فيبيع السيارة، ويكتب عليه ستين ألف مؤجلة، ثم يقول: أشتريها منك بخمسين ألف حالاً، فيشتريها منه بخمسين ألف حالاً، ففي خلال دقائق يكون قد أعطاه خمسين، وكتب عليه ستين، والسيارة غير مرادة، أو السلعة عمومًا، هذه فقط احتيال على الله، كما قال أيوب السختياني: يتعاملون مع الله كأنه صبي من الصبيان! تعالى الله وتقدس، وقال -عليه الصلاة والسلام: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً لاَ يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْاجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[٥٦٦].

وأدنى من العينة قليلاً التورق، التورق ليس في طبقة العينة هو أدنى منها؛ ولذلك فالعينة متفق عليها، بل بينت عائشة -رضي الله عنها- أنها سبب حبوط العمل، وذلك لما قالت أم ولد لزيد بن أرقم[٥٦٧] إنها تعاملت مع زيد بالعينة، فقالت: "أخبريه أن جهاده مع رسول الله قد بطل إلا أن يتوب"[٥٦٨]، فهذه العينة.

التورق مثل العينة، لكن الفرق أنك لا تبيع السلعة للأول، بل تبيعها لشخص آخر، فتشتري السيارة بستين، وأنت لا تريدها بل تريد الورق والدراهم؛ ولذلك سمي تورقًا، ثم تذهب إلى شخص آخر، وتبيع له بخمسين، وإذا كان الشخص الآخر له علاقة بالبائع الأول فهذه عينة.

---

(٥٦٦) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٥٥٦٢)، وأبو داود: كتاب البيوع، باب في النهي عن العينة (٣٤٦٢) واللفظ له، من حديث عبد الله بن عمر، قال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح.

(٥٦٧) زيد بن أ ترجمة بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج. مختلف في كنيته؛ قيل: أبو عمر، وقيل: أبو عامر، واستصغر يوم أحد، وأول مشاهده الخندق، وقيل: المريسيع، وغزا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- سبع عشرة غزوة. ثبت ذلك في الصحيح. انظر: الاستيعاب (ص: ٢٤٨ – ترجمة ٨١٢)، والإصابة (٢/ ٥٨٩ – ترجمة ٢٨٧٥).

(٥٦٨) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٤٨١٢)، الدارقطني في سننه (٣/ ٥٢)، البيهقي (١٠٥٨٠).

والتورق اختلف فيه؛ لأنه ليس حلالاً بينًا، وليس مثل العينة، فالعينة حيلة واضحة، والتورق يحصل فيه بعض المقاصد؛ ولذلك اختلفوا في التورق، ولم يختلفوا في العينة، فمن العلماء من قال: إن التورق هو الربا بعينه، ومنهم الإمام مالك، فإنه ينهى عن التورق، والإمام مالك هو أفقه الأئمة في البيوع، وله كلام ينهى عنه، والإمام أحمد في رواية ينهى عن التورق، وعمر بن عبد العزيز[٥٦٩] وهو إمام هدى، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٥٧٠]، وهو من أفقه الناس في البيوع، يقول: "هذا التورق تأملته كثيرًا، ووجدته هو الربا، ومع ذلك زيادة كلفة"، حتى قال ابن القيم في إعلام الموقعين: "راجعنا شيخنا ابن تيمية مرارًا إلى أن مات في التورق، وهو ثابت على قوله، يقول: المقاصد التي حرم الله من أجلها الربا أراها بعينها في التورق، ومع زيادة الكلفة".

وتوجد بعض صور التورق في البنوك، وهذا التورق الخبيث ولا يختلف فيه أحد، وهو قرض بزيادة، لكن يسمونه (تورق مركب)، أو (تورق مقلوب)، يأتون بأسماء يسمونها بغير اسمها.

ومن العلماء من قال: التورق يجوز؛ لأنه بيع، فالأول بيع، والثاني بيع، فهو اشترى منك السيارة، ثم ذهب وباعها، وهؤلاء يغفلون القصد، وهذا على أصول الشافعي؛ لأن الشافعي لا يُعمل القصد، مثل مالك وأحمد والذين هم أفقه منه في باب البيوع، ومنهم علماء من علماء المسلمين في كل عصر، يرون التورق لا بأس به.

ولذلك فالقول الوسط في التورق أنه كما قال شيخ الإسلام: ليس حلالاً بينًا، وأقل أحواله أنه شبهة؛ لأن المسألة إذا اختلف فيها العلماء هذا الاختلاف، تنزل من درجة الحلال البين إلى درجة الشبهة، ويحل لمن اضطر أن

---

(٥٦٩) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، أبو حفص المدني، ثم الدمشقي. أمير المؤمنين، الإمام العادل، والخليفة الصالح، وأمه أم عاصم حفصة، وقيل ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. وَلِيَ الخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك بن مروان، وكان من أئمة العدل، وأهل الدين والفضل، وكانت ولايته تسعة وعشرين شهرا مثل ولاية أبي بكر الصديق. ولد سنة ثلاث وستين، ومات يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة إحدى ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٤٣٢ – ترجمة ٤٢٧٧)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤ – ترجمة ٤٨).

(٥٧٠) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيميّة الحرّاني، ثم الدمشقي، الحنبلي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. برع في العلوم الإسلامية والآلية، وقمع الله به أهل الضلال، وكان –رحمه الله– مجدد قرنه، نصر الله به أهل السنة. ولد سنة إحدى وستين وست مئة (٦٦١)، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة (٧٢٨). وله: الواسطية، ومنهاج السنة. انظر الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩١ – ترجمة ٥٣١)، والوافي بالوفيات (٧/ ١٠ – ترجمة ٦١٩).

يركب الشبهة؛ لأن الضرورة تبيح المحذور، فمن كان عليه دين قد أخذ بخناقه، أو يخشى العنت ويريد الزواج، أو أشياء ضرورية له أن يركب التورق، ويستغفر الله؛ لأنه شبهة، فمنهم من أحله، ومنهم من قال: هو الربا، وأما الذي في سعة ويتورق حتى يدخل في سوق الأسهم، أو يتورق حتى يسافر للخارج، أو يتورق حتى يغير أساس البيت، كما يفعله أكثر الناس اليوم، هذا لا يجوز.

فهذا التورق الذي هو عند البنوك أحل الحلال فإن أقل أحواله أنه شبهة، فما بالك بالظلمات الأخرى التي عند البنوك والتي يسمونها إسلامية؟! وقد أحلت ربا القروض عبر هذه الحيل، وأحلت ربا الديون الأشنع من ربا القروض، فعند البنوك: إذا حل عليك الأجل ولم تقض فإنهم يزيدون عليك، ولا يصبرون مجانًا، وهذا هو الربا، الذي قال عنه -عليه الصلاة والسلام: «رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ»[٥٧١]، وهذه البنوك أخذت الربا من تحت قدميه ووضعت الربا فوق رؤوسنا، معاندة ومحادة لله ولرسوله.

وكل هذا لأنهم -كما قلت في أول الأمر- تخصصوا في طلب الأرباح من أبواب أغلق الله فيها الربح، فالله -عز وجل- لم يجعل في القرض ربحًا، وكذلك الضمان إما أن تضمن لوجه الله أو تترك، والربا من السبع الموبقات[٥٧٢]، ولكن أصحاب الحيل إذا قورنوا بالذين يقولون: هذا ربا ولكن الله يحبه! وهو ربا إسلامي! فهؤلاء أشنع وأخبث، وهذه كلها الحيل.

ولا أنصحكم أن تقرؤوا في كتب الحيل؛ لأنها تظلم القلب، كما قال بعض السلف: جلست مع أهل الرأي وأهل الحيل، فوجدت عندهم الجدل والحيل، حتى مرض قلبي واسود، وجلست مع أهل الحديث، فوجدت عندهم الخشوع والآيات والأحاديث حتى أنار الله قلبي.

فلو قرأتم كتب الحيل تجدون ما تشيب له الرأس، فمن الحيل أنهم يقولون: إذا جاء رمضان في الصيف وطول النهار فسافر إلى الخارج، أو إلى أي مكان ثم ارجع، وهو لا يريد السفر، وإنما يريد أن يفطر في رمضان! ثم إذا جاء

---

(٥٧١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (١٢١٨)، ابن ماجه: كتاب المناسك، باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٠٧٤)، واللفظ له، من حديث جابر بن عبد الله.

(٥٧٢) متفق عليه: أخرجه البخاري:كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) (٢٧٦٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها (٨٩) من حديث أبي هريرة.

الشتاء وقصر النهار قضاه، نقول: الله -عز وجل- لم يشرع الفطر في رمضان إلا لمن سافر سفرًا مقصودًا، وأنت لم سافرت سفرًا مقصودًا، سافرت لأجل أن تفطر.

وإذا حلت الزكاة وحال عليه الحول، يقول: هذا المال وهبته لابني، يفعل ذلك حيلة، فإذا انقطع الحول استرده منه، ويمكث طول السنة ولا يزكي، ويقولون للمرأة التي رفض زوجها أن يطلقها: ارتدي عن الإسلام! فيختلف الدينان، فينحل العقد، ثم أسلمي من جديد! فيأمرونها بالكفر!

ورجل أتاهم وقال: إني أريد أن تحرم هذه عليَّ للأبد، فقالوا: قَبِّل أمها، وأمها أجنبية؛ لأنه إذا قَبَّل أمها حرمت البنت عند بعض العلماء، فيأمرون بالكفر، ويأمرون بالحرام!

ومن الحيل الطريفة -وهي مضحكة ومبكية- التي ذكروها أيضًا، أنهم يقولون: إذا كان الإنسان عليه كفارة ستين صاعًا، فيأتي بصاع واحد، ويتفق مع الفقير واحد، ويقول له: استلم الصاع عن الكفارة، فإذا قبضه الفقير ودخل في ملكه، قال الفقير لصاحب الكفارة: وهبته لك، فيقول: خذه، فيقول: وهبته لك، وهكذا حتى يقضي الستين صاع! يقولون: إن الصورة صحيحة، هو أعطاه الصاع، ودخل في ملك الفقير، ووهبه له! وفي المرة الأخيرة لا يستلم الفقير شيئًا؛ لأن المرة الستين ستكون من نصيب صاحب الكفارة!

وحدثني بعض الأخوة أنه لا زال في بعض بلاد الإسلام من يفتي بها، يضع الشيخ خشبة بين خشبتين ويربطون الصاع، وهذا يدف على الفقير، وهذا يقول: وهبته لك، حتى يسقطون الكفارة، فهذه حيلة بدائية، لكن الحيل التي عند البنوك مثل هذه تمامًا في الخبث وفي التحايل على الله، لكنهم يطوِّرونها ويسمونها بغير اسمها، وعند غيرهم وهذا الذي يمرض القلب.

قال الإمام أحمد: ما أخبثهم! عمدوا إلى دين الله فنقضوه، وعمدوا إلى ما قال الله إنه حرام فجعلوه حلالاً، وما قال الله إنه حلال جعلوه حرامًا.

(وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا الْخُلْعِ، وَبَيْنَ مَنِ اشْتَرَى مِنْ رَجُلٍ سِلْعَةً نَسِيئَةً عَلَى أَنْ يَشْتَرِيَهَا مِنْهُ بِالنَّقْدِ، مَعَ نَظَائِرَ كَثِيرَةٍ لِهَذَا شَاكَلَ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَكُلُّهَا عِنْدَ مَنْ كَانَ عَلَى عِلْمٍ بِشَرِيعَةِ الإِسْلاَمِ، وَشُرُوطِ أَحْكَامِهِ فَاسِدَةٌ مَرْدُودَةٌ، وَرُبَّمَا وَضَعَهَا أَهْلُهَا مَوْضِعَ الْحِيلَةِ، عَلَى نَحْوٍ مِنَ الْحُكْمِ فِي ظَاهِرِهِ مَعَ فَسَادِ بَاطِنِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْخَدِيعَةِ وَالْمُوَارَبَةِ وَالْمُمَكَارَةِ لله -تَعَالَى ذِكْرُهُ- فِي مُعَامَلَتِهِ وَعِبَادَتِهِ).

لا يوجد شك أن هذه خديعة ومواربة، قال -تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[٥٧٣]، وقال: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[٥٧٤]، ويقولون: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٥٧٥] ولذلك أوجب الواجبات على المسلم أن يعتقد بعض الحيل وأهل الحيل، حتى ينجو يكون ممن ينهون عن السوء، وأن ينهى عنه كل من يستطيع، وأن يعلم الناس ترك الريبة والحيلة، ويكون دينهم دين وثيقًا حتى ينجون أمام الله -عز وجل.

والقسم الثالث، وهو في إبطال الحيل، وأصل الحيلة والخديعة في شريعة الإسلام أنها نفاق.

وقد ذكر الشيخ أدلة كثيرة على إبطال الحيل وفسادها، ومناقضتها للإسلام، وذكر آثارًا عن أحمد وغيره، أنهم تكلموا في الحيل وأهل الحيل، وسموهم بأسمائهم، كما سيأتينا -إن شاء الله .

---

(٥٧٣)النساء: ١٤٢.

(٥٧٤)البقرة: ١٥.

(٥٧٥)البقرة: ١٤- ١٥.

س:ليس كل ما يتعلمه الإنسان يعمل به، وعلى قولنا أنه يضر صاحبه إن لم يعمل به، فسنقلل من فضل مجالس العلم وحضورها؛ لأن العمل قليل في الناس.

ج:عليه أن يجاهد نفسه، قال –تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٥٧٦]، وفي الحديث: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[٥٧٧]، وعليه أن يتكلف من العمل ما تطيق، والقصد القصد تبلغ، وفي الحديث: «عَلَيْكُمْ بِالْغُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[٥٧٨]، ونحو هذه الأحاديث، والصحابة –رضي الله عنهم– يعلمون أن ما فيه أحد يستطيع أن يحصي كل النوافل والخيرات، فلذلك مَن فتح له في باب يجتهد فيه، ويكون هذا من العمل.

وابن مسعود كان يقل الصيام، فلما قيل: يا أبا عبد الرحمن نراك تقل الصيام! قال: إن الله فتح لي في القرآن، والصيام يضعفني، لذلك أنا أجتهد فيما فتح لي، والآخر فتح له في القتال، والآخر فتح له في صلاة الليل.. وهكذا، إلا الصديق –رضي الله عنه– فإنه فتح له في الخيرات كلها؛ ولذلك يدعى من أبواب الجنة الثمانية.

س:هل معنى قولك يا شيخ –حفظك الله– أن البنك يريد المال في الأسهم، وفي القرض يراد الزيادة، أن هذا محرم؟

لا شك في ذلك، فإذا كان البنك يشتري الأسهم وهو لا يريدها، فيشتريها ويبيعها لك بالتقسيط وأنت لا تريدها، فقصدكما –أنت والبنك– الدراهم بالزيادة، وإلا فلماذا هذا الشراء والبيع؟ فهذا حيلة محضة، والنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[٥٧٩].

---

(٥٧٦)التغابن: ١٦.

(٥٧٧) متفق عليه: أخرجه البخاري:كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الإقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٢٨٨)، مسلم: كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة.

(٥٧٨) أخرجه البخاري:كتاب الإيمان، باب الدين يسر وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة (٣٩) من حديث أبي هريرة.

(٥٧٩) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (١) واللفظ له، ومسلم كتاب الإمارة، باب قوله –صلى الله عليه وسلم–: «إنما الأعمال بالنية» (١٩٠٧).

والتورق قديمًا كان في السيارات وهذا أهون؛ لأن السيارات يستفيد صاحب المعرض، ويستفيد صاحب السيارة الناقلة، ويستفيد السمسار، فيتحرك جزء من المجتمع ويستفيد وإن كانت شبهة، لكن ألقى الشيطان على قلوبهم الأسهم ولا يستفيد منها أحد، فيجلس موظف البنك بجانبه، ويقول: اشترينا أسهمًا من السوق وبعتها لك بالتقسيط، ولا يستفيد أحد من ذلك، والأسهم هذه كلها غير مرادة، فما الفرق بينها وبين نكاح التحليل؟

يقول السائل: أحسن الله إليكم، من خلال سماعي لكلامك عن واقع الفتوى وانتشار الحيل فيها، صرت أخاف من قبول أي فتوى، بل صرت أقول: مَن الذي يستفتى في هذا الزمان؟

يتثبت الإنسان كما قلنا، فاطلب العلم لنفسك، فإن الناس قد نزعت منهم الأمانة، ولا بد أن يكون في كل عصر من يقوم بحجة الله، وهذا رحمة من الله ووعد منه وضمان، أن أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– لا تجمع على ضلالة[٥٨٠] كما اجتمعت اليهود والنصارى.

فلا بد أن يكون في كل عصر مَن يجري الله الحق على لسانه، وتنطق السكينة على لسانه؛ حتى يقوم الحجة على العباد، فابحث عن أهل الحديث والأثر والمتثبتين الورعين واسألهم، ولا تقل: أبحث عن فلان أو فلان، أو لا أعرف الذين يخرجون في الإعلام والقنوات والبنوك والجرائد، فابحث عن دينك وتورع، وعبد الله بن مسعود يقول: "كيف بكم إذا كنتم في زمان تكون السنة بدعة، والبدعة سنة، والمعروف منكرًا، والمنكر معروفًا"، فهذا الزمان الذي خافه الصحابة وقعنا نحن فيه، قالوا: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: "إذا كثر قراؤكم وقل فقهاؤكم، وكثر أمراؤكم وقل أمناؤكم، والتُمِسَتِ الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين، عند ذلك يكون المعروف منكرًا والمنكر معروفًا"[٥٨١].

---

(٥٨٠) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٢٧٢٢٤)، من حديث أبي بصرة. أخرجه أبو داود: كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها (٤٢٥٣) من حديث أبي مالك الأشعري، قال الألباني في ضعيف أبي داود: ضعيف لكن الجملة الثالثة صحيحة. وهي قوله: (وأن لا تجتمعوا على ضلالة).

أخرجه الترمذي: كتاب الفتن، باب لزوم الجماعة (٢١٦٧) من حديث ابن عمر، قال الترمذي: غريب من هذا الوجه، قال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح. أخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن، باب السواد الأعظم (٣٩٥٠)، من حديث أنس بن مالك، قال الألباني في ضعيف ابن ماجه: ضعيف جدا دون محل الشاهد.

(٥٨١) أخرجه عبد الرازق في المصنف (٢٠٧٤٢)، أبو سليمان الخطابي البستي في كتاب العزلة (٢٠٠) بنحوه.

فمن أراد الله والدار الآخرة وصدق في نيته فإنه يُوَفَّق -بإذن الله، ويفتح الله له السبيل، قال -تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٥٨٢)، فأنفع دعاء لك وضع لك في الفاتحة، حتى لا يغيب عن بالك.

أحسن الله إليكم، ما المراد بقولها: فإني أكره الكفر في الإسلام؟

توضح حالتها النفسية، وتظن أن عقد النكاح مؤبد، فتخشى أن هذا الإسلام الذي دخلت فيه أن يتسبب لها في شيء آخر؛ لذلك تقول: إني وصل بي درجة البغض أني أصبحت في وضع خطر.

أحسن الله إليكم، إذا أردت أن أتقي شدة البرد في وضوء الفجر، فهل يحق لي أن ألبس الخفين؟ أم يعتبر ذلك من التحايل الممقوت؟

الله -عز وجل- إنما أباح المسح على الخفين لمن كان يحتاج إليها، وكان يغطي القدمين، وأما مَن يلبس الشراب حتى يمسح ثم يخلعه، فهذه حيلة، فلم يبح الله -عز وجل- المسح بهذه الطريقة، إنما أباح المسح لمن يرتفق بالشراب أو بالخف ويحتاج إليه؛ ولذلك من لبس لكي يمسح ثم يخلع فهذه حيلة، ومن الحيل أنهم يحتالون على التوقيت خاصة في الشتاء، فإذا أوشك اليوم والليلة على الانتهاء خلع الشراب، وعلى القول الصحيح أن خلع الشراب لا ينقض الوضوء، فيقول: أنا الآن طاهر أو محدث؟ نقول: أنت طاهر، فيقول: إذن ألبسهما من جديد، ويستأنف يومًا جديدًا، وكلما أوشك اليوم أن ينتهي خلعها ثم لبسها، نقول هذه حيلة، لأنك أبطلت قول النبي -عليه الصلاة والسلام: «لِلْمُقِيمِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ»(٥٨٣).

فلا بد أن تُمس بشرتك الماء، صحيح إنك إذا خلعت الخف لم ينتقض وضوؤك، لكن ما دمت بهذا الوضوء، فإذا انتقض الوضوء لا بد أن تتوضأ وتغسل رجليك، فهذا واجب عليك، والحيل كثيرة تدخل في كل الأبواب.

أحسن الله إليكم، ما معنى قولها: والله لا أغتسل لك من جنابة؟

من كراهيتها لزوجها تقول: والله لا أمكنك من نفسي، فهي ناشز عاصية، فهذه يحل لها الخلع، وليست الكراهة اليسيرة؛ لأن هذا لا تسلم منه امرأة، كما قال عمر -رضي الله عنه- لما جاء رجل يشتكي، قال: أتظن أن

---

(٥٨٢) الفاتحة: ٦.

(٥٨٣) أخرجه أحمد في المسند (١٢٧٧)، واللفظ له، مسلم: كتاب الطهارة، باب التوقيت في المسح على الخفين (٢٧٦)، من حديث علي بن أبي طالب.

البيت كلها بُنيت على الحب؟! فأكثر البيوت ما بُنيت على الحب، ولكن بنيت على حسن العشرة والذرية[٥٨٤]، فبعض الناس يظن إنه إذا لم يحب الزوجة، أو الزوجة إذا لم أحبت زوجها أن زواجهما فاشل، لا، ليس بصحيح، فالله -عز وجل- يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٥٨٥]، فالكراهة اليسيرة هذه لا توجب الخلع، بل الكراهة الشديدة فقط، وإذا كانت بهذا الحال فإنها تطلب منه الخلع أو تطلب من القاضي.

أحسن الله إليكم يا شيخ، أليس شيخ الإسلام ابن تيمية[٥٨٦] -رحمه الله- اشتهر عنه جواز التورق، أو جواز مسألة التورق الثلاثية، سمعنا هذا كثيرًا من اللجان الشرعية للبنوك.

شيخ الإسلام كلامه واضح، أما أوضح كلام له، فهو ما نقله عنه ابن القيم[٥٨٧] في إعلام الموقعين يقول: راجعت شيخنا مرارًا وتكرارًا إلى أن مات في التورق، وهو مُصِرٌّ، ويقول: العلة التي أراها في الربا أراها في التورق، وابن القيم يقول: راجعته؛ لأن المسألة فيها قولان، وروي عنه مرة أخرى أنه قال: يجوز للضرورة.

الحيل -كما تقدم- بدعة منكرة، قال ابن تيمية: أجزم بأن الصحابة والتابعين لم ينقل عنهم حيلة واحدة من هذه الحيل، وإنما أول ما بدأت في المئة الثانية، وقد يؤخذ بعضها، بعض أهل الرأي في أواخر المئة الأولى، أو في آخر عصر تابع التابعين، فهي بدعة منكرة.

وذكر شيخ الإسلام أدلة، منها ما سنذكره الآن، ونقلها عنه ابن بطة، ومنها أدلة جمعها من الكتب الأخرى، أو فتح الله بها عليه.

---

(٥٨٤) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار (٢٣٦) بنحوه.

(٥٨٥) النساء: ١٩.

(٥٨٦) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيميّة الحرّاني، ثم الدمشقي، الحنبلي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. برع في العلوم الإسلامية والآلية، وقمع الله به أهل الضلال، ونصر به أهل السنة. ولد سنة إحدى وستين وست مئة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة. وله من المؤلفات: الواسطية، ومنهاج السنة. انظر الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩١ ترجمة ٥٣١)، والوافي بالوفيات (٧/ ١٠ ترجمة ٦١٩).

(٥٨٧) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، شمس الدين أبو عبد الله، الزرعي، ثم الدمشقي. الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف. ابن قيم الجوزية. تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة. وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة، ولهج بالذكر. له تواليف حسان؛ منها: "زاد المعاد"، و"بدائع الفوائد". ولد سنة إحدى وتسعين وست مئة، وتوفي سنة إحدة وخمسين وسبع مئة. انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣)، والذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠ ترجمة ٦٠٠).

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ: إبْطَالُ الْحِيَلِ، وَأَصْلُ الْحِيلَةِ فِي شَرِيعَةِ الإسْلاَمِ خَدِيعَةٌ، وَالْخَدِيعَةُ نِفَاقٌ، وَالنِّفَاقُ عِنْدَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- أَعْظَمُ مِنْ صُرَاحِ الْكُفْرِ، قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، [٥٨٨]، وقال -تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى﴾[٥٨٩].

أَفَلاَ تَرَى أَنَّ الْمُنَافِقِينَ أَظْهَرُوا قَبُولَ الأَحْكَامِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَأَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمُ التَّدَيُّنَ بِهَا، حِيلَةً بِذَلِكَ، وَخَدِيعَةً لله -عَزَّ وَجَلَّ- وَلِرَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ -رَحْمَةُ اللهُ عَلَيْهِمْ؛ لِيَحْقِنُوا بِذَلِكَ دِمَاءَهُمْ وَيَحْفَظُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَعْطَاهُمْ مَا أَرَادُوا بِمَا أَظْهَرُوا، وَأَكْذَبَهُمْ فِيمَا ادَّعُوا بِمَا أَسَرُّوا وَأَبْطَنُوا، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ كَيْدَهُمْ وَخَدِيعَتَهُمْ بِسُوءِ اعْتِقَادِهِمْ، وَإِرَادَاتِهِمْ غَيْرَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنْ خَالِصِ التَّصْدِيقِ وَصَافِي التَّوْحِيدِ، وَاسْتِعْمَالِهِمْ آلاَتِ الإِيمَانِ لِغَيْرِ مَا أَرَادَهَا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا بَابٌ مِنَ الْحِيلَةِ، وَهُوَ أَفْحَشُهَا وَأَقْبَحُهَا، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنَ الْحِيلَةِ فَمُشَبَّهٌ بِهَا، وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهَا، وَمُتَشَعِّبٌ عَنْهَا).

هذا الدليل الأول في إبطال الحيل ، وهو الأصل، وهو أن الحيل نفاق، وشيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية له كلمة شهيرة، قال: الحيل نفاق في الشرائع، كما أن النفاق الأكبر نفاق في العقائد.

وكما أن النفاق الأكبر -نفاق ابن سلول[٥٩٠] وأمثاله إلى يوم القيامة- أعظم عند الله من صراح الكفر، وهم في الدرك الأسفل من النار، فالنفاق في الشرائع أعظم من صراح الذنوب والمعاصي، فالذي يحتال على الربا أشد جرمًا من الذي يصرح بالربا؛ ولذلك صارت العينة أخبث من الربا الصراح، ونحو ذلك.

ولذلك قال: ما وجه الحيلة عند المنافقين؟ وجه الحيلة أنهم أظهروا الإسلام، ويصلون مع المسلمين، وأثقل الصلاة عليهم صلاة العشاء والفجر؛ لأنهم لا يرجون ثوابًا، ويحجون مع المسلمين، ويغزون معهم، وهم لا

---

(٥٨٨) البقرة: ٧ - ٨.

(٥٨٩) النساء: ١٤٢.

(٥٩٠) المنافق عبد الله بن أُبَيّ بن سلول. من أشراف الخزرج، وكانت الخزرج قد اجتمعت على أن يتوجوه ويسندوا أمرهم إليه قبل مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- فلما جاء الله بالإسلام؛ نفس على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- النبوة، وأخذته العزة، فلم يخلص الإسلام وأضمر النفاق حسدا وبغيا. ذكره ابن عبد البر عند ترجمة ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي الصحابي المشهور. انظر: الاستيعاب (ص: ٤١٦ ترجمة ١٤٢٤).

يريدون الثواب، وإنما يريدون أن يحقنوا دماءهم، ويحفظوا أموالهم وذرياتهم، فهم يظهرون شيئًا، ويبطنون شيئًا آخر، فهذا هو النفاق الأكبر، وفي الحيل نفس الطريقة، فيظهر عقدًا أو نكاحًا أو بيعًا وهو لا يريدها، وإنما يريد شيئًا آخر.

فهي كما قال أبو العباس: الحيلة نفاق في الشرائع، كما أن النفاق الأكبر نفاق في العقائد، وأعظم الأدلة في إبطال الحيل هذا الدليل، فبعد حكاية الإجماع عن الصحابة؛ لأن حكاية الإجماع -كما قال شيخ الإسلام- مقدم على كل الأدلة، على كراهة الحيل، والنفور منها، قال: كل ما كان من الحيل، فمشبه بالنفاق ومنسوب إليه، ومتشعب عنه.

(أَلاَ تَرَى أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- شَرَعَ -بِرًّا بِكَافَّةِ خَلْقِهِ وَإِرْفَاقًا بِهِمْ- رُخَصًا وَصَفَهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، وَشِدَّةِ الضَّرُورَةِ عِنْدَ نُزُولِهَا، فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ- حِينَ فَرَغَ مِنْ فَرْضِ الصِّيَامِ: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[٥٩١]، وَقَالَ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاَةِ﴾[٥٩٢]، فَأَبَاحَ الْفِطْرَ فِي الصَّلاَةِ، وَقَصْرَ الصَّلاَةِ، وَفَرَضَ الْحَجَّ بِوُجُودِ الاسْتِطَاعَةِ، فَلَو أَنَّ رَجُلاً سَافَرَ لاَ يُرِيدُ بِسَفَرِهِ إِلاَّ الأَكْلَ وَالْجِمَاعَ نَهَارًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، حَتَّى يَقْضِيَ ذَلِكَ عَلَى مَهَلٍ مُتَقَطِّعًا فِي قَصِيرِ الأَيَّامِ عَلَى مَرِّ الأَوْقَاتِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً سَافَرَ لاَ يُرِيدُ مِنْ سَفَرِهِ إِلاَّ أَنْ يَضَعَ عَنْ نَفْسِهِ بَعْضَ صَلاَتِهِ، وَكَذَلِكَ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْحَجُّ بِوُجُودِ الاسْتِطَاعَةِ فَوَهَبَ مَالَهُ لِبَعْضِ وَلَدِهِ عِنْدَ أَوْقَاتِ الْحَجِّ، ثُمَّ اسْتَرْجَعَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ لَهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَاشِيَةِ مَالٌ كَثِيرٌ تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ الْكَثِيرَةُ، فَبَاعَهَا عِنْدَ رَأْسِ الْحَوْلِ، وَجَرَى ثَمَنُهَا مَجْرَى الْمَالِ الْمُسْتَفَادِ، أَوْ مَالٌ صَامِتٌ، فَعِنْدَ رَأْسِ الْحَوْلِ ابْتَاعَ بِهِ عَقَارًا حَتَّى إِذَا جَاوَزَ الْحَوْلَ بَاعَهُ، لَكَانَ هَذَا كُلُّهُ فِي ظَاهِرِهِ جَائِزًا فِي شَرِيعَةِ الإِسْلاَمِ مَاضِيًا عَلَى أَحْكَامِهَا، وَلَوِ اسْتَفْتَى فَاعِلُهُ جَمِيعَ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ الأَمْصَارِ فِيمَا فَعَلَ غَيْرَ مُخْبِرٍ لَهُمْ بِنِيَّتِهِ وَلاَ مَا قَصَدَهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، لَمَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ اثْنَانِ فِي جَوَازِهِ وَصِحَّتِهِ، وَلاَ رَأَوْهُ حَرَجًا فِي فِعْلِهِ، وَلاَ إِثْمًا فِي مُرْتَكِبِهِ، وَمَا ظَنُّكَ الآنَ إِذَا كَانَ الْمُفْتِي هُوَ الآمِرَ بِهَذَا وَالدَّالَّ عَلَيْهِ وَالْمُفْتِيَ بِهِ، وَلاَ فَرْقَ بَيْنَ الْفُتْوَى بِالْخُلْعِ عَلَى الْحَالِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَبَيْنَ الْفَتْوَى فِي هَذِهِ الأَسْبَابِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا كُلَّهَا، فَإِنَّهَا كُلَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْحِيلَةِ، وَتَجِدُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ حَرَّمَ الْحِيلَةَ وَالْخَدِيعَةَ، وَحَرَّمَهَا رَسُولُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبْطَلَهَا، وَإِنْ أَعْطَاهَا صِحَّةَ الْحُكْمِ فِي ظَاهِرِهَا).

---

(٥٩١) البقرة: ١٨٥.

(٥٩٢) النساء: ١٠١.

المؤلف يبدأ الأدلة بقوله: أفلا ترى، ألا ترى.. فالله -عز وجل- شرع رخصًا لعباده، لكن هذه الرخص لمن تعرض لها، وهو من أهلها، فشرع للمسافر إذا سافر في رمضان أن يفطر، إذا كان له سفر مقصود، أو يقصد السفر لمصلحته، سواء كان سفره مباحًا أو واجبًا أو حتى محرمًا على القول الصحيح، لكن لو سافر لأجل أن يفطر؛ نقول: هذا استخدم رخص الله في غير ما أحل الله؛ فالله -عز وجل- ما فتح الباب لهذا وأمثاله، بل فتح الباب للمسافر الحقيقي، وهذا مسافر مزيف مخادع محتال، هذه الصورة الأولى.

الصورة الثانية: لو سافر من أجل أن يضع عن نفسه بعض الصلاة، وهذه صورة متصورة، ولكن يقل أن يتجشم السفر من أجل الركعتين، لكن هذا صحيح من باب التصور، فهذا ليس من أهل الجمع؛ لأنه سافر حتى يجمع الظهر والعصر، ثم يرجع.

الصورة الثالثة: لو وجب عليه الحج بالاستطاعة، فوهب المال لبعض أولاده؛ حتى يتجاوز موسم الحج، ثم استرد المال من ولده، وقال: أنا غير مستطيع، فهذه الهبة صورية، وهو منافق يخادع الله ورسوله.

الصورة الرابعة: لو كان له من أصناف الماشية مال كثير، تجب فيه الزكاة الكثيرة، فعند رأس الحول باعها، وجرى ثمنها مجرى المال المستفاد، والمال المستفاد إذا قبضه الإنسان بدأ به حولاً جديدًا، كالمال الذي يستفيده من ميراثه، فهذا باع الماشية، وأصبح المال جديدًا، وكلما حال عليه الحول باع الماشية، وإذا انتهى الحول أخذ المال واشترى به ماشية أخرى، فهو يحتال على سقوط الزكاة عليه، (أوْ مالٌ صامتٌ)، أي: الذهب والفضة، وعند رأس الحول يشتري به عقارًا وهو لا يريده، فإذا انقطع الحول باع العقار وردها إلى المال، فهو ينتقل من المال إلى العقار، ومن العقار إلى المال؛ حتى يهرب من الزكاة.

والصور كثيرة جدًّا، وقد تقدم بعض صورها، وهذا كله جائز في ظاهر الأمر، فلو استفتى كل أهل الإسلام ولم يخبر بنيته، لما اختلف عليه اثنان في جوازه، فلو سأل: أنا أسافر في رمضان، فهل أقصر؟ وهل أفطر؟ لقال المفتي: نعم تقصر وتفطر، لكنه لم يخبره أنه سافر ليترخص، ولو سأل: أنا بعت الماشية بمال، هل يجوز؟ لقال المفتي: يجوز، لكن لو أخبره بقصده لقال: لا يجوز...

فإذن الذي يفسد هو القصد؛ ولذلك لا يهدم الحيل من أصلها إلا اعتبار القصد؛ لحديث عمر: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»(٥٩٣)، فكما أننا نعتبر القصد في النفاق، نعتبره في الحيل.

ولذلك ابن القيم له كلمة لطيفة وهي قاعدة عميقة جدًّا، يقول: الفقيه يقول: ماذا أردت؟ ونصف الفقيه أو غير الفقيه يقول: ماذا قلت؟

واليوم تجدون أكثر مَن يتكلم في مسائل الحيل المعاصرة يقول: صورة كذا صحيحة، نقول: صورة عقد نكاح التحليل صحيحة، وبيع العينة صورته صحيحة، لكن ما القصد؟ «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»(٥٩٤).

قال أبو عبد الله: (فما ظنُّك إذَا كانَ المفتِي هو الذِي يأمرُ بالحيلةِ)، ويدل الناس عليها، ويقول: هذا جيد، وهذا إسلامي، وهذا يجوز، نسأل الله العافية والسلامة، فبدلاً من أن ينهى الناس عنها صار هو الذي يدل عليها! وقد تقدمت صفة المفتي الحقيقي والمفتي المزيف.

(أَلاَّ تَرَى أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَكَمَ بِمَا ظَهَرَ، وَأَبْطَلَ ذَلِكَ بِمَا اسْتَتَرَ، وَهُوَ أَعْدَلُ الْخَلْقِ فِي حُكُومَتِهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِقَضِيَّتِهِ، وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ يَكُونُ أَلْطَفَ حِيلَةً فِي خُصُومَتِهِ، وَأَلْحَنَ مِنْ خَصْمِهِ بِحُجَّتِهِ، وَأَنَّ الْحُكْمَ بِمَا ظَهَرَ لاَ بِمَا اسْتَتَرَ، قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ صَاحِبِهِ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ شَيْئًا مِنْ مَالِ أَخِيهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلاَ يَأْخُذْهُ؛ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»(٥٩٥)، أَفَلاَ تَرَى أَنَّ ظَاهِرَ الْقَضِيَّةِ حَقٌّ بِمَا ظَهَرَ مِنْ حِيلَةِ صَاحِبِهَا وَمَكْرِهِ، ثُمَّ جَعَلَهَا بِغَيْرِ حَقٍّ، وَأَوْجَبَ لِصَاحِبِهَا النَّارَ بِمَا أَبْطَنَ مِنْ سِرِّهِ وَعَزْمِهِ، فَلَوْ كَانَ ظَاهِرُ الْحُكْمِ الإِسْلاَمِيِّ يَدْرَأُ عَنْ صَاحِبِهِ فَسَادَ مَا زَوَى عَنهُ مِنْ حِيلَتِهِ وَمُخَادَعَتِهِ، لَمَا أَوْجَبَ لَهُ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- النَّارَ، وَهَكَذَا صَاحِبُ هَذَا الْخُلْعِ، وَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ الَّذِي أَرَادَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَهُ، فَظَاهِرُهُ صَحِيحٌ، وَمَعْنَاهُ مَرْدُودٌ قَبِيحٌ).

---

(٥٩٣) سبق تخريجه.

(٥٩٤) سبق تخريجه.

(٥٩٥) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين (٢٦٨٠، ٦٩٦٧، ٧١٦٩)، مسلم: كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة (١٧١٣) بنحوه من حديث أم سلمة.

هذا هو الدليل الثالث، النبي -عليه الصلاة والسلام- بيَّن أنه يحكم بالظاهر، لكن إذا تبين أن الباطن بخلاف ذلك، فإن هذا لا يعفي صاحبه من النار، وهذا من أوضح الأدلة، فقال: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنِّي أَقْضِي بِنَحْوِ مَا أَسْمَعُ»، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- لا يعرف الباطن، ولا يعلم الغيب، لكن حكمه لا يغير حقيقة الأمور؛ لذلك قال: «فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْ؛ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»، فدل على أن النبي -عليه الصلاة والسلام- وإن حكم بالظاهر فإن الباطن لا يتغير أبدًا.

ولذلك يقول العلماء: هذا الحكم قضاءً، وهناك الحكم ديانةً، فقد يقضي القاضي بما ظهر من البينات، وفي الديانة يدري أن الشيء ليس له، فهذا يدل على إبطال الحيل، فأنت وإن أظهرت أن العقد صحيحًا، وأظهرت البيع صحيحًا.. فهذا لا يغير من باطن الأمر شيئًا، فإذا كان الله يعلم منك أنك تظهر شيئًا وأنت لا تريده، فإن الله يحاسبك على نيتك؛ «وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

(وَمِنْ أَوْضَحِ الأَدِلَّةِ عَلَى بُطْلاَنِ الْحِيلَةِ فِي الأَحْكَامِ نَهْيُ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْهَا، وَلَعْنَتُهُ فَاعِلَهَا، مِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَاحِ الزَّعْفَرَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ الله بِأَدْنَى الْحِيَلِ»)[٥٩٦].

هذا هو الدليل الرابع، وهذا الحديث عند الترمذي، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال: هذا الحديث من العلماء مَن يصحح إسناده، ومنهم مَن يحسنه، ومعناه صحيح، والأدلة تدل عليه، قال -صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ الله بِأَدْنَى الْحِيَلِ»، فالحيل بضاعة اليهود؛ وهم على هذا إلى اليوم؛ لأن هذه بضاعتهم، يحتالون على محارم الله -عز وجل؛ ولذلك يفرحون بهذه الحيل أشد الفرح، ومن العجيب أن ثلاثة من كتب الحيل التي أَلَّفها: اثنان من الأحناف، وواحد من الشافعية، قد حققها المستشرق اليهودي يوسف

---

(٥٩٦) حسن: أخرجه ابن كثير في تفسيره (١/ ١٣٧) من طريق ابن بطة، وقال: وهذا إسناد جيد، وأحمد بن محمد بن مسلم هذا، وثقة الحافظ أبو بكر البغدادي وباقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح، والله أعلم، وقال في موضع آخر (٢/ ٢١٤): وهذا إسناد جيد؛ فإن أحمد بن محمد بن مسلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه ووثقه وباقي رجاله مشهورون ثقات ويصحح الترمذي بمثل هذا الإسناد كثيرا.
قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/ ٦٠٨): رواه ابن بطة في "جزء الخلع وإبطال الحيل" وإسناده جيد كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره.

شاخت قبل مئة سنة، وهو مستشرق يهودي مجرم، حققها وأخرجها من بطون المخطوطات، وعلق عليها، وأخرجها في كتاب واحد! وذلك لأنها وافقت دينه الذي هو عليه -نسأل الله العافية والسلامة.

(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الدُّورِيُّ، وَحَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ زَنْجَوَيْهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ، يُحَرِّمُونَ شَحْمَ الْغَنَمِ وَيَأْكُلُونَ أَثْمَانَهَا»[٥٩٧]).

الحديث هذا أصله في الصحيح، قال -عليه الصلاة والسلام: «قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ»[٥٩٨].. الحديث، وفي لفظ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ لَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ شُحُومَ الْمَيْتَةِ»[٥٩٩].. الحديث، وقال -تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[٦٠٠]، لما حرم الله عليهم الشحم، ماذا فعلوا؟ جملوها، أي: أذابوها، وقالوا: هذا ودك، والودك هو الشحم المذاب، وقالوا: نحن نبيع الودك لا الشحم! وكما قال أيوب السختياني[٦٠١]: كأن الله صبي يصنع معه هذا الشيء؛ ولذلك اشتد غضب الله عليهم وعلى مَن تشبه بهم.

قال أبو عبد الله: (فَرَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنَّمَا لَعَنَ الْيَهُودَ بِاسْتِعْمَالِهِمُ الْحِيلَةَ بِأَكْلِهِمْ ثَمَنَ الشُّحُومِ؛ لأَنَّ أَكْلَهَا حَرَامٌ، وَالْحِيلَةُ حَرَامٌ، وَالْمُسْتَعْمِلُ لَهَا فِي دِينِهِ إِنَّمَا يُخَادِعُ رَبَّهُ.

---

(٥٩٧) أخرجه يعقوب بن شيبة في مسند عمر بن الخطاب (٦) من طريق عبيد الله بن موسى به.

(٥٩٨) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكه (٢٢٢٣)، مسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام (١٥٨٢) بنحوه من حديث عمر بن الخطاب.

(٥٩٩) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٦٠)، مسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام (١٥٨٢) بنحوه من حديث عمر بن الخطاب.

(٦٠٠) الأنعام: ١٤٦.

(٦٠١) أيوب ابن أبي تميمة كيسان السختياني، العنزي، مولاهم، أبو بكر البصري، الأَدَمِيّ ويقال: ولاؤه لطهية، وقيل: لجهينة. الإمام الحافظ سيد العلماء. عداده في صغار التابعين. مولده عام توفي ابن عباس، سنة ثمان وستين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد. توفي سنة إحدى وثلاثين ومئة بالبصرة، زمن الطاعون، وله ثلاث وستون سنة. انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٤٥٧ ترجمة ٦٠٧)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٥ ترجمة ٧).

حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَزَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ الْحَارِثِ السُّلَمِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ عَمَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلاَثًا وَنَدِمَ، فَقَالَ: إِنَّ عَمَّكَ عَصَى اللهَ فَأَنْدَمَهُ، وَأَطَاعَ الشَّيْطَانَ فَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ مَخْرَجًا، قَالَ: فَإِنِّي أَتَزَوَّجُهَا بِغَيْرِ أَمْرِهِ، وَتَرْجِعُ إِلَيْهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَاسٍ: مَنْ يُخَادِعِ اللَّهَ يَخْدَعْهُ)[٦٠٢].

هذا الدليل الخامس، وهو في إبطال نكاح التحليل، وكل أدلة إبطال نكاح التحليل تدل على إبطال الحيل عمومًا، فانظر كيف أفتى الصحابة؟ فالرجل طلق امرأته ثلاثًا، ولم يطلق طلاق السنة، فجاء ابن أخيه يستفتي ابن عباس، فقال: إن عمك عصى الله، والله -عز وجل- يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [٦٠٣]، وعمك لم يتق الله؛ فلم يجعل له مخرجًا، لو طلق طلاق السنة لكان له مخرج، فقال ابن أخيه: أتزوجها بغير أمره حتى ترجع إليه، فقال ابن عباس: مَن يخادع الله يخدعه.

وفي كتاب الحيل لمحمد بن الحسن[٦٠٤] الذي شرحه السرخسي[٦٠٥] في المبسوط، نص على أن نكاح التحليل جائز، وقال: إنه إذا تزوج المرأة نكاح تحليل فإنه جائز، وهذا من التعاون على البر والتقوى، وهذا ندم، فلا بد من

---

(٦٠٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٠٦٥) من طريقه به
أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠٧٧٩)، البيهقي (١٤٧٥٨) عن ابن عباس بنحوه.

(٦٠٣) الطلاق: ٢.

(٦٠٤) محمد بن الحسن بن فرقد، العلامة، فقيه العراق، أبو عبد الله الشيباني، الكوفي، صاحب أبي حنيفة. ولد بواسط، ونشأ بالكوفة. وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، وتمم الفقه على القاضي أبي يوسف. وروى عن: أبي حنيفة، ومسعر، ومالك بن مغول، والأوزاعي، ومالك بن أنس. أخذ عنه الشافعي فأكثر جدا. مات سنة تسع وثمانين ومئة بالري. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤ ترجمة ٤٥)، طبقات الفقهاء للشيرازي (ص: ١٣٥).

(٦٠٥) الفضل بن عبد الواحد بن الفضل السرخسي ثم النيسابوري الحنفي التاجر أبو العباس الفقيه المعمَّر. ولد سنة أربع مئة، وقدم ببغداد في سنة عشر مع أبيه للتجارة. كان صلبا في مذهب أبي حنيفة. من مؤلفاته: "المبسوط". مات في جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٤٧ ترجمة ٧٦)، والجواهر المضية (٢/ ٦٩٤ ترجمة ١١٠٣).

تدخل رجل ليعينهم على البر والتقوى، نقول: بل هذه محادة لله ولرسوله، وإعانة على الإثم والعدوان، فالمحلل ملعون والمحلل له ملعون[٦٠٦] -نسأل الله العافية والسلامة- حتى لو لم يشترطوا، بل يكفي وجود النية.

قال أبو عبد الله -رحمه الله: (أَوَلاَ تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَعَلَ الْخِيَارَ لِلْمُتَبَايِعَيْنِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا[٦٠٧]، ثُمَّ نَهَاهُمَا أَنْ يُفَارِقَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ مُخَافَةَ أَنْ يَسْتَقِيلَهُ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمَا أَنْ يُفَارِقَ صَاحِبَهُ لِيُبْطِلَ عَلَيْهِ الْخِيَارُ الَّذِي جَعَلَهُ لَهُ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ قَدْ أَدْخَلَ فِي الْبَيْعِ ضَرْبًا مِنَ الْحِيلَةِ، وَخَدِيعَةً لِصَاحِبِهِ اسْتَعْمَلَ فِيهَا ظَاهِرَ الْعِلْمِ، فَجَعَلَ السُّنَّةَ وَالْعِلْمَ ذَرِيعَةً لِحِيلَتِهِ، وَأَدَاةً لِخَدِيعَتِهِ، وَرَكِبَ مَطِيَّةَ الْحَقِّ فِي مُرَادِ الْبَاطِلِ، فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ لِمَا ظَهَرَ مِنْ فِعْلِهِ يَخْصِمُهُ، وَبِمَا أَبْطَنَ مِنْ مُرَادِهِ مَخْصُومٌ).

هذا من دقة فهم السلف، والإمام أحمد -كما سيأتي- اعتبر هذا من أدلة إبطال الحيل، ومن رحمة الله وحكمته أن عقد البيع ليس عقدًا جائزًا، فلا يصح لكل واحد من المتبايعين أن يفسخه متى شاء؛ لأن الأملاك ستبقى معلقة، فقد تشتري البيت، وتسكن ثم يأتيك صاحبه ويقول لك: اخرج، أنا رجعت في البيع، فلا بد يكون عقدًا لازمًا، ومن جهة أخرى، قد يكون البيع بدون استشارة فيندم صاحبه، فجاءت الشريعة في الوسط، فهو عقد لازم ولكن له حَرَم، والحرم هو المجلس، فما دام في المجلس فهو عقد جائز، لكل واحد منهم أن يرجع، فإذا تفرقا لزم العقد.

فإذا جاء واحد وافتعل التفرق، وهو لا يريده، لكن افتعله حتى يلزم صاحبه بالعقد، ويحرمه من استخدام حقه في الخيار، هذا لا يحل، كما قال -عليه الصلاة والسلام: «وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُفَارِقَهُ خَشْيَةَ أَنْ يَسْتَقِيلَهُ»[٦٠٨]، أي:

---

(٦٠٦) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٦٦٠)، وأبو داود: كتاب النكاح، باب في التحليل (٢٠٧٦)، والترمذي: كتاب النكاح، باب ما جاء في المحل والمحلل له (١١١٩)، وابن ماجه: كتاب النكاح، باب المحلل والمحلل له (١٩٣٥) من حديث علي بن أبي طالب، قال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح.

(٦٠٧) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا (٢٠٧٩)، مسلم: كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان (١٥٣٢) من حديث حكيم حزام.

(٦٠٨) حسن: أخرجه أحمد في المسند (٦٧٢١)، أبو داود: كتاب البيوع، باب في خيار المتبايعين (٣٤٥٦)، الترمذي: كتاب البيوع، باب ما جاء في البيعين بالخيار ما لم يتفرقا (١٢٤٧) قال الترمذي: حسن، النسائي: كتاب البيوع، باب وجوب الخيار للمتبايعين قبل افتراقهما (٤٤٨٣)، من حديث عبد الله بن عمرو، قال الألباني في صحيح أبي داود: حسن.

خشية أن يقول: أقلني، وإن كان روي عن ابن عمر أنه كان إذا أعجبه البيع قام ومشي خطوات، كما في الصحيح[٦٠٩]، لكن ابن عمر لم يبلغه النهي.

فالإمام أحمد قال: إن هذا الدليل يصلح لإبطال الحيل؛ لأن هذا احتال على لزوم العقد بافتعال التفرق، وهو لا يريده، أظهر تفرقًا، والتفرق غير مقصود، وإنما المقصود أن يتحول العقد من جائز إلى لازم.

(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الله أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنِي مَخْرَمَةُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ شُعَيْبٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ شُعَيْبًا يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «أَيُّمَا رَجُلٍ ابْتَاعَ مِنْ رَجُلٍ بَيْعًا، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْخِيَارِ حَتَّى يَتَفَرَّقَا مِنْ مَكَانِهِمَا، وَلاَ يَحِلُّ لأَحَدِهِمَا أَنْ يُفَارِقَ صَاحِبَهُ مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَقِيلَهُ»)[٦١٠].

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ -رَحِمَهُ اللهُ-: (فَانْظُرْ يَا أَخِي إِلَى حُكْمِ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلْمُتَبَايِعَيْنِ بِتَمَامِ الْبَيْعِ، إِذَا تَفَرَّقَا عَلَى السَّلاَمَةِ وَجَارِي الْعَادَةِ، وَتَحْرِيمِهِ التَّفْرِيقَ عَلَى مَنْ أَرَادَ الْحِيلَةَ وَالْخَدِيعَةَ، فَصَارَ يَسْتَعْمِلُ السُّنَّةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، فَصَارَ الْمُبَاحُ عَلَيْهِ مَحْظُورًا، وَالْحَلاَلُ مُحَرَّمًا.

حَدَّثَنِي أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الأَثْرَمُ[٦١١]، قَالَ: وَقِيلَ لأَبِي عَبْدِ اللهِ فِي حَدِيثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «لاَ يَحِلُّ لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يُفَارِقَ صَاحِبَهُ خَشْيَةَ أَنْ يَسْتَقِيلَهُ»، يَرْوِيهِ ابْنُ عَجْلاَنَ! قَالَ أَبُو عَبْدِ الله: فِي حَدِيثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- إِبْطَالُ الْحِيَلِ)[٦١٢].

---

(٦٠٩) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب كم يجوز الخيار (٢١٠٧، ٢١١٦)، مسلم في البيوع باب ثبوت خيار المجلس للمتبايعين رقم (١٥٣١).

(٦١٠) أخرجه والدارقطني (٣/ ٥٠)، البيهقي (١٠٢٢٩) من طريق أبي بكر النيسابوري به.

(٦١١) الإمام الحافظ العلامة، أبو بكر، أحمد بن محمد بن هانئ، الإسكافي الأثرم الطائي، وقيل: الكلبي، أحد الأعلام، ومصنف السنن، وتلميذ الإمام أحمد. خراساني الأصل. ولد في دولة الرشيد. مات بمدينة إسكاف في حدود الستين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ. انظر: تهذيب الكمال (١/ ٤٦٧ ترجمة ١٠٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٢٣ ترجمة ٢٤٧).

(٦١٢) أخرجه أبو يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٥١) من طريق أبي عبد الله بن بطة عن أبي حفص به.

(قالَ أبو عبدِ الله) هو الإمام أحمد، قال: (في حديثِ عبدِ الله بنِ عمرَ إبطالُ الحيلِ)، هذا من دقة فهم السلف، فهذا يصلح دليلاً في إبطال الحيل؛ أنه افتعل التفرق وهو لا يريده.

قال أبو عبد الله -رحمه الله: (أَلاَ تَرَى أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- مَسَخَ قَوْمًا قِرَدَةً بِاسْتِعْمَالِهِمُ الْحِيلَةَ فِي دِينِهِمْ، وَالْمُوَارَبَةَ فِي دِينِهِمْ، وَمُخَادَعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ أَظْهَرُوا التَّمَسُّكَ وَتَحْرِيمَ مَا حَرَّمَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، مَعَ فَسَادِ بَاطِنِهِمْ، وَقَبِيحِ مُرَادِهِمْ، فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾[٦١٣]، ذُكِرَ لَنَا -وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنَّ الْحِيتَانَ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ كَالْمَخَاضِ آمِنَةً، فَلاَ يَعْرِضُونَ لَهَا، ثُمَّ لاَ يَرَوْنَهَا إِلَى يَوْمِ السَّبْتِ الآخَرِ، فَلَمَّا طَالَ نَظَرُهُمْ إِلَيْهَا وَتَأَسُّفُهُمْ عَلَيْهَا، تَشَاوَرُوا فِيهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- إِنَّمَا حَرَّمَهَا يَوْمَ السَّبْتِ، فَاصْنَعُوا لَهَا الْمَصَائِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِذَا جَاءَ يَوْمُ السَّبْتِ فَدَخَلَتْ فِيهَا، فَخُذُوهَا يَوْمَ الأَحَدِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَكَانَ مَا قَصَّ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمْ.

حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الصَّوَّافُ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ بِشْرِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ كِنْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْعُوفِيُّ الْقَاضِي حُسَيْنُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطِيَّةَ الْعُوفِيِّ، وَهُوَ جَدُّهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا، وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حَظَرُوا لِذَلِكَ حَظَائِرَ، وَجَعَلُوا لَهَا أَبْوَابًا، كَانَ يَدْخُلُهَا السَّمَكُ يَوْمَ السَّبْتِ وَيَخْرُجُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ، كَانَ الرَّجُلُ يَسْبَحُ يَوْمَ السَّبْتِ فَيَدْنُو مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ يَضْرِبُ يَدَهُ وَرِجْلَهُ كَأَنَّهُ يَسْبَحُ، فَيَضْرِبُ الْبَابَ بِيَدِهِ أَوْ بِرِجْلِهِ، فَيُغْلِقُهُ، فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّمَكُ أَنْ يَخْرُجَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الأَحَدِ أَخَذُوهُ، فَمَكَثُوا كَذَلِكَ زَمَانًا فَمُسِخُوا[٦١٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مُسِخَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَمُسِخَ الشُّيُوخُ خَنَازِيرَ وَالشَّبَابُ قِرَدَةً[٦١٥]).

هذا الدليل السادس، وهو من أقوى الأدلة، وهو قصة أصحاب الحيل، وما مسخوا إلا لأنهم أهل الحيل، نسأل الله العافية والسلامة، فهذه قصتهم، وذكر الله الموعظة فيها في صورة البقرة، فقال: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦١٦]، حتى لا يفعلوا مثل فعلهم، ولو أنهم صادوا السمك يوم السبت عيانًا

(٦١٣) الأعراف: ١٦٣.

(٦١٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٧٠) عن ابن عباس بمعناه.

(٦١٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٧٣) من طريق عطية العوفي بنحوه.

(٦١٦) البقرة: ٦٦.

دون حيلة، لكانت جريمتهم أقل، مثل مَن صاد -في شريعتنا- الصيد وهو محرم، فهم حرم عليهم الصيد يوم السبت، ونحن حرم علينا الصيد ونحن حرم، أو في حرم مكة، فلو تعمد الصيد فهذه جريمة، لكن ليست مثل الجرائم الكبار، لكن لماذا غلَّظه؟ لأنها صاحبها استهزأ بالله واحتال عليه.

فيروى أن هذه القرية كانت حاضرة البحر، وفي الآثار والتفاسير إنه بحر قلزم (البحر الأحمر)، وكانوا من بني إسرائيل، وكان الله قد حرم عليهم أن يصيدوا السمك يوم السبت، وفتنة من الله لهم أن السمك كان يتقلب يوم السبت كالمخاض، أي: كالحامل ظهرًا لبطن، ويوم لا يسبتون لا يأتيهم، كما قال الله في شريعتنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾[٦١٧]، فكان الصحابة -رضي الله عنهم- عندما حجوا لو أراد أحدهم أن يمسك الأرنب بيده، أو يرمي الغزال أو المها برمحه لأدركه، فكانت فتنة؛ ليعلم الله مَن يخافه بالغيب.

فهؤلاء طال نظرهم وتأسفهم على هذا السمك، فانقسموا ثلاثة أقسام؛ قسم منهم فعلوا هذه الحيلة، وهي أنهم صنعوا لها خلجان، ثم إذا دخلت أغلقوها عليها، وإذا جاء الأحد أخذوها، وإما أن يضعوا الشباك يوم الجمعة ويسحبونها يوم الأحد، وإما أن يسبح أحدهم كأنه يضرب بيده، وهو يسوق السمك إلى هذا الخليج، ثم يغلق عليه، فإذا جاء الأحد أخذه.

القسم الثاني: وهم الصالحون الأتقياء الذين ينهون عن السوء، فهؤلاء أنكروا عليهم، فلما أنكروا عليهم ولم يستجيبوا لهم اعتزلوهم؛ ولذلك فاعتزال الفتن وعدم الدخول فيها هو المنجي، كما قال الله عن إبراهيم: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[٦١٨].

القسم الثالث: وهم المنكرون لهذا الشيء، لكنهم يعاتبون الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ويقولون: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[٦١٩]، فقال الأتقياء: ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٦٢٠]، وكانوا قد وضعوا بينهم صورًا، ويرون أنهم يذهبون إلى البحر ويرجعون، ففي يوم من الأيام لم يروهم، وكذلك

---

(٦١٧) المائدة: ٩٤.

(٦١٨) مريم: ٤٩.

(٦١٩) الأعراف: ١٦٤.

(٦٢٠) الأعراف: ١٦٤.

اليوم الثاني، فاستراحوا من أمرهم، وإذا هم -نسأل الله العافية والسلامة- قد مسخوا قردة وخنازير، ويقول أحدهم: أنت فلان ويبكي، وهو قرد، ويقول الآخر: أنت فلان وهو خنزير!

والله -عز وجل- لا يعاملنا ببطشه ولا غضبه، وسيكون فيه هذه الأمة مثل هذه الطريقة، سيكون فيها مسخ، ومَن تشبه باليهود فهو أحرى الناس أن يكون بهذا المسخ، قال الله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٦٢١]، يقول أبو بكر الآجري -صاحب كتاب الشريعة، لما رأى بعض الحيل التي انتشرت عند المسلمين: والله لقد مسخ اليهود قردة بدون هذه الحيل، أي: بأقل من هذه الحيل.

ونحن نقول: والله مَن رأى الحيل على محارم الله في أصناف كثيرة، فقد مسخ اليهود قردة بدون هذه الأشياء، وبأقل من هذه الأشياء، إنما احتالوا على صيد السمك يوم السبت، وهؤلاء يحتالون على الربا والزنا والفواحش، ويقولون: هذا يحبه الله ويرضاه! وهذا من دين المسلمين!

وقوله -تعالى: ﴿مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾، أي: أعظم الموعظة فيها، وقد بكى ابن عباس منها، قال: يا ليت شعري المحتالين مسخوا، والآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر قال عنهم: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾[٦٢٢]، والذين سكتوا وهم الفرقة الثالثة، فمِن إهانتهم أن الله سكت عنهم، ولا يدري ابن عباس: هل هم نجوا أو عُذبوا؟ فأخذ ابن عباس يبكي، ويقول: نحن نرى منكرات ونسكت، ونخشى أن نكون مع المعذبين.

فقال عكرمة: إنهم من الناجين، فسكت ابن عباس وأعطاه بردًا، لكن ابن عباس كان يرى أن الله لم يسكت عنهم وعن حالهم ومصيرهم إلا لحكمة عظيمة، يكفي الإهانة في تركهم، فلا يُدرى هل عُذبوا أم نجوا؟ وذلك لأنهم لم يغاروا لمحارم الله ولم يتكلموا.

هذه بعض الأدلة، وقد زاد عليها شيخ الإسلام في (إبطال التحليل) بعض الأدلة، وهم تسعة عشر دليلاً:

الدليل الأول: النفاق، وهذا تقدم.

الدليل الثاني: أصحاب السبت.

---

(٦٢١) البقرة: ٦٦.

(٦٢٢) الأعراف: ١٦٥.

الدليل الثالث: أصحاب الجنة، الذين هم في سورة القلم، هم احتالوا أيضًا؛ لأن نصيب المساكين في اللَّقَاط كان الذي يسقط من الثمر، فهؤلاء من بخلهم وشحهم، أرادوا أن يصرموها بالليل، فهم يحتالون، حتى لا يكون للمساكين حظ هذا، فعاقبهم الله أنه جعلها كالصريم.

الدليل الرابع: حديث عمر، وهو يهدم الحيل من أصلها: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[٦٢٣].

الدليل الخامس: قول النبي –صلى الله عليه وسلم: «خَشْيَةَ أَنْ يَسْتَقِيلَهُ»[٦٢٤].

الدليل السادس: حديث سعيد بن المسيب[٦٢٥]: «مَنْ أَدْخَلَ فَرَسًا بَيْنَ فَرَسَيْنِ، وَهُوَ يَأْمَنُ أَنْ يَسْبِقَ فَهُوَ قُمَارٌ»[٦٢٦]؛ لأن هذه حيلة، فإذا كان يأمن أن يسبق ودخل معهم فهذا قمار.

الدليل السابع: «لاَ تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ»[٦٢٧]، وهذا موجود عند ابن بطة.

الدليل الثامن: «قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ»[٦٢٨]... الحديث.

الدليل التاسع: قوله –عليه الصلاة والسلام– في حديث أبي بكر في الصحيح: «لاَ يُجْمَعُ بَيْنَ مُتَفَرِّقٍ، وَلاَ يُفَرَّقُ بَيْنَ مُجْتَمِعٍ خَشْيَةَ الصَّدَقَةِ»[٦٢٩]، هذا من أوضح الأدلة على إبطال الحيل.

---

(٦٢٣) سبق تخريجه.

(٦٢٤) سبق تخريجه.

(٦٢٥) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة. الإمام العلم، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه. رأى عمر، وسمع عثمان، وعليا، وخلقا سواهم. وقيل: إنه سمع من عمر. قال ابن حجر في التقريب: أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، من كبار الثانية، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل. ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر –رضي الله عنه–، وقيل: لأربع مضين منها بالمدينة، وتوفي سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك وهو ابن خمس وسبعين سنة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ٦٦ ترجمة ٢٣٥٨)، وسير اعلام النبلاء (٤/ ٢١٧ ترجمة ٨٨).

(٦٢٦) ضعيف: أخرجه أحمد في المسند (١٠٥٥٧)، أبو داود: كتاب الجهاد، باب في المحلل (٢٥٧٩)، ابن ماجه: كتاب الجهاد، باب السبق والرهان (٢٨٧٦) من حديث أبي هريرة، قال الألباني في ضعيف أبي داود: ضعيف.

(٦٢٧) سبق تخريجه.

(٦٢٨) سبق تخريجه.

(٦٢٩) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع (١٤٥٠).

فالشرع جعل خلطة المال في الزكاة، تصير المال كالمال الواحد، فإذا كان الشخص عنده أربعون شاة، ففيها شاة، وشخص عنده أربعون شاة، ففيها شاة، وشخص عنده أربعون شاة، فيها شاة، فكل واحد عليه شاة زكاة، فهذه ثلاثة شياه، ولكنهم لو كانوا مختلطين، فإن الشرع جعل حكمها حكم المال الواحد، فتكون المائة والعشرين فيها شاة، فأحيانًا يحتال أهل المواشي، فإذا جاء وقت الزكاة خلطوا الأغنام؛ حتى يسقطوا عنهم الزكاة.

الدليل العاشر: بيع العينة، وهو مسألة تفصيلية لكن تدل على الأصل.

الدليل العاشر: نكاح التحليل؛ لأنه متعلق بالمقاصد، وهذه كثيرة، ففي القرآن تجد أن الله -عز وجل- يربط الحكم بالمقصد، قال تعالى: ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلاَحًا﴾[٦٣٠]، وقال في حكم آخر: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾[٦٣١]، أي إذا كان لا يقصد الضرر، فاعتبر القصد، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾[٦٣٢]، يعني قصدكم الاعتداء، ففي الشرع تعليق الأحكام على المقاصد كثير.

الدليل الحادي عشر: صيد المحرم، وفي الحديث: «مَا لَمْ تَصِيدُوهُ أَوْ يُصَدْ لَكُمْ»[٦٣٣]، قال الشافعي: هذا أحسن شيء في الباب وأقيس، فالمحرم مُحَرَّم عليه الصيد، لكنه يحتال على أن يُصاد له، فهذا حرام عليه أيضًا، فلذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- بيَّن أن هذا الصيد إذا صيد لأجل المحرم أو بإشارة منه حَرُم عليه، فلا يحتال عليه.

الدليل الثاني عشر: حديث عائشة أيضًا: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[٦٣٤]، قال شيخ الإسلام: ومن عنده أدنى علم لا يشك أن هذه الحيل محدثة في دين الإسلام، وأنها بدعة منكرة، وأنها لما ظهرت أنكرها كل أهل الإسلام.

---

(٦٣٠) البقرة: ٢٢٨.

(٦٣١) النساء: ١٢.

(٦٣٢) البقرة: ٢٣١.

(٦٣٣) ضعيف: أخرجه أحمد في المسند (١٤٨٩٤)، وأبو داود: كتاب المناسك، باب لحم الصيد للمحرم (١٨٥١)، الترمذي: كتاب الحج، باب ما جاء في أكل الصيد للمحرم (٨٤٦)، والنسائي: كتاب مناسك الحج، باب إذا أشار المحرم إلى الصيد فقتله الحلال (٢٨٢٧)، من حديث جابر بن عبد الله، قال الألباني في ضعيف أبي داود: ضعيف.

(٦٣٤) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور الصلح مردود (٢٦٩٧)، مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

فهذا من أقوى الأدلة، وكل أدلة إبطال البدع تصل في إبطال الحيل، قال شيخ الإسلام: ومن الأدلة أن الحيلة إنما تصدر ممن كرهوا ما أنزل الله، فيحبط أعمالهم، لماذا يحتال؟ لأنه كره ما أنزل الله، فيحتال.

وقال أيضًا: المأمور به قوت، والمنهي عنه سم، والله -عز وجل- ما نهاك عن هذا الشيء إلا لأنه سم عليك، وما أمرك بهذا الشيء إلا لأنه قوت لروحك وبدنك، فإذا غيَّرت الأسماء تبقى الحقائق على ما هي عليه! ولو سمَّوْها بغير اسمها، والآن سموا الخمر مشروبات روحية، فهل تغير الحكم؟ لا، ونفس العلة في الربا، وهي ألا يكون المال دولة بين الأغنياء، وأنه يفسد الحرث والنسل، وأنه يمنع عمارة الأرض، فإذا احتيل على الربا، فهل تذهب مفاسده؟ لا تذهب، وهو الربا هو بعينه.

الدليل الثالث عشر: إجماع الصحابة على إبطال الحيل، وهذا ينبغي أن يكون هو الدليل الأول؛ لأن الإجماع يقطع الشواغب.

الدليل الرابع عشر: قال شيخ الإسلام: حديث ابن اللتبية لما أرسله النبي -عليه الصلاة والسلام- يجمع الصدقات، فلما جاء قال: هذا لكم، وهذا أُهدي إليَّ، فغضب -عليه الصلاة والسلام- وخطب، وقال: «مَا بَالُ أَحَدِكُمْ نُرْسِلُهُ فِي الْعَمَلِ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ، أَفَلاَ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَنَظَرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ»[٦٣٥]، فاعتبر القصد، فلذلك فكل هدية فهذه قاعدتها، إذا كنت إذا جلست في بيت أبيك وأمك تأتيك الهدية؟ فالهدية لك، وإذا كنت تأتيك الهدية وأنت في المنصب، أو وأنت مدير، أو وأنت مدرس، أو وأنت قاض، أو وأنت مقرض، وإذا اختفت هذه الأوصاف اختفت الهدية، فالهدية ليست لك، فيهدي لك حتى تسكت عنه! أو لأجل أنك مديره، فيهدي لك حتى تراعيه، فهذه رشوة ليست هدية، وهذه احتيال على الرشوة في صورة هدية.

الدليل الخامس عشر: أن الشريعة جاءت بسد الذرائع، وذكر شيخ الإسلام[٦٣٦] في (إبطال التحليل) ثلاثين دليلاً في سد الذرائع، قال: فإذا كانت الذريعة إلى المحرم محرمة، فما بالك إلى الاحتيال على المحرم؟!

---

(٦٣٥) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب من لم يقبل الهدية لعلة (٢٥٩٧)، مسلم: كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال (١٨٣٢) من حديث أبي حميد الساعدي.

(٦٣٦) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيميّة الحرّاني، ثم الدمشقي، الحنبلي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. برع في العلوم الإسلامية والآلية، وقمع الله به أهل

فالوسيلة إلى المحرم محرمة، فما بالك بالذي يحتال على المحرم مباشرة؟! هذا أشد من الذرائع، ثم ذكر الشبهات التي يحتجون بها من أول الدهر، قال: عمدة المحتالين في كل حين يمينُ أيوب -عليه السلام، يقولون: هذه حيلة؛ لأنه حلف أن يضرب زوجته مئة سوط، فلما أتى الله بالفرج ورفع عنه الكربة، قال الله له: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلاَ تَحْنَثْ﴾[٦٣٧] أي: يأخذ عذق نخل فيه مئة شمراخ، فيضربها ضربة واحدة ولا يحنث، فقالوا: هذه حيلة، فبدلاً من ضربها مئة سوط، ضربها ضربة واحدة بمئة شمراخ.

قال شيخ الإسلام: وعمدة المحتالين في كل زمان يمين أيوب هذه، وفعلاً أول ما أُلف في الحيل كان سنة مئة وخمسين للهجرة، وهو محمد بن الحسن[٦٣٨] وغيره، أول دليل عندهم هو يمين أيوب، فكيف الرد عليها؟

أولاً: إنها أمر الله -عز وجل، والله -عز وجل- لا يأمر بالحيل، فهو الذي قال: ﴿خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾[٦٣٩]، فما عرفنا الحكمة، وهذا من المتشابه الذي يؤمن به ولا نبحث عنه، هذا أول جواب؛ لأن الله هو الذي أمره، وهو الذي حرم علينا الحيل، ولا يمكن أن يأتي التناقض من عند الله، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾[٦٤٠].

لكن الأجوبة التي ذكرها شيخ الإسلام، قال: إن مقتضى اليمين في شرعنا -لو حلف رجل أن يضرب رجلاً مئة سوط- أحد أمرين؛ إما أن يضربه مئة سوط مفرقة، أو مجموعة، فاليمين مطلق، ولو قال: والله لأضربنك مئة ضربة، فهل مطلق اللفظ أن يضرب المئة ضربة مجموعة أو مفرقة؟

الضلال، ونصر به أهل السنة. ولد سنة إحدى وستين وست مئة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة. وله من المؤلفات: الواسطية، ومنهاج السنة. انظر الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩١ ترجمة ٥٣١)، والوافي بالوفيات (٧/ ١٠ ترجمة ٦١٩).

(٦٣٧) ص: ٤٤.

(٦٣٨) محمد بن الحسن بن فرقد، العلامة، فقيه العراق، أبو عبد الله الشيباني، الكوفي، صاحب أبي حنيفة. ولد بواسط، ونشأ بالكوفة. وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، وتمم الفقه على القاضي أبي يوسف. وروى عن: أبي حنيفة، ومسعر، ومالك بن مغول، والأوزاعي، ومالك بن أنس. أخذ عنه الشافعي فأكثر جدا. مات سنة تسع وثمانين ومئة بالري. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤ ترجمة ٤٥)، طبقات الفقهاء للشيرازي (ص: ١٣٥).

(٦٣٩) ص: ٤٤.

(٦٤٠) آل عمران: ٧.

من العلماء من قال: مئة ضربة مفرقة، ومنهم من قال: مئة مجموعة، وعلى هذا لا يكون هناك إشكال، ويكون مقتضى يمين أيوب أن يضربها ضربًا مجموعًا، حتى في شرعنا، وإن كان في شرعهم يختلف، فالقاعدة معروفة: إذا جاء في شرعنا ما يخالفه فليس حجة علينا.

ومن الأجوبة على اليمين، قال شيخ الإسلام: من سياق الآية يدل على أن هذه فتوى خاصة لأيوب؛ ولذلك ذكرت في القرآن؛ لأن ما يذكر في القرآن إلا الشيء الذي يخالف نظائره، فيدل على أن هذا أمر خاص لأيوب، وكرامة لامرأته؛ لأنها صبرت معه، فلذلك الله نوَّه على هذه اليمين وعلى هذه القصة في القرآن؛ لأنها تخالف نظائرها، فلا يحتج بها؛ ولذلك فالله -عز وجل- ساقها مساق الاعتبار، فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٦٤١].

ومن الأجوبة، قال: إن الله -عز وجل- أفتى أيوب هذا حتى لا يحنث، قال: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلاَ تَحْنَثْ﴾[٦٤٢]، قال: فيدل على أنه في شرعه لا توجد كفارة لليمين؛ فلذلك أفتاه الله -عز وجل- بهذا، فتكون اليمين عندهم كالنذر، كما أن النذر في شرائع الأنبياء ليس له كفارة.

ومن الأدلة أيضًا: أنه في شرعنا مَن وجب عليه الحد وهو مريض أو ضعيف، أو امرأة كبيرة، أن يفرق عليه، وذكر أجوبة كثيرة من هذا، وعلى كل حال، هذا غاية أمره أن يكون من المتشابه الذي لا تعارض به المحكمات.

ومن الأدلة التي يدورون عليها حديث بلال[٦٤٣]، لما اشترى للنبي -عليه الصلاة والسلام- تمرًا طيبًا، وكذلك عام خيبر، فلما رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أَكُلُّ تَمْرِ خَيْبَرَ هَكَذَا؟»، فقال بلال: يا رسول الله، إنا نشتري الصاع من هذا الطيب بالصاعين من التمر والثلاثة، أي: هذا تمر بتمر مع التفاضل، فقال -عليه الصلاة والسلام:

---

(٦٤١) ص: ٤٤.

(٦٤٢) ص: ٤٤.

(٦٤٣) بلال بن رباح الحبشي المؤذن، وهو بلال بن حمامة، وهي أمه. كان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره، ثم يقول: لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد. فيقول -وهو في ذلك-: أحد أحد. ثم اشتراه أبو بكر الصديق، فأعتقه، فلزم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأذّن له، وشهد معه جميع المشاهد، مات سنة عشرين. انظر: الاستيعاب (ص: ٨١ ترجمة ١٦٧)، والإصابة (١/ ٣٢٦ ترجمة ٧٣٦).

«أَوَّهْ أَوَّهْ، عَيْنُ الرِّبَا عَيْنُ الرِّبَا، وَلَكِنْ بِعِ الْجَمْعَ بِالدَّرَاهِمْ»(٦٤٤)، أي: بع الجمع الرديء بالدراهم، ثم اشترِ بالدراهم ما شئت.

فقالوا: هذه حيلة، ولكن حاشا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يعلم الحيل؛ لكن لأن هذا دينهم الذي تعودوا عليه فهم يقولون هذا الكلام، قال العلماء: هذا أبعد شيء عن الحيلة، لماذا؟ لأنه لم يأمره أن يتفق مع صاحب التمر الرديء، إن يعطيه الدراهم وترجع إليه مرة أخرى، لا، وإنما أرشده إلى بيع الجمع بالدراهم، ووضع الدراهم في جيبه، وهذا بيع مقصود، ثم يشتري بالدراهم ما يشاء، فبيَّن له أن الطريق مغلق، ودله على طريق آخر.

مثال ذلك: لو أن سلطانًا قال: هذا الطريق لا يمشي فيه أحد، فافترق الناس فريقين؛ فريق ترك هذا الطريق، ومشى من طريق آخر، وطريق احتال على هذا الطريق وأخذ يمشي في الأزقة والدهاليز؛ حتى يمشي- مع نفس الطريق الممنوع عليه، فبينهما فرق.

ففتوى النبي -عليه الصلاة والسلام- لبلال وعام خيبر، هو أن يترك هذا الطريق ويسلك الطريق الآخر؛ اترك الربا واسلك البيع، ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾(٦٤٥)، والمحتالون يريدون الربا في صورة البيع، وبينهما فرق، مع أن النتيجة واحدة، لكن هذا بيع أحله الله وهذا ربا حرمه الله.

ففي قصة بلال، المخرج أن تبيع التمر بالدراهم، وهذا بيع مقصود ليس فيه حيلة ولا مواطئة ولا شرط، وليس فيه اتفاق مع البائع إنه يشتري منك ويرد لك، وإنما تتخلص من التمر الردئ وتحوله إلى دراهم، ثم إذا أخذت الدراهم اشتري بها ما شئت، حتى لو كانت النتيجة واحدة، لكن في الصورة الأولى كانت المعاملة ربا، في الصورة الثانية كانت المعاملة بيعًا.

وبعضهم قال: من الأدلة أن الأحكام تجرى على الظاهر في الشريعة، والحيلة أمر باطن، فلا تنقبوا عن بطون الناس ولا عن قلوبهم، وأجروا الأحكام على الظاهر، فنقول: الجواب من وجهين:

---

(٦٤٤) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا باع الوكيل شيئا فاسدا فبيعه مردود (٢٣١٢)، مسلم: كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلا بمثل (١٥٩٤) بنحوه.

(٦٤٥) البقرة: ٢٧٥.

الأول: أن الأحكام تجرى على الظاهر فيما بين العباد، أما بينهم وبين الله فالأحكام على النيات والسرائر، فإذا كان يحتال على الله ويخادعه فلا يقال: الحكم على الظاهر، بل يقال: «لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»(٦٤٦).

الثاني: أن الأحكام على الظاهر ما لم تظهر قرينة تدل على أن الظاهر بخلاف الباطن، أما إذا ظهرت القرينة أو البينة على أن الظاهر بخلاف الباطن، فهذا لا نعامله بالظاهر، بل نعامله بالباطن، مثال ذلك: المنافق إذا اظهر التوحيد والصلاة، ماذا نفعل؟ نعامله على أنه مسلم، فإذا قامت البينة على أنه يقدح في الإسلام، ويفرح بانتصار الكفار على المسلمين، نأخذه ونقتله ولا نعامله بالظاهر، قال تعالى: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾(٦٤٧).

(فَالْحِيلَةُ فِي الدِّينِ مُحَرَّمَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَكُلُّ حُكْمٍ عُمِلَ بِهِ بِالْحِيلَةِ فِي طَلَاقٍ أَوْ خُلْعٍ أَوْ بَيْعٍ أَوْ شِرَاءٍ، فَهُوَ مَرْدُودٌ مَذْمُومٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ، وَالْفُقَهَاءِ الدَّيَّانِينَ، حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ(٦٤٨)، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ(٦٤٩)، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَارِثِ الصَّائِغُ(٦٥٠)، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ قَالَ: هَذِهِ الْحِيَلُ الَّتِي وَضَعَهَا هَؤُلَاءِ: أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ، عَمَدُوا إِلَى السُّنَنِ فَاحْتَالُوا فِي نَقْضِهَا، أَتَوْا إِلَى الَّذِي قِيلَ لَهُمْ: إِنَّهُ حَرَامٌ، وَاحْتَالُوا فِيهِ حَتَّى أَحَلُّوهُ. وَقَالَ الْمَيْمُونِيُّ(٦٥١): قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللهِ: مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ احْتَالَ فِي إِبْطَالِهَا، هَلْ تَجُوزُ تِلْكَ الْحِيلَةُ؟ قَالَ: لاَ، نَحْنُ لاَ نَرَى الْحِيلَةَ(٦٥٢).

---

(٦٤٦) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (١، ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣) واللفظ له، مسلم: كتاب الإمارة، باب قوله -صلى الله عليه وسلم-: «إنما الأعمال بالنية» (١٩٠٧).

(٦٤٧) الأحزاب: ٦١.

(٦٤٨) محمد بن أحمد بن ثابت بن بيان، أبو صالح العكبري. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١١٠ ترجمة ٨٠).

(٦٤٩) لم أجده.

(٦٥٠) أحمد بن محمد، أبو الحارث، الصائغ. روى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة، وكان الإمام يأنس به، ويقدمه ويكرمه، وكان عنده بموضع جليل. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ١٧٧ ترجمة ٥٩)، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص: ١٢٧).

(٦٥١) الإمام العلامة، الحافظ، الفقيه عبد الملك بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران، أبو الحسن، الميموني، الجزري، الرقي، تلميذ الإمام أحمد، ومن كبار الأئمة. كان عالم الرقة، ومفتيها في زمانه. توفي سنة أربع وسبعين ومئتين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فاضل، لازم أحمد أكثر من عشرين سنة. انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٣٣٤ ترجمة ٣٥٣٧)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٩ ترجمة ٥٠).

(٦٥٢) أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٥١) من طريق المصنف به.

حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ جَعْفَرٍ(٦٥٣)، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ(٦٥٤)، وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ(٦٥٥)، قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَكَمِ(٦٥٦)، قَالَ: قال أَبُو عَبْدِ اللهِ: إِذَا حَلَفَ عَلَى شَيءٍ، ثُمَّ احْتَالَ بِحِيلَةٍ فَصَارَ إِلَيْهَا، فَقَدْ صَارَ إِلَى ذَلِكَ الَّذِي حَلَفَ عَلَيْهِ بِعَيْنِهِ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: مَا أَخْبَثَهُمْ! يَعْنِي أَصْحَابَ الْحِيَلِ، وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: مَنِ احْتَالَ بِحِيلَةٍ، فَهُوَ حَانِثٌ(٦٥٧).

حَدَّثَنِي أَبُو عِيسَى يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ(٦٥٨)، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْفَامِيُّ(٦٥٩)، قَالَ: حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ(٦٦٠)، قَالَ: قَالَ أَبِي، وَذَكَرَ أَصْحَابَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَتَعَجَّبَ مِمَّا يَقُولُونَ فِي الْحِيَلِ فِي الأَيْمَانِ، يُبْطِلُونَ الأَيْمَانَ بِالْحِيَلِ، قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾(٦٦١) قَالَ: قَالَ صَالِحٌ: قَالَ أَبِي: وَالْحِيَلُ لاَ نَرَاهَا (٦٦٢).

---

(٦٥٣) الشيخ الإمام العلامة، شيخ الحنابلة عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد بن معروف، أبو بكر، البغدادي الفقيه، تلميذ أبي بكر الخلال، ويُلقب بغلام الخلال. ولد سنة خمس وثمانين ومئتين. توفي سنة ثلاث وستين وثلاث مئة. انظر: طبقات الحنابلة (٣/ ٢١٣ ترجمة ٦١١)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٣ ترجمة ١٠٢).

(٦٥٤) أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال، شيخ الحنابلة وعالمهم، أبو بكر، ولد في سنة أربع وثلاثين ومئتين، أو في التي تليها، فيجوز أن يكون رأى الإمام أحمد، ولكنه أخذ الفقه عن خلق كثير من أصحابه، وتلمذ لأبي بكر المروذي. رحل إلى فارس، وإلى الشام، والجزيرة يتطلب فقه الإمام أحمد وفتاويه وأجوبته، وكتب عن الكبار والصغار، حتى كتب عن تلامذته، وجمع فأوعى. من تصانيفه: "الجامع في الفقه"، و"السنة". ومات ولد في سنة أربع وثلاثين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (٣/ ٢٣ ترجمة ٥٨٢)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٧ ترجمة ١٩٣).

(٦٥٥) عبد الله بن محمد بن عبد الحميد، أبو بكر القطان. واسطي الأصل. سكن بغداد، وحدث بها. وثقه الخطيب البغدادي. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣١٥ ترجمة ٥١٧٧).

(٦٥٦) بكر بن محمد بن الحكم، أبو أحمد البغدادي، النسائي الأصل. كان الإمام أحمد يقدمه ويكرمه. وعنده عنه مسائل كثيرة. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣١٨ ترجمة ١٤٠)، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص: ٢٩).

(٦٥٧) أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٥١) من طريق المصنف به.

(٦٥٨) يحيى بن محمد بن سهل الخضيب، أبو عيسى. ذكره الخطيب في تاريخه ولم يتكلم عنه بجرح ولا تعديل. انظر: تاريخ بغداد (١٦/ ٣٥٠ ترجمة ٧٤٩٩).

(٦٥٩) لم أجده.

(٦٦٠) الإمام المحدث الحافظ الفقيه القاضي صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، أبو الفضل، الشيباني، البغدادي، قاضي أصبهان. ولد سنة ثلاث ومئتين، وهو أكبر إخوته. سمع أباه، وتفقه عليه، وسمع عفان، وأبا الوليد، وإبراهيم بن أبي سويد، وعلي بن المديني، وطبقتهم. قال الخلال: كان صالح سخيا جدا. وكان صالح يقول: كان أبي يبعث خلفي إذا جاء رجل زاهد أو متقشف لأنظر

حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبٍ الْعَطَّارُ(٦٦٣)، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ، وَذَكَرَ الْحِيَلَ عَنْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ، فَقَالَ: يَحْتَالُونَ لِنَقْضِ سُنَنَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٦٦٤).

وَحَدَّثَ مُوسَى بْنُ سَعِيدٍ الدَّنْدَانِيُّ(٦٦٥)، قَالَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللهِ قَالَ: لاَ يَجُوزُ شَيْءٌ مِنَ الْحِيَلِ(٦٦٦).

هذه الآثار كلها لأبي عبد الله الإمام أحمد، وغيره من أهل الحديث، نقلها طلابه: أبو الحارث الصائغ، وروى عنه الميموني، وبكر بن محمد بن الحكم، وروى عن صالح ابن الإمام أحمد، ورواها عنه أبو داود السجستاني صاحب السنن، وكذلك موسى بن سعيد الدنداني، كل هؤلاء رووا عن الإمام أحمد قوله: نحن لا نقول بالحيل، ما أخبثهم أصحاب الحيل؟! يعمدون إلى سنن رسول الله فينقضونها عروة عروة!

والذي نقل عن أبي حنيفة وأصحابه هو أحد المآخذ التي أخذها السلف عليهم، وبعض أهل العلم يتركون كتب الآثار من أجل هذا الذي يُروى عن أبي حنيفة، فمن أسباب العزوف عن كتب الآثار، أنهم يجدون فيها بعض التجريحات لأهل العلم، وأنها تتكلم عن أُناس مشاهير وعندهم بدع أو أخطاء، فلذلك بعض المنتسبين إلى العلم يقول: كل كتب الآثار نتركها ونأخذ كتب المتأخرين، وهي قد حررت وضبطت.

وهذا ليس بمخرج، فهب إنك تركت هذا الكتاب، أو غيره من الكتب، فصحيح البخاري -الذي هو أصح كتاب بعد القرآن- فيه كتاب الحيل، والرد على أبي حنيفة، وهو كتاب كامل في صحيح البخاري، في بعض النسخ: كتاب الحيل والرد على أبي حنيفة، وبعض النسخ: كتاب الحيل، وحذف المحقق آخر العنوان، ولكن حتى مع

إليه؛ يجب أن أكون مثله. توفي بأصبهان في رمضان سنة ست وستين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٢٩ ترجمة ٢٠٤)، وطبقات الحنابلة (١/ ٤٦٢ ترجمة ٢٣٢).

(٦٦١) النحل: ٩١.

(٦٦٢) ذكره ابن القيم في إعلام الموقعين (٣/ ١٧٩) عن صالح به

(٦٦٣) أحمد بن إبراهيم بن حبيب بن عيسى، أبو الحسن العطار، ويعرف بالزراد. سئل عنه الدارقطني، فوثقه. توفي في شعبان ستة أربع وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٢٢ ترجمة ١٨٦٨).

(٦٦٤) أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٥١-١٥٢) من طريق المصنف به.

(٦٦٥) موسى بن سعيد بن النعمان بن بسام، الثغري، أبو بكر الطرسوسي، المعروف بالدنداني. قال ابن حجر في التقريب: صدوق. انظر: تهذيب الكمال (٢٩/ ٧٠ ترجمة ٦٢٥٩)، والكاشف (٢/ ٣٠٤ ترجمة ٥٦٩٨).

(٦٦٦) ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ٣٣٢) عن موسى بن سعيد به.

حذف العنوان، لو قرأتم في آخر الصحيح، يقول: قال بعض الناس، ويقصد أبا حنيفة، والكناية هذه أشد عليهم من التسمية؛ لأنها في البخاري سرت وجرت مع الركبان.

فالبخاري يقول: قال بعض الناس: ...، ويذكر بعض فتاواهم، ثم يقول: حدثنا فلان عن رسول الله..، بحديث يخالف هذه الفتوى، ثم يقول: وقال بعض الناس: ...، ثم يحدث بالحديث، ثم يأتي بالحديث ويقول: قال بعض الناس: ...، بخلاف الحديث هذا، وهذا باب كامل في صحيح البخاري.

وفي غيره من كتب السنن؛ ففي مصنف ابن أبي شيبة[٦٦٧] باب كامل فيما خالف فيه أبو حنيفة الأحاديث، وذكر مئة وعشرين مسألة أفتى فيها أبو حنيفة برأيه، وهي مخالفة للأحاديث، وبعض المسائل يبلغه الحديث ولا يعمل به بل يرده.

فأبو حنيفة الناس فيه بين طرفين، بين أناس يتخذون هذه المسألة مسألة إثارة، فوجدوا أنه رجل مشهور، وكلام السلف فيه كثير وواضح، فلذلك يتركون العلم والتفقه والعمل، ويبحثون عن هذه المسألة، ويجدون فيها لذة وإثارة، وخاصة أن قطاعًا كبيرًا الآن من المسلمين يتمذهبون بمذهبه، هذا الصنف الأول.

وصنف الآخر على النقيض تمامًا، يرفضون أي كلام عن أبي حنيفة، ولو كان الذي تكلم فيه هم أئمة الإسلام، والمشكلة أن الذين تكلموا في أبي حنيفة ليسوا صغار الطلبة، بل تكلم فيه مالك بأسانيد صحاح، وأحمد، والشافعي، والحمادان[٦٦٨]، والسفيانان[٦٦٩]، والأوزاعي[٦٧٠]، والليث[٦٧١]، وبعض الحمقى كلما رأى أثرًا لهؤلاء، قال: كلام الخصم يطوى ولا يروى، وهؤلاء الأئمة يحسدونه!

---

(٦٦٧) عبد الله بن محمد أبو بكر العبسي، الكوفي، الإمام، العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار، وهو من أقران: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السن والمولد والحفظ، ويحيى بن معين أسن منهم بسنوات. طلب أبو بكر العلم وهو صبي، وأكبر شيخ له هو شريك بن عبد الله القاضي. قال أبو زرعة: ما رأيت أحفظ منه. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ صاحب تصانيف. ولد سنة خمس وستين ومئة، وتوفي سنة خمس وثلاثين ومئتين. من مؤلفاته: "الإيمان"، و"المصنف". انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٣٤ ترجمة ٣٥٢٦)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٢٢ ترجمة ٤٤).

(٦٦٨) حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البصري، الأزرق الضرير، أحد الاعلام، أصله من سجستان، سُبي جده درهم منها. مولده في سنة ثمان وتسعين، ومات في سنة تسع وسبعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت، ربما دلس. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٩ ترجمة ١٤٨١)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٦ ترجمة ١٦٩).

فالمقصود أن هؤلاء الرجال وجدوا أخطاء على هذا الرجل، وليس عندهم شفاعات ولا وساطات في الدين، وهذه البدع التي ذكرت عنه يثبتها هو بنفسه في كتبه، ويثبتها أصحابه، نقول: هذه البدع عند هذا الرجل وعند غيره، ونقول: كل يؤخذ من قوله ويرد، وهذا الرجل وقع في البدع مثله مثل غيره.

لكن نحن لا نتكلم بهذا الكلام عند بعض الحنفية رحمة بهم، أو عند بعض المحبين له رحمة بهم، وهناك من الحنفية في الفروع وهو من أهل الحديث مَن تجرد وقال: هو أخطأ مثل غيره.

و: حماد بن سلمة بن دينار، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة البصري، النحوي، البزاز، الخرقي، البطائني، مولى آل ربيعة بن مالك، وابن أخت حميد الطويل. كان بحرا من بحور العلم. قال علي بن المديني: من تكلم في حماد؛ فاتهموه في الدين. وقال عبدالرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدا؛ ما قدر أن يزيد في العمل شيئا. قال ابن حجر في التقريب: ثقة عابد، أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بأخرة. مات سنة سبع وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٥٣ ترجمة ١٤٨٢)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٤ ترجمة ١٦٨).

(٦٦٩) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي. من ثور. إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه. ولد سنة سبع وتسعين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، وكان ربما دلس. مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤ ترجمة ٢٤٠٧)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩ ترجمة ٨٢).

و: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام. مولده بالكوفة، في سنة سبع ومئة. طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ، إلا أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس، لكن عن الثقات. وتوفي سنة ثمان وتسعين ومئة بالحَجُونِ -جبل بأعلى مكة-. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٧٧ ترجمة ٢٤١٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤ ترجمة ١٢٠).

(٦٧٠) عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي. مولده في حياة الصحابة. كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقيبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات. كان خيرا، فاضلا، مأمونا كثير العلم والحديث والفقه، حجة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة جليل. توفي سنة سبع وخمسين ومئة. وقيل: كان مولده ببعلبك. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٣٠٧ ترجمة ٣٩١٨)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧ ترجمة ٤٨).

(٦٧١) الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية في زمانه الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الفهمي. مولده بقرقشندة قرية من أسفل أعمال مصر في سنة أربع وتسعين. كان -رحمه الله- فقيه مصر، ومحدثها، ومحتشمها، ورئيسها، ومن يفتخر بوجوده الإقليم، بحيث إن متولي مصر وقاضيها وناظرها من تحت أوامره، ويرجعون إلى رأيه، ومشورته، ولقد أراده المنصور على أن ينوب له على الإقليم، فاستُعفي من ذلك. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه إمام مشهور. مات سنة نيف وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٥٥ ترجمة ٥٠١٦)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦ ترجمة ١٢).

أما مسألة الأخذ بالرأي وترك الأحاديث فقد جعل الرأي هو الأصل، والأحاديث هي الفرع، فالأحاديث كانت يمينه ويساره في الكوفة، وهو من طبقة سفيان الثوري، ولم يبحث عن الحديث، حتى بعض الذين اعتذروا له قالوا: إن سبب أخذه بالرأي وتركه للأحاديث كثرة الوضع، في ذلك الزمان في العراق؛ فلذلك ترك الأحاديث كلها وأخذ بالرأي.

ولكن هذا ليس حلاً، فسفيان من طبقته ومن أقرانه، فهو أخذ بالرأي أولاً، وليست الأمر في الفروع، بل الأمر أنه أراد إنشاء مدرسة للكلام في الدين بالرأي، وبالقياس وبالاستحسان، وهذا لم يعرف إلا من وقته، والآن يقال: مدرسة أهل الحديث، ومدرسة أهل الرأي، وهم يتكلمون في الدين بالرأي؛ ولذلك فالشعبي[٦٧٢] ومن قبل أبو حنيفة، لما ظهر الكلام في الرأي، كلامه شديد، قال: ما حدثوك عن رسول الله وأصحابه فخذ، وما حدثوك من رأيهم فبل عليه، أو ألقِهِ في الحش. هذه هي المسألة الأولى.

وهناك قصة طريفة ذكرها المروزي[٦٧٣] في كتاب الورع، قال: عن إسحاق بن راهويه[٦٧٤]، قال: لما كنت في خراسان، وسمعت أهل الحديث يتكلمون في أبي حنيفة -فالكلام فيه قديم- جمعت كل آراء أبي حنيفة، وخرجت

(٦٧٢) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار -وذو كبار: قيل من أقيال اليمن- الإمام، علامة العصر، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي. ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على المشهور. رأى عليا -رضي الله عنه- وصلى خلفه، وسمع من عدة من كبراء الصحابة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة مشهور فقيه فاضل. مات سنة أربع ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨ ترجمة ٣٠٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤ ترجمة ١١٣).

(٦٧٣) محمد بن نصر، أبو عبد الله المروزي الفقيه، صاحب التصانيف الكثيرة، والكتب الجمة. ولد سنة اثنتين ومئتين ببغداد ونشأ بنيسابور. كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام. كان من أحسن الناس خلقا، كأنما فقئ في وجهه حب الرمان، وعلى خديه كالورد، ولحيته بيضاء. له كتاب: "تعظيم قدر الصلاة"، وكتاب: "رفع اليدين"، وغيرهما من الكتب المعجزة. مات سنة أربع وتسعين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣ ترجمة ١٣)، وطبقات الشيرازي (ص: ١٠٦).

(٦٧٤) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر الحنظلي. أبو يعقوب المروزي، المعروف بابن راهويه. نزيل نيسابور، أحد أئمة المسلمين وعلماء الدين. مولده في سنة إحدى وستين ومئة. اجتمع له الحديث، والفقه، والحفظ، والصدق، والورع، والزهد. ورحل إلى العراق والحجاز واليمن والشام، وعاد إلى خراسان، فاستوطن نيسابور إلى أن مات بها وانتشر علمه عند أهلها. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد ابن حنبل. ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير. مماته سنة ثمان وثلاثين ومئتين. له مسائل جمعها الكوسج مع مسائل الإمام أحمد. انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٣٧٣ ترجمة ٣٣٢)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨ ترجمة ٧٩).

أدلتها من حديث عبدالله بن المبارك[٦٧٥]؛ لأنه شيخ أهل خراسان -فقد ألَّف بحثًا واجتهد فيه قبل أن يأتي العراق- فلما جئت متحمسًا أريد أن يتكلموا فيه لأخرج هذا البحث الذي معي، فلما جئت إلى عبد الرحمن بن مهدي[٦٧٦]، وانفتح هذا الموضوع، فقلت: إذا كان أبو حنيفة يرى، فمالك يرى، وأحمد يرى، والشافعي يرى، فقال: قف، ليس الأمر كما تظن، إن المسألة فروع، ما شبهنا والله أبا حنيفة، إلا برجل يرعى إبله في وادٍ، والناس في وادٍ آخر، فهذا مأخذ المسألة، فالناس يبحثون عن الدليل، وعن الحديث، ويجتهدون في تصحيحه وتضعيفه، ولا يلجؤون إلى الرأي إلا كالميتة للمضطر.

أما أبو حنيفة فعكس المسألة، وجعل الكلام في الدين بالرأي وبالقياس وبالاستحسان، وإذا وافق الأدلة أو الآثار عن ابن مسعود وعليٍّ فلا بأس، هذا الذي أخذوه عليه.

والمسألة الثانية: الحيل، وهي أخبث من الرأي وأشد، والإمام أحمد أورع الناس وأعف الناس لسانًا، لكن ماذا يفعل؟! قال: ما أخبثهم أصحاب الحيل، عمدوا إلى سنن رسول الله فنقضوها.

والمسألة الثالثة: الإرجاء، وهذه ثابتة عليه، حتى عند طلابه، كما تعلمون كلام الطحاوي[٦٧٧] وغيره، فهو يقول بالإرجاء، ويخرج العمل عن الإيمان.

---

(٦٧٥) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي. أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث. له تواليف؛ منها "الزهد". قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه عالم جواد. ولد سنة ثمان عشرة ومئة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٥ ترجمة ٣٥٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨ ترجمة ١١٢).

(٦٧٦) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان، بن عبد الرحمن، الإمام الناقد المجود، سيد الحفاظ، أبو سعيد العنبري، وقيل: الأزدي، مولاهم البصري اللؤلؤي. توفي بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومئة، وهو ابن ثلاث وستين سنة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت حافظ. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٤٣٠ ترجمة ٣٩٦٩)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٢ ترجمة ٥٦).

(٦٧٧) الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك، الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي، صاحب التصانيف، من أهل قرية طحا من أعمال مصر. مولده في سنة تسع وثلاثين ومئتين. بدأ حياته شافعيًا ثم تحول إلى الحنفية وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر. برز في علم الحديث وفي الفقه، وتفقه بالقاضي أحمد بن أبي عمران الحنفي، وجمع وصنف. قال ابن يونس: كان ثقة ثبتا فقيها عارفا لم يخلق مثله. له مؤلفات جياد؛ منها: "شرح مشكل الآثار"، و"شرح معاني الآثار". مات سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧ ترجمة ١٥)، والجواهر المضية (١/ ٢٧١ ترجمة ٢٠٤).

والمسألة الرابعة: أنه يرى السيف على أمة محمد؛ فيرى الخروج على الإمام الفاسق، وهذه من أشدهم؛ ولذلك الأوزاعي يقول: احتملنا له، احتملنا له، أي: صبرنا، صبرنا، فلما رأينا السيف على أمة محمد لم نحتمل.

وهذه يثبتونها له، والجصاص الحنفي[٦٧٨] لما تكلم في تفسير آية من سورة البقرة، قال: وإنما أخذ أهل الحديث كلامهم على أبي حنيفة؛ لأنه كان يرى الخروج على الأئمة الفساق، وهذا هو الحق، وهو حنفي لا يتهم، ولكن انظر إلى مصادمة للأدلة! ثم ساق قصصًا، وقال: إن أبا حنيفة يرى الخروج على الفساق، مع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لاَ تَخْرُجْ حَتَّى تَرَى كُفْرًا بَوَاحًا»[٦٧٩]، وأنه أمر بالخروج مع النفس الزكية[٦٨٠] على أبي جعفر المنصور[٦٨١]، وأن رجلاً أراد أن يشارك ضد أبي جعفر المنصور في فتنة، فقال: هذه بدر الكبرى، فكان يسميها بدرًا الكبرى.

---

(٦٧٨) الإمام العلامة المفتي المجتهد، عالم العراق، أحمد بن علي، أبو بكر، الرازي، الحنفي. تفقه بأبي الحسن الكرخي، وكان صاحب حديث ورحلة. قيل: كان يميل إلى الاعتزال، وفي تواليفه ما يدل على ذلك في رؤية الله وغيرها. صنف وجمع وتخرج به الأصحاب ببغداد، وإليه المنتهى في معرفة المذهب. قدم بغداد في صباه فاستوطنها. وكان مع براعته في العلم ذا زهد وتعبد، وعرض عليه قضاء القضاة فامتنع منه. ويحتج في كتبه بالأحاديث المتصلة بأسانيده. مات في ذي الحجة سنة سبعين وثلاث مئة، وله خمس وستون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٤٠ ترجمة ٢٤٧)، وطبقات الشيرازي: (ص: ١٤٤).

(٦٧٩) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «سترون» (٧٠٥٦)، مسلم كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت.

(٦٨٠) محمد بن عبد الله بن حسن ابن السيد الحسن بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، الحسني، المدني، الأمير، الواثب على المنصور هو وأخوه إبراهيم. ولد سنة ثلاث وتسعين. توفي مقتولا في النصف من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٤٦٥ ترجمة ٥٣٣٨)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢١٠ ترجمة ١٠٥).

(٦٨١) الخليفة المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر الهاشمي، العباسي. وأمه سلامة البربرية. ولد في سنة خمس وتسعين أو نحوها. ضرب في الآفاق ورأى البلاد، وطلب العلم. قيل: كان في صباه يلقب بمدرك التراب. وكان أسمر طويلا نحيفا مهيبا، خفيف العارضين، معرق الوجه، رحب الجبهة، كأن عينيه لسانان ناطقان، تخالطه أبهة الملك بزي النساك، تقبله القلوب، وتتبعه العيون، أقنى الأنف، بيّن القنا، يخضب بالسواد. وكان فحل بني العباس هيبة وشجاعة، ورأيا وحزما، ودهاء وجبروتا، وكان جماعا للمال، حريصا، تاركا للهو واللعب، كامل العقل، بعيد الغور، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم. أباد جماعة كبارا حتى توطد له الملك، ودانت له الأمم على ظلم فيه وقوة نفس، ولكنه يرجع إلى صحة إسلام وتدين في الجملة، وصلاة وخير، مع فصاحة وبلاغة وجلالة. توفي سنة ثمان وخمسين ومئة. انظر: تاريخ الطبري (٧/ ٤٦٩)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٨٣ ترجمة ٣٧).

وشارك رجل ضد المنصور، ورجل في الثغور أمام الروم، فكان يقول للذي في الثغور: أخوك أحسن منك، أي: أخوك الذي يقاتل السلطان الفاسق أحسن منك!

وقال لإبراهيم الصائغ(٦٨٢): أنكر على أبي مسلم الخراساني(٦٨٣)، فقام هذا المسكين وأنكر على أبي مسلم الخراساني، فنزل من المنبر فقتله في صلاة الجمعة، وقام وأكمل خطبته، وذكر أشياء كثيرة، وصرح بذلك الجصاص، فقال: وهذه المأخذة الكبيرة الذي أخذها عليه أهل الحديث، وذكر أثر الأوزاعي، قال: إنه يقول: احتملناه احتملناه، فلما رأى السيف على أمة محمد لم نحتمل.

فالمقصود: أن هذه الأشياء كلها موجودة في كتب طلابه: الإرجاء، والسيف على أمة محمد، والحيل، والرأي، ودعك من الأشياء الأخرى التي قد تثبت وقد لا تثبت، مثل: القول بخلق القرآن، وغيره.

فماذا نفعل الآن؟ نقول: نحن لا نتخذها إثارة، ووالله لولا أنها مرت في الكتاب لما عقدنا له مجلسًا ولا قلناها، لكن إذا مرت في الكتاب، فنحن بين خيارين: إما أن نتهم أحمد ومالكًا والشافعي والحمادين والسفيانين والأئمة كلهم، فلا يخلو كتاب آثار من الكلام في أبي حنيفة؛ لأن هذه مسألة كانت موجودة، وإما أن تقول: أن الرجل أخطأ مثل غيره هذه الأخطاء، وابتدع هذه البدع، ولا بد أن يحكم عليه مثل غيره.

أما حكمه بينه وبين الله، وكون له حسنات ماحية، وكونه نفع الله به، هذا كله لا ندري عنه شيئًا.

---

(٦٨٢) إبراهيم بن ميمون الصائغ، أبو إسحاق المروزي، مولى النبي -صلى الله عليه وسلم-. روى عن عطاء ابن أبى رباح، وطائفة. وعنه أبو حمزة السكرى، وداود العطار. وثقه ابن معين. قال ابن حجر في التقريب: صدوق. قتله أبو مسلم الخراساني ظلما سنة إحدى وثلاثين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٢٢٣ ترجمة ٢٥٦)، وميزان الاعتدال (١/ ٦٩ ترجمة ٢٣٢).

(٦٨٣) عبد الرحمن بن مسلم، ويقال: عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني، الأمير، هازم جيوش الدولة الأموية، والقائم بإنشاء الدولة العباسية. ولد سنة مئة. كان من أكبر الملوك في الإسلام. وكان ذا شأن عجيب ونبأ غريب؛ من رجل يذهب على حمار بإكاف من الشام حتى يدخل خراسان، ثم يملك خراسان بعد تسعة أعوام، ويعود بكتائب أمثال الجبال، ويقلب دولة، ويقيم دولة أخرى. كان قصيرا، أسمر، جميلا، حلوا، نقي البشرة، أحور العين، عريض الجبهة، حسن اللحية، طويل الشعر، طويل الظهر، خافض الصوت، فصيحا بالعربية وبالفارسية، حلو المنطق، وكان راوية للشعر، عارفا بالأمور، لم ير ضاحكا، ولا مازحا إلا في وقته، وكان لا يكاد يقطب في شيء من أحواله. قتله أبو جعفر المنصور سنة سبع وثلاثين ومئة. انظر: تاريخ الطبري (٦/ ٤٠٥)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٤٨ ترجمة ١٥).

ولذلك فالكوثري[٦٨٤] الضال، هو حنفي متعصب، عرف أن البخاري عقد بابًا في صحيحه، وأن ابن أبي شيبة عقد بابًا في مصنفه، وأن الأئمة كلهم تكلموا، وعبد الله بن أحمد[٦٨٥] في السنة ذكر بابًا كامل في هذا، لكن لم يستطيع أن يجابه هؤلاء الجبال، فذهب إلى الخطيب البغدادي[٦٨٦] المؤرخ، وعنده فصل كامل في تاريخه عن أبي حنيفة، فألف الكوثري كتابًا اسمه (تأنيب الخطيب بما في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب).

فذهب إلى الحلقة الأضعف، فالبغدادي أضعفهم بالنسبة له، فهجم عليه، مع أنه لا يدري أن البغدادي نقل بالأسانيد عن غيره؛ فلذلك غضب أحد أسود السنة من العلماء، وهو المعلمي[٦٨٧] -رحمه الله- وألف كتابًا سماه

---

(٦٨٤) محمد زاهد بن الحسن بن علي، الكوثري، فقيه حنفي، جركسي الأصل. ولد سنة ست وتسعين ومئتين وألف. كان له اشتغال بالأدب والسير. وكان يجيد العربية والتركية والفارسية والجركسية. اجتمعت فيه أمراض متنوعة؛ من التقليد الأصم، والتمشعر بغلو وجفاء، والتصوف السادر، والقبورية المكبَّة للمخلوق عن الخالق. وقد حذر منه أفاضل أهل العلم في عصرنا. توفي سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة وألف. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ١٢٩)، وانظر -لمزيد فائدة- كتاب التنكيل للعلامة اليماني.

(٦٨٥) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الذهلي الشيباني المروزي، ثم البغدادي. ولد سنة ثلاث عشرة ومئتين، فكان أصغر من أخيه صالح بن أحمد قاضي الأصبهانيين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. مات سنة تسعين ومئتين. له كتاب "الرد على الجهمية"، و"السنة". انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨٥ ترجمة ٣١٥٧)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١٦ ترجمة ٢٥٧).

(٦٨٦) الإمام الأوحد، العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ. ولد يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخر سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة. سمع وهو ابن إحدى عشرة سنة، وارتحل إلى البصرة وهو ابن عشرين سنة، وإلى نيسابور وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وإلى الشام وهو كهل، وإلى مكة، وغير ذلك. وكتب الكثير، وتقدم في هذا الشأن، وبذّ الاقران، وجمع وصنف وصحح، وعلل وجرح، وعدل وأرخ وأوضح، وصار أحفظ أهل عصره على الإطلاق. وكان من كبار الشافعية، تفقه على أبي الحسن بن المحاملي، والقاضي أبي الطيب الطبري. وكان مهيبا وقورا، ثقة متحريا، حجة، حسن الخط، كثير الضبط، فصيحا، ختم به الحفاظ. توفي في السابع من ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربع مئة ببغداد، ودفن بباب حرب إلى جانب بشر بن الحارث. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٠ ترجمة ١٣٧)، وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢٩ ترجمة ٢٥٩).

(٦٨٧) ذهبي العصر العلامة الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد، المعلمي، العتمي، نسبته إلى بني المعلم من بلاد عتمة، باليمن. ولد في أواخر سنة اثنتي عشرة وثلاث مئة وألف. نشأ في كفالة والديه في بيئة يغلب عليها الصلاح والتدين. حفظ القرآن وجوده، وتعلم الكتابة، والعربية، والنحو، والتركية، والحساب، والفقه، والفرائض، وأولع بالأدب والشعر، والحديث وعلومه. تولى قضاء عسير، ثم التحق بدائرة المعارف العثمانية بالهند، ومكث فيها نحوا من ثلاثين عاما. ثم إلى مكة وعُين أمينا لمكتبة الحرم المكي، وبقي فيها إلى أن وافاه الأجل. وكان سلفي العقيدة سليم المعتقد. له مؤلفات حسان، وتحقيقات جياد؛ منها: "التنكيل لما في تأنيب الكوثري

(التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل)، وأصبح كتاب التنكيل من كتب العقيدة، بل من أحسن الكتب التي تقرأ، وتكلم فيه بعدل وإنصاف، وقال: والله ما أردنا هذا الكلام، ولا أردنا إثارته، أما أن يطعن في أهل الحديث لأجل شخص واحد فلا.

فالمقصود وجملة الكلام الذي ذكره الإمام أحمد؛ أننا لا نتخذ هذه المسألة إثارة، وإذا رأينا أناسًا متمذهبين بمذهب أبي حنيفة لا نتكلم؛ لأن الله قال عن المشركين: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٦٨٨]، فأخوك المسلم تترفق به وترأف، وهذا الرجل أيضًا لا تغلو فيه، ولا تجفو فيه، فقد يعفو الله عنه، فنحن لا ندخل بين الله وبين عباده، وقد يكون يرفعه الله درجات، وقد يكون له حسنات ماحية، فلا ندري أمر الآخرة، لكن نحن عندنا أسماء وأحكام، وعندنا: هذه القول بدعة، وهذا الشخص مبتدع.

وشيخ الإسلام ابن تيمية له كلام في مدح أبي حنيفة، لكن اقرأوا كلامه في إبطال التحليل، قال: إن السلف قالوا في الحيل عن أصحابه: إنهم نقضوا الإسلام عروة عروة، وقلبوه ظهرًا لبطن، كل هذا الكلام عن أبي حنيفة وأصحابه، وكان هذا الكلام لما ظهرت الحيل، قال: وهذا يدل على أن المسألة ليست اجتهادية، وأنها بدعة منكرة، ثم اعتذر عنه وقال: والرجل قد يكون له قدم في الإسلام.. وكذا، لكن يقع منه بدع وأخطاء، وذكر قواعد موجودة في إبطال التحليل في هذه المسألة بالذات؛ ولذلك أوضح كلام لشيخ الإسلام في هذه المسألة، وهي مسألة ليس فيها حرج، لكن بعض العلماء -كما قلت- أو بعض أهل العلم قد يزهد في كتب الآثار بسبب إنه يصطدم بمثل هذه المسالك، أو هذه المضايق.

مع أن المسألة ليس فيها أي شيء، فالمسلم المتجرد يقول: آمنا بالله ورسوله، وسمعنا وأطعنا، لكن بعض الأخطاء اجتهادية، وبعضها بدع، كما قال شيخ الإسلام.

من الأباطيل"، وتحقيق كتاب "الجرح والتعديل". توفي سنة ست وثمانين وثلاث مئة وألف، وقد صلّى عليه في الحرم خلق كثير. انظر: النكت الجياد المنتخبة من كلام شيخ النقاد (ص: ١٨)، ومدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي (ص: ٢٠٣).

(٦٨٨) الأنعام: ١٠٨.

(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ[٦٨٩]، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى[٦٩٠]، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ شَمَّاسٍ السَّمَرْقَنْدِيَّ[٦٩١] يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ لِلْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ[٦٩٢] -رَحِمَهُ اللهُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ إِنِّي اسْتَفْتَيْتُ رَجُلاً فِي يَمِينٍ بُلِيتُ بِهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّ فَعَلْتَ ذَلِكَ حَنِثْتَ، وَأَنَا أَحْتَالُ لَكَ حَتَّى تَفْعَلَ وَلاَ تَحْنَثَ، فَقَالَ لَهُ الْفُضَيْلُ: تَعْرِفُ الرَّجُلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ارْجِعْ وَاسْتَثْبِتْهُ؛ فَإِنِّي أَحْسَبُهُ شَيْطَانًا شُبِّهَ لَكَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ)[٦٩٣].

لم يجبه الفضيل، لكن قال له: هل أنت متأكد أن المفتي ليس بشيطان متلبس؟! لأن هذا لا يفتي به إلا شيطان؛ إما من شياطين الإنس، أو من شياطين الجن، لذلك قال: هل تعرف المفتي؟ فإن إبليس يتصور في صورة الإنسان، كما تصور في صورة شيخ لما اجتمعوا لقتل النبي -صلى الله عليه وسلم، ويؤكد ذلك حديث ذكره مسلم في مقدمة صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ أَوْثَقَ شَيَاطِينَ فِي الْبَحْرِ، يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ وَتَقْرَأَ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ، وَتُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ!»[٦٩٤]، وهم شياطين!

فهذا السائل ربما تلقاه شيطان في صورة شيخ يعلم الناس الحيل والفساد، والآن ربما يكتب بحوثًا على الإنترنت، أو في القنوات، وتنتشر في الآفاق وهو جالس خلف لوحة المفاتيح، وإذا قلت: مِن أين لك هذا البحث؟ من أين هذه الفتوى؟ قال: قرأتها على الإنترنت! فمن صاحبها؟ يقول: أبو فلان،لا، فيمكن أن يجلس

(٦٨٩) محمد بن أيوب بن المعافى، أبو بكر العكبري. قال الخطيب: كان ثقة صادقا صالحا زاهدا. مات سنة تسع وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٤٣٢ ترجمة ٤١٧)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٥٧٩ ترجمة ٤٥٧).

(٦٩٠) الإمام، الحافظ، الثقة، المعمر، بشر بن موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة، أبو علي، الأسدي، البغدادي. ولد سنة تسعين ومئة. قال الخطيب: كان ثقة أمينا، عاقلا ركينا. توفي سنة ثمان وثمانين ومئتين لأربع بقين من ربيع الأول ، وهو ابن ثمان وتسعين سنة. انظر: الجرح والتعديل (٢/ ٣٦٧)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٢ ترجمة ١٧٠).

(٦٩١) إبراهيم بن شماس الغازي، أبو إسحاق، السمرقندي، نزيل بغداد. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. كان فارسًا شجاعًا. قتله الترك غدرًا سنة إحدى وعشرين ومئتين. انظر: ثقات ابن حبان (٨/ ٦٩ ترجمة ١٢٢٨٨)، وتهذيب الكمال (٢/ ١٠٥ ترجمة ١٨٢).

(٦٩٢) فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي، أبو علي الزاهد، أحد صلحاء الدنيا وعبادها. ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد، وكتب الحديث بالكوفة، وتحول إلى مكة، فسكنها ومات بها في أول سنة سبع وثمانين ومئة في خلافة هارون. قال ابن حجر في التقريب: ثقة. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٢٨١ ترجمة ٤٧٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١ ترجمة ١١٤).

(٦٩٣) ذكره ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (٦/ ٨٤)، ابن القيم في إعلام الموقعين (٣/ ١٧٧) عن الفضيل به.

(٦٩٤) ذكره مسلم في المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها بنحوه.

إبليس خلف اللوحة ويكتب؛ فلذلك لا بد أن تأخذ دينك عن شخص ثقة، فكل شيء له نسب، حتى العلم له نسب.

ولذلك بعض الذين ضلوا في مسائل كبار في الدماء، تجدها بحوث بأسماء وهمية، ويستحل الدماء، ويستحل الفساد في الأرض بهذه البحوث التي لا يُدرى مصدرها، وقد يكون مصدرها الشيطان نفسه.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: فضيلة الشيخ، سمعت أن كتاب الحيل موضوع على محمد بن الحسن، وأن صاحب كتاب الجواهر في طبقات الحنفية، نقل بسنده عن محمد بن الحسن أنه تبرأ من الحيل، نرجو التوضيح.

اقرأ كلام السرخسي[٦٩٥]؛ فالحنفية أنفسهم يقولون: لا يوجد أحد أخبر بمحمد بن الحسن من السرخسي؛ لأنه شرح كتبه كلها، شرح السير الصغير، والسير الكبير، والجامع الصغير والجامع الكبير، شرحها كلها في المبسوط، ونقل هذا الخلاف الذي تذكره الآن في المجلد الثلاثين من المبسوط صفحة ٢٠٩، وانظر كلام السرخسي، قال: إن بعض الناس لا ينسبه لمحمد بن الحسن، ويرون أنه من باب التعيير، ونحن نقول: لا بأس بها، -يقصد الحيل- وأخذ يهاجم الذين يقولون بعكس ذلك، وقال: الأصح أنه لمحمد بن الحسن، ويدل عليه كلام أحمد، قبل متأخري الحنفية، والإمام أحمد ليس بينه وبين أبي حنيفة إلا سنوات قليلة، وهو ينسبها لأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد ما يظن أنه يكذب على الناس؛ وهو متثبت.

أحسن الله إليكم، ذكرتم حفظكم الله -عز وجل- في مرة ماضية، أن الأناشيد التي تسمى بالإسلامية حيلة مع الغناء، كيف ذلك، وهي إنما يروح بها عن النفس؟! ألا ترى إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو في الغزو يطلب من عامر بن الأكوع[٦٩٦] أن يسمعهم الرجز والحداء[٦٩٧]؟! أفيدونا بارك الله فيكم.

---

(٦٩٥) الفضل بن عبد الواحد بن الفضل السرخسي ثم النيسابوري الحنفي التاجر أبو العباس الفقيه المعمَّر. ولد سنة أربع مئة، وقدم ببغداد في سنة عشر مع أبيه للتجارة. كان صلبا في مذهب أبي حنيفة. من مؤلفاته: "المبسوط". مات في جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٤٧ ترجمة ٧٦)، والجواهر المضية (٢/ ٦٩٤ ترجمة ١١٠٣).

(٦٩٦) عامر بن سنان بن عبد الله بن قشير، الأسلمي، الأنصاري، المعروف بابن الأكوع، عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع: سنان، ويقال: أخوه. استشهد يوم خيبر في السنة السابعة من الهجرة. انظر: الاستيعاب (ص: ٥١٥ ترجمة ١٨٣٣)، والإصابة (٣/ ٥٨٢ ترجمة ٤٣٩٦).

(٦٩٧) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٤١٩٦)، مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر (١٨٠٢) من حديث سلمة بن الأكوع.

النبي -صلى الله عليه وسلم- اتخذها من باب العادات، وليست من باب الإسلاميات، فإسلامية يعني إنها يتعبد بها وإنها دين، هذا من أول ما أنشأ الصوفية، فهم الذين أنشأوا الأناشيد الإسلامية التي يتعبدون بها، ولما نشأت قال الشافعي: هذا التغبير أحدثته الزنادقة؛ يصدون به الناس عن كتاب الله، فاتخاذها دين هو البدعة، وأما كونها شعر يلقى، أو شعر يلحن ألحان العرب التي ليس فيها تكلف، وليس فيها شبه بألحان الفساق، مثل الحدَّاء، ومثل الذي كان في حفر الخندق، ومثل الذي كان في بناء المسجد.

فالإنسان دائمًا عند الضعف ينشط نفسه بترديد بعض الأشعار، وهذا من العادات المعروفة في الجاهلية والإسلام، ولم يتخذوها دينًا، أما أن يتخذها دينًا، ويقول: هذه إسلامية، وهذه يحبها الله ويرضاها، فهذا ما عرف إلا عند الصوفية والروافض، فالروافض في الحسينيات عندهم الرادود، الرادود هو الذي يلحن لهم، وانتقلت عن طريق هاتين الطائفتين إلى المسلمين، والطائفتان من أشأم الطوائف على أمة الإسلام؛ فأدخلوا عبادة القبور والبدع، والناس يتشبهون بهم من حيث يدرون ولا يدرون.

وكلامنا في الأناشيد يختلف عما كان قبل عشرين سنة، عندما أفتي فيها الشيخ ابن باز[٦٩٨]، والشيخ ابن عثيمين[٦٩٩].. وأمثالهم، عندما كانت القصيدة تُلحن ويستمعون إليها في السفر، أو عند الضعف، أو عند البناء، أو عند العمل، ولا تتخذ دينًا، أما وضعها الآن فلا يشك فيه من له مسكة عقل أنها أشد من الغناء.

---

(٦٩٨) عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن باز. الشيخ العلامة الداعية الفقيه الزاهد. ولد في الثاني عشر من ذي الحجة سنة ثلاثين وثلاث مئة وألف بمدينة الرياض، وكان بصيرا ثم أصابه مرض الجدري المنتشر في تلك الفترة، وضعف بصره ثم فقده عام خمسين وثلاث مئة وألف. حفظ القرآن الكريم قبل سن البلوغ، ثم جد في طلب العلم على العلماء في الرياض، ولما برز في العلوم الشرعية واللغة؛ عُين في القضاء. وشغل الإفتاء إلى أن مات -رحمه الله- قبيل فجر الخميس في السابع والعشرين من المحرم سنة عشرين وأربع مئة وألف. من مؤلفاته: "الفوائد الجلية في المباحث الفرضية"، و"التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة"، وغيرها كثير. انظر: علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب (١/ ٧٧)، وله ترجمة موعبة في موقعه على الشبكة العنكبوتية.

(٦٩٩) أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي، الشيخ العلامة الفقيه المتفنّن. قرأ القرآن الكريم على جده لأمه، ثم اتجه إلى طلب العلم، فتعلم الخط والحساب، وبعض فنون الآداب. قرأ على الشيخ ابن ناصر السعدي "مختصر العقيدة الواسطية"، و"منهاج السالكين"، و"الآجرومية"، "الألفية"، وتأثر به كثيرا. وقرأ على الشيخ ابن باز "صحيح البخاري"، وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية. عُين مدرسا في معهد عنيزة العلمي، ثم تولى إمامة الجامع الكبير، ثم انتقل إلى التدريس في كليتي الشريعة وأصول الدين بالقصيم. وعُرض عليه القضاء فأباه. له مؤلفات وشروح للمتون العلمية كثيرة؛ منها: شرح "كتاب التوحيد"، وشرح "زاد المستقنع". ولد بعُنَيْزَةَ في السابع والعشرين من رمضان سنة سبع وأربعين وثلاث مئة وألف، وتوفي في الخامس عشر من شوال سنة

أحسن الله إليكم، لقد اشتريت أسهمًا من أجل الربح فقط، فما حكم هذا؟ وماذا أفعل بها؟

الأسهم الكلام فيها طويل، إذا كنت مضاربًا، وتشتريتها بنية المضاربة، فهذا مقامرة، ويجب أن تخرج برأس مالك، وإذا اشتريت بنية الاستثمار، فلا بد أن تكون الشركة طاهرة من القروض الربوية، والقروض الإسلامية؛ لأنه لا يوجد قرض إسلامي إلا القرض الحسن، وتكون نشاطها مباحًا، ويندر أن توجد شركة بهذه الشروط، حتى ولو كان نشاطها مباحًا فلا تخلو من القروض، إما القروض التي يسمونها إسلامية، وهي الحيل، وإما القروض الربوية.

فإذا كنت مستثمرًا فلا بد أن تتأكد أن الذين تستثمر معهم يتعاملون بالحلال؛ ولذلك فأسلم شيء لك أن تخرج برأس مالك، وتترك هذا الطريق كله، كما يقول علماؤنا، فهي دائرة بين الحرام والشبهة، لم يعد فيها حلال بين تنشرح له النفوس.

أحسن الله إليكم، ما الضابط في الحيل المحرمة؟ وهل هناك فرق بين الحيل في العبادات والعادات والمباحات والسنن؟

الحيل في العادات وفي أمور الدنيا لا نتكلم عنها، نحن نتكلم عن الحيل في دين الله؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[٧٠٠]، وأما أن يحتال الناس في أمر دنياهم، سواء كان غشًّا أو خديعة للمسلم، هذا لا يجوز، فأمر الدنيا لا نتكلم فيه.

أحسن الله إليكم، يقول رأيت في بعض مناظرات أهل السنة مع الروافض، أن الروافض يحتجون بزواج المسيار، وذلك عند مناقشة زواج المتعة لديهم، فضيلة الشيخ، ما الرد الأمثل لمثل هذا الادعاء؟ وهل يقال لهم: إنه من ابتداع بعض المتعالمين؟

إحدى وعشرين وأربع مئة وألف إثر إصابته بسرطان القولون. انظر: مقدمة مجموع الفتاوى للشيخ (١/ ٩)، وكتاب "ابن عثيمين الإمام الزاهد".

(٧٠٠) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور الصلح مردود (٢٦٩٧)، مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨) من حديث عائشة.

الروافض قالوا لما سئلوا عن زواج المتعة: عندكم يا أهل السنة نكاح التحليل، لكن المسيار ليس صنفًا واحدًا، وإطلاق الألفاظ هكذا من إطلاق الصحفيين، ومن إطلاق الناس الذين يريدون الإثارة، ومنذ فترة أطلقوا زواجًا جديدًا اسمه: زواج الوناسة، وأصل المسألة ليس فيه شيء، يقول السائل: شيخ كبير يريد أن يتزوج امرأة في الأربعين، وهو لا يريد من مقاصد النكاح إلا أنها تؤنسه وتخدمه، فقال المفتي: يجوز.

فوضعوا مصطلحًا وقالوا: زواج الوناسة، يقصدون الذين يتزوجون ليتمتعوا فقط، فهؤلاء يسمون الأشياء بغير اسمها، كذلك المسيار إن كان متخذًا الأخدان، والنكاح سر، ولا يعلم أحد به، ويدخل في الضحى، ويتخفى عن الحارة والناس، فهذا ليس نكاح المسلمين، فالله -عز وجل- قال: ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾[٧٠١]، فهذا أعظم الشبهة فيه، والشبهة في الأبضاع أعظم من الشبهة في الأموال.

وإن كان مثله مثل نكاح المسلمين تمامًا، إلا أن المرأة تنازلت عن ليلتها، فهذا نكاح جائز، وهذا ليس من المتعة في شيء.

أحسن الله إليكم، ذكرت لنا أن البنوك قائمة على الربا، هل يفهم من هذا أنه لا يوجد دور للهيئة الشرعية في هذه البنوك بالرغم من قوتها؟

بالرغم من قوتها! الإضافة الأخيرة لا يوافقك أحد عليها، فالهيئات الشرعية من أضعف الأشياء في البنوك؛ لأنها لا توجد رقابة صحيحة، بل كل موظفي البنوك يعترفون أنهم يأخذون الفتوى من أجل تضليل العامة، لكن إذا أريد أن تكون بنوك إسلامية، فلا بد أن يتركوا القروض؛ لأن القروض في الإسلام قروض حسنة، وهم لا يقدمون قرضًا حسنًا، وإذا أرادوا الربح الحلال فعليهم بالأبواب التي فتحها الله لهم، مثل: الزراعات والصناعات والتجارات، ولا يتاجرون في القروض والضمانات.

فما دامت البنوك مصرة على أن تتاجر في القروض والضمانات وتحتال عليها، وتقدمها في صورة بيع، فهي لا زالت ربوية ومحتالة؛ لأن هذا الباب بالذات القرض والضمان، إما أن يفعل مجانًا أو يترك في الشريعة بإجماع المسلمين، وهم الآن يقدمون القرض والضمان يريدون الربح فيها، فكيف يكون إسلاميًّا؟!

فالأمر قائم على أصل خبيث، وهو الاسترباح في القرض، والذي يحصل كله تجميل سطحي.

---

(٧٠١) المائدة: ٥.

يقول: أحسن الله إليكم، ما نصيحة الشيخ لي، فأنا بُليت وفُتنت بالصبيان، فإني أعزب وكلما رأيت صغيرًا فتنت به، فما توجيهكم وفقكم الله؟

نسأل الله السلامة، أول شيء ألا تتساهل في هذا الأمر؛ لأن مَن تساهل في هذا الأمر أوصله إلى أشياء خطيرة للغاية.

فأولاً: اعتزل الفتية المردان ولا تصاحبهم، ولو حتى في حلقات التحفيظ، فالسلف وهم السلف، وهم أورع منا وأتقى، كانوا في مجالس الحديث والقرآن يؤخرون المردان عنهم، فكيف الذي يجمعهم، ويرحل معهم، ويذهب معهم استراحات؟! مؤكد أنه سيقع في الفتنة.

والأمر الثاني: اشتغل بما يعنيك من أمر الدين أو الدنيا، وعليك بالقرآن، وعليك بالذكر، وعليك بملازمة الصالحين، وعليك بالابتعاد عن الفتن، واحزم في أمرك، فإن عشق الصور أشد من الفواحش؛ لأنه يصل إلى الاعتقادات ويصل إلى القلوب ويفسدها، فلا بد أن يحزم الإنسان أمره، ويترك هذا الأمر تمامًا، ويبتعد عنه، ويستغيث بالله -عز وجل، حتى يخرج ما في قلبه من هذا السهم المسموم.

نسأل الله أن يشفيك من هذا المرض الخطير وإخواننا المسلمين.

تقدم أن الحيل إما أن يكون مصدرها شياطين الإنس، أو يكون مصدرها شياطين الجن، فالشيطان من شياطين الجن، أو الشيطان الأكبر قد يتصور في صورة مفتٍ، ويفتي بهذه الحيل؛ لأنها لا يتصور أن تخرج ممن يتقي الله ويخافه، فإن كان ليس من شياطين الجن، فهو من شياطين الإنس، كما قال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[٧٠٢].

وأثر عبد الله بن عمرو الذي ذكره مسلم، أن سليمان بن داود أوثق شياطين في البحر، فقال: يوشك أن تخرج على الناس وتقرأ عليهم القرآن[٧٠٣]!

وتقدم أثر عبدالله بن المبارك الذي ذكرناه لما سمع هذه الحيل، قال: ما أظن أن إبليس يحسن هذه الحيل حتى استفادها من هؤلاء، فأصبح التلاميذ أعلم في هذا الباب من الشيخ، فقال -رحمه الله: إنه كان يعلمها الشيطان،

---

(٧٠٢) الأنعام: ١١٢.

(٧٠٣) سبق تخريجه.

ولكن لم يجد من يمضيها في أمة محمد، حتى جاء هؤلاء فأمضاها لهم، فما من شك أن هذا من وحي الشياطين، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[٧٠٤].

(٧٠٤) الأنعام: ١٢١.

(حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الله التَّمِيمِيُّ الآدَمِيُّ الْبَصْرِيُّ[٧٠٥]، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي[٧٠٦]، قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ عَبْدِالله التُّسْتُرِيُّ[٧٠٧] -رَحِمَهُ الله- يَقُولُ: مَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِالْحِيلَةِ فِيمَا لاَ يَجُوزُ، يَتَأَوَّلُ الرَّأْيَ وَالْهَوَى بِلاَ كِتَابٍ وَلاَ سُنَّةٍ، فَهَذَا مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ، وَبِمِثْلِ هَذَا هَلَكَ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، وَلِهَذَا ثَلاَثُ عُقُوبَاتٍ يُعَاقَبُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا: يُبْعَدُ عِلْمُ الْوَرَعِ مِنْ قَلْبِهِ وَيَضِيعُ مِنْهُ، وَتُزَيَّنُ لَهُ الدُّنْيَا وَيَرْغَبُ فِيهَا وَيُفْتَنُ بِهَا، وَيَطْلُبُ الدُّنْيَا، فَلَوْ أُعْطِيَ جَمِيعَ الدُّنْيَا فِي هَلاَكِ دِينِهِ لأَخَذَهُ وَلاَ يُبَالِي).

فهو يطلب الدنيا بتلهف، وهذا سهل بن عبد الله التستري -رحمه الله- وهو من السلف الأولين، وله كلمة طيبة في الدين وفي غيره، وإن كان يعد من أهل التصوف الأولين، ومن الطبقة الأولى التي كان عندها انحراف، لكن لم يبلغ الانحراف الأكبر، لكن له كلامات مشهورة ومتناقلة، وهو التستري؛ لأنه من منطقة اسمها شستر، في بلاد الفرس، لكن العرب لما فتحوها نطقوها على ما يستطيعون، فقالوا تستر، فيقول -رحمه الله: مَن أفتى الناس فيما لا يجوز، وتأول الرأي والهوى بلا كتاب ولا سنة، فهذا من علماء السوء؛ لأنه من أهل الرأي وأهل الحيل قطعًا.

قال: وبمثل هذا هلك الأولون والآخرون، وتقدمت قصة أهل السبت، وأهل الجنة، والأمم التي قبلنا، لما فعلوا الحيلة أهلكوا، قال: ولهذا ثلاث عقوبات يعاقب بها في عاجل الدنيا، سبحان الله العظيم! فهذا من فقه السلف، ومعرفتهم بعواقب الأمور، والنور الذي أعطاهم الله -عز وجل، وهذا أمر مشاهد، فالذي يتساهل في الحيل، يعاقب بثلاث عقوبات في الدنيا:

---

(٧٠٥) لم أجده.

(٧٠٦) لم أجده.

(٧٠٧) سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري الصالح المشهور لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع، وكان صاحب كرامات. ولد سنة مئتين، وقيل إحدى ومئتين. سكن البصرة زمانا وعبادان مدة. توفي سنة ثلاث وثمانين وقيل سنة ثلاث وسبعين ومئتين. انظر: حلية الأولياء (١٠/ ١٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠ ترجمة ١٥١).

الأولى: يبعد الورع من قلبه، وهذا أمر مشاهد، ما يتورع ولا يعمل بحديث: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ»[٧٠٨]، ولا بحديث: «إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ»[٧٠٩]، بل تجد هذا الحديث أثقل شيء عليه.

وللورع أحكام: فمنه الورع الواجب! ومنه الورع المستحب، فمن فَقَدَ الورع من قلبه، فقد فَقَدَ الخير كله، هذا من عقوبته لما تجرأ على القول بالحيلة، والقول بالرأي في دين الله، فأول عقوبة أن يبعد الورع من قلبه، فلا يتورع من شيء -نسأل الله العافية والسلامة- ولا يتورع عن فتوى، ولا يتورع عن مال يأخذه، ولا يتورع عن كلام يقوله، فيبعد الورع من قلبه، وهذا أمر شاهدوه وجربوه، وهو مجرب من وقت السلف إلى يومنا هذا.

الثانية: تزين له الدنيا، ويرغب فيها ويفتن بها -نسأل الله العافية والسلامة- وهذه عقوبة عظيمة، فتصبح الدنيا أكبر همه.

الثالثة: يطلب الدنيا طلبًا شنيعًا لا يصلح بعوام المسلمين، فضلاً عمن انتسب إلى العلم، حتى لو أعطي الدنيا كلها في هلاك دينه، أو بعض الدنيا في هلاك دينه، لأخذ الدنيا ولو هلك دينه، ولا يبالي، هذه العقوبات التي ذكرها سهل -نعوذ بالله من الخذلان.

وهناك عقوبة رابعة ذكرها أبو قلابة[٧١٠]، وهي: أن الذلة لا تفارقهم، فتجد إنه لا يحب أن يجالس أهل العلم، ولا يحب أن يفتح هذا الموضوع معهم، ويحب أن يجالس أصحابه الذين يؤيدنه على هذا الأمور، قال أبو قلابة

---

(٧٠٨) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (١٧٢٣)، والترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه (٢٥١٨)، قال الترمذي: حسن صحيح، والنسائي: كتاب الأشربة، باب الحث على ترك الشبهات (٥٧١١) من حديث الحسن بن علي، قال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح.

(٧٠٩) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢)، مسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير.

(٧١٠) عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر بن ناتل، أبو قلابة الجرمي، الإمام، شيخ الإسلام. قدم الشام وانقطع بداريا. أريد على القضاء، فهرب إلى الشام، فمات بعريش مصر، وقد ذهبت يداه ورجلاه، وبصره، وهو مع ذلك حامد شاكر. قال ابن حجر في التقريب: ثقة فاضل كثير الإرسال. قال يحيى بن معين: مات سنة ست -أو سبع- ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٥٤٢ ترجمة ٣٢٨٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦٨ ترجمة ١٧٨).

كلمة عظيمة في قول الله -عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٧١١]، وفي قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾[٧١٢]، قال أبو قلابة: هي في كل مفترٍ إلى يوم القيامة[٧١٣]، وقال السلف: من افترى على الله -وأعظم الفرية أن تتكلم في الدين بالرأي أو بالهوى أو بالحيلة- فإن الذلة لا تفارقه، يعرف هذا كل مَن له فراسة، يعرف الذلة في وجهه، وفي تصرفاته، وفي كلامه، وفي محبته للابتعاد عن أهل العلم، وعن مناقشتهم في هذه الأمور، وركونه إلى مَن يوافقه على هواه -نسأل الله العافية والسلامة.

(فَهَذِهِ الْحِيلَةُ الْمَذْكُورَةُ الْمَخْلُوعُ عَلَيْهَا اسْمَ الْخُلْعِ، لاَ يُعْرَفُ لَهَا مَخْرَجٌ وَلاَ تَأْوِيلٌ فِي كِتَابٍ وَلاَ سُنَّةٍ، وَلاَ أَفْتَى بِهَا أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؛ لأَنَّ الْخُلْعَ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ قَائِمٌ بِذَاتِهِ، غَيْرُ مَحْمُولٍ عَلَى تَأْوِيلٍ، وَلاَ مُسْتَنَدٍ لِغَيْرِ مَا نَزَّلَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ بِلَفْظٍ مَفْهُومٍ وَمَعْنًى مَعْلُومٍ، فَقَدْ قَالَ اللهُ -تَعَالَى- فِي ذَلِكَ: ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾[٧١٤]، ثُمَّ عَطَفَ بِالتَّأْكِيدِ، فَقَالَ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾، فَلَمْ يَجْعَلْ لِلْمَرْأَةِ سَبِيلاً إِلَى اخْتِلاَعِهَا، وَلاَ لِلزَّوْجِ فُسْحَةً فِي أَخْذِ الْفِدْيَةِ مِنْهَا، إِلاَّ بِالْعِلَّةِ الَّتِي وَصَفَهَا، فَإِنْ أَفْتَى مُفْتٍ أَوِ احْتَالَ ذُو رَأْيٍ بِحِيلَةٍ شَبَّهَهَا بِهَذَا الْخُلْعِ، فَقَدْ جَعَلَ مَعَ الْخُلْعِ الَّذِي وَصَفَهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- خُلْعًا ثَانِيًا، وَحَكَمَ حُكْمًا آخَرَ، وَلاَ يَخْلُو صَاحِبُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَرَادَ، فَقَدْ جَعَلَ لِنَفْسِهِ حُكْمًا، وَشَرَعَ شَرِيعَةً أَضَافَهَا إِلَى حُكْمِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَشَرِيعَتِهِ، وَقَدْ أَحْدَثَ فِي دِينِ اللهِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ).

فيخشى أن يبدل الشريعة ليس جهلاً أو تأويلاً، وقوله: (وليسَ يخلُو صاحبُ هذه المقالةِ أَن يكونَ هذا أَرادَ)، يخشى أن يكون مراده تبديل الشريعة، وأن يأتي بخلع ودين غير الدين الذي نزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- من عنده، كما أن كثيرًا ممن ضل في باب الاعتقاد لم يضلوا بسبب شبهة، وإنما هم زنادقة، أظهروا الحق، وأبطنوا الباطل، كما قال السلف: تتبعنا كلام الجهمية، فإذا هم يدورون على الإباحة، وأنه ليس فوق السماء أحد، وأن الله ليس بموجود، ولكنهم لم يصرحوا بهذا، ولكن نفوا عنه الصفات والأسماء، حتى تكتشف أن هذا صفة العدم؛ ولذلك فالسلف يقولون: من تتبع الرخص تزندق، أي: يصبح دينه مرقعًا.

---

(٧١١) الأعراف: ١٥٢.

(٧١٢) الأعراف: ١٥٢.

(٧١٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥١٤٨، ١٥١٤٩) عن أبي قلابة به.

(٧١٤) البقرة: ٢٢٩.

فيقول: هذا إما أن يكون متأولاً، وإما أن يريد -نسأل الله العافية والسلامة- أن يفسد على الإسلام وأهله الإسلام.

(وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَدْخَلَ فِي دِينِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[٧١٥]، وَيَزْعُمُ أَنَّ هَذَا هُوَ الْخُلْعُ الَّذِي عَنَى اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- وَأَرَادَهُ، وَلِمِثْلِ هَذِهِ الْبَلْوَى أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ، فَقَدِ ادَّعَى عَلَى اللهِ مَا لَمْ يَقُلْهُ، وَبَهَتَ الْقُرْآنَ، وَخَالَفَ مَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ.

فَقَدْ ذَكَرْنَا كَيْفَ خَالَعَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ جَمِيلَةَ بِنْتِ سَلُولَ[٧١٦]، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ[٧١٧][٧١٨]، وَمَا ذَكَرَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ مِنَ الْخُلْعِ، وَمَتَى يَجُوزُ وُقُوعُهُ، وَالْعِلَّةُ الَّتِي جَازَ لِلْمَرْأَةِ الانْخِلاَعُ لأَجْلِهَا، وَحَلَّ لِلزَّوْجِ الْفِدْيَةَ مِنْهَا، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخُلْعَ وَأَخْذَ الْفِدْيَةِ أُنْزِلاَ مِنَ السَّمَاءِ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ رَدَّ عَلَى اللهِ حُكْمَهُ، وَعَلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُنَّتَهُ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ إِجْمَاعَهُمْ، وَاللهُ حَسِيبُهُ وَحَجِيجُهُ).

هكذا كان السلف يغارون ويغضبون إذا انتهكت محارم الله، واليوم يريدون أن يكون لكل واحد حرية الرأي، ويتكلم في الدين بما يشاء، وأن هذا اجتهاد، حتى ولو لم يكن من أهل الاجتهاد ولم يكن عنده آلته، حتى ولو كانت المسألة غير اجتهادية، كما قال شيخ الإسلام، فمسألة الحيل ليست اجتهادية، وإلا لما سماها السلف بدعة منكرة.

فكل واحد الآن يقول ما يشاء في الدين، كما قال حذيفة[٧١٩] -رضي الله عنه: كيف بكم إذا انفرجتم عن دينكم انفراج المرأة عن قبلها؟! أي: لا تمنع مَن يأتيها! فقالوا: سبحان الله! كيف ذلك يا أبا عبد الله؟! قال: الناس يومئذٍ

---

(2) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٧٩)، مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨) من حديث عائشة.

(٧١٦) جميلة بنت أبي بن سلول، امرأة ثابت بن قيس بن شماس، وهي التي خالعته وردت عليه حديقته. كناها ابن المسيب أم جميل. انظر: الاستيعاب: (ص: ٨٨١ ترجمة ٣٢٤٧)، والأسد (٧/ ٥٢ ترجمة ٦٨١٣)،

(٧١٧) ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ بن امرئ القيس بن مالك الأغر، وأمه امرأة من طيّء. يكنى أبا محمد. وكان خطيب الأنصار، ويقال له: خطيب رسول الله —صلى الله عليه وسلم. شهد أحدا وما بعدها من المشاهد. وقتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر —رضي الله عنهم أجمعين. انظر: الاستيعاب (ص: ١٠١ ترجمة ٢٥٣)، والأسد (١/ ٤٥١ ترجمة ٥٦٩).

(٧١٨) أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب الخلع وكيف الطلاق فيه (٥٢٧٣)، من حديث ابن عباس.

(٧١٩) حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي. من نجباء أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو صاحب السر. واسم اليمان: حِسْل -ويقال: حُسَيْل- ابن جابر العبسي، اليماني، أبو عبد الله، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين. وأمه الرباب بنت كعب بن عدي الأنصارية. توفي سنة ست وثلاثين بعد مقتل عثمان. انظر: الاستيعاب (ص: ١٣٨ ترجمة ٣٩٠)، وأسد الغابة (١/ ٧٠٦ ترجمة ١١١٣).

بين فاجر وعاجز [٧٢٠]، فالمرأة أعز ما عندها العرض، فإذا انفرجت عنه، فهي إما فاجرة وإما عاجزة، وكذلك أهل الإسلام أعز ما عندهم دينهم، فإذا تركوه نهبًا لأهل الحيل والرأي والجهل، وكل من يتكلم في الدين برأيه، فهم بين فاجر وعاجز؛ إما رجل يعجبه ذلك، ويريد أن يبدل الدين حتى يوافق هواه، وإما رجل ضعيف؛ ولذلك ذكر النبي -عليه الصلاة والسلام- عن الطائفة المنصورة فقال: «لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ»[٧٢١]، يخالفهم الفاجر ويخذلهم العاجز.

ولذلك فعبارات السلف الأوائل واضحة، وليس عندهم مجال لحرية رأي، ولكن إذا كان عندك حرية رأي فتكلم في الدنيا، أما الدين فقد كمل، فعليك بالاتباع وبالأثر وبسبيل الصالحين، قال -تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[٧٢٢].

فإدمان النظر في قراءة كتب السلف تقوي العقيدة الصحيحة، وتقوي الغيرة على محارم الله، فالخلع الآيات التي فيه والأحاديث واضحة، لكنها في وادٍ، والذي أفتى به هذا المفتي في وادٍ آخر، فهذا خلع، لكنه ليس الخلع الذي نزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- هذا خلع أتوا به من قبل أنفسهم.

(وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِمَنِ انْخَلَعَتْ مِنْ زَوْجِهَا لِغَيْرِ السَّبَبِ الَّذِي وَصَفَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مَا يَطُولُ الْكِتَابُ بِرِوَايَتِهِ، وَلَكِنَّا نَخْتَصِرُ مِنْهُ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ -إِنْ شَاءَ اللهُ:

حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ[٧٢٣]، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ[٧٢٤]، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ[٧٢٥]، عَنْ أَيُّوبَ[٧٢٦]، عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ[٧٢٧]، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحَبِيِّ[٧٢٨]، عَنْ ثَوْبَانَ[٧٢٩] -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

---

(٧٢٠) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٨٢٩٢)، الداني في الفتن (٢٤١) بنحوه. الحاكم (٤/ ٥٠٥) دون قوله: «بين عاجز وفاجر»، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٧٢١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر (٣٦٤١)، مسلم: كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (١٠٣٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان.

(٧٢٢) النساء: ١١٥.

(٧٢٣) عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه، الحافظ الإمام الحجة المعمر، مسند العصر، أبو القاسم البغوي الأصل، البغدادي الدار والمولد. أحد الأئمة الثقات، وصاحب المسائل عن أحمد. ولد سنة سنة أربع عشرة ومئتين، وتوفي سنة سبع عشرة وثلاث مئة. انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٣٠ ترجمة ٢٥٩)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٤٠ ترجمة ٢٤٦).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»(٧٣٠).

حَدَّثَنَا الْقَاضِي الْمُحَامِلِيُّ(٧٣١)، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَخْرَمِيُّ(٧٣٢)، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ(٧٣٣)، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ.. فَذَكَرَ مِثْلَهُ)(٧٣٤).

---

(٧٢٤) أحمد بن إبراهيم بن خالد الموصلي أبو علي نزيل بغداد. كتب عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. انظر: تهذيب الكمال (١/ ٢٤٥ ترجمة ١).

(٧٢٥) حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البصري، الأزرق الضرير، أحد الأعلام، أصله من سجستان، سُبي جده درهم منها. مولده في سنة ثمان وتسعين، ومات في سنة تسع وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٩ ترجمة ١٤٨١)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٦ ترجمة ١٦٩).

(٧٢٦) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني، العنزي، مولاهم، أبو بكر البصري، الأَدَمِيّ ويقال: ولاؤه لطهية، وقيل: لجهينة. الإمام الحافظ سيد العلماء. عداده في صغار التابعين. مولده عام توفي ابن عباس، سنة ثمان وستين، وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومئة بالبصرة، زمن الطاعون، وله ثلاث وستون سنة. انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٤٥٧ ترجمة ٦٠٧)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٥ ترجمة ٧).

(٧٢٧) عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر بن ناتل، أبو قلابة الجرمي، الإمام، شيخ الإسلام. قدم الشام وانقطع بداريا. أريد على القضاء، فهرب إلى الشام، فمات بعريش مصر، وقد ذهبت يداه ورجلاه، وبصره، وهو مع ذلك حامد شاكر. قال يحيى بن معين: مات سنة ست -أو سبع- ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٥٤٢ ترجمة ٣٢٨٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦٨ ترجمة ١٧٨).

(٧٢٨) عمرو بن مرثد أبو أسماء الرحبي الشامي الدمشقي وقال أبو الحسن بن سميع أبو أسماء الرحبي عمرو بن أسماء والأول. انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٢٢٣ ترجمة ٤٤٤٥).

(٧٢٩) ثوبان بن بُجْدُد، أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. كان من السبي، فاشتراه رسول الله وأعتقه. فلم يزل معه حضرا وسفرا، إلى أن مات -عليه السلام-. حفظ عنه، وأدى ما وعى. توفي سنة أربع وخمسين -رضي الله عنه-. انظر: الاستيعاب (ص: ١٠٨ ترجمة ٢٨٦)، والأسد (١/ ٤٨٠ ترجمة ٦٢٤).

(٧٣٠) صحيح: أخرجه أبو داود: كتاب الطلاق، باب في الخلع (٢٢٢٦)، ابن ماجه: كتاب الطلاق، باب كراهية الخلع للمرأة (٢٠٥٥)، من طريق حماد بن زيد به، قال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح.

أخرجه أحمد في المسند (أحمد في المسند (٢٢٣٧٩)، الترمذي: كتاب الطلاق، باب ما جاء في المختلعات (١١٨٧)، من طريق أيوب، بإسقاط أبي أسماء .

(٧٣١) الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان، أبو عبد الله الضبي البغدادي المحاملي. القاضي الإمام العلامة المحدث الثقة، مسند الوقت. مولده في أول سنة خمس وثلاثين ومئتين، ووفاته سنة ثلاثين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٨ ترجمة ١١٠).

وهذا المفتي يأمرها أن تسأل زوجها الطلاق أو الخلع من غير ما بأس! حتى يحل اليمين، فينطبق عليها هذا الحديث؛ لأنه يأمرها بالحرام، لحديث: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»، وهذا المفتي -نسأل الله العافية والسلامة- أتاه الشر من كل وجه، فأول شيء يحتال على دين الله، ثم يغيِّر شريعة الله، ثم يأمرها بالحرام.

(٧٣٢) محمد بن عبد الله بن عمار بن سوادة الأزدي الغامدي أبو جعفر البغدادي المخرمي نزيل الموصل أحد الحفاظ المكثرين. توفي سنة اثنتين وأربعين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٥٠٩ ترجمة ٥٣٦٢).

(٧٣٣) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان، بن عبد الرحمن، الإمام الناقد المجود، سيد الحفاظ، أبو سعيد العنبري، وقيل: الأزدي، مولاهم البصري اللؤلؤي. ولد سنة خمس وثلاثين ومئة، وتوفي بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومئة وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكان ثقة كثير الحديث. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٤٣٠ ترجمة ٣٩٦٩)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٢ ترجمة ٥٦).

(٧٣٤) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٢٢٤٤٠) من طريق عبد الرحمن بن مهدي به.

قال أبو عبد الله -رحمه الله: (فَرَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ تَوَعَّدَ الْمُخْتَلِعَةَ مِنْ زَوْجِهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ بِهَذَا الْوَعِيدِ، وَجَعَلَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ عَلَيْهَا حَرَامًا، فَكَيْفَ يَتَّسِعُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُفْتِيَ أَخَاهُ أَنْ يَأْمُرَ زَوْجَتَهُ أَنْ تَخْتَلِعَ مِنْهُ، إلاَّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَبَاحَ اللهُ لَهَا ذَلِكَ فِيهِ؟! وَمَا ظَنُّكَ الآنَ إنْ شَرَطَ لَهَا عَلَى نَفْسِهَا أَنَّهَا إذَا اخْتَلَعَتْ عَادَ فَتَزَوَّجَهَا، فَأَنْعَمَتْ بِاخْتِلاَعِهَا عَلَى شَرْطِ عَقْدِ نِكَاحِهَا، فَوَقَعَ الْخُلْعُ بِشَرْطِ النِّكَاحِ، وَالنِّكَاحِ بِشَرْطِ الْخُلْعِ فَبَطَلاَ جَمِيعًا).

لأن هذا الشرط يخالف مقصود العقد، ومقصود عقد النكاح الاجتماع، ومقصود عقد الخلع الفرقة، فهو يشترط لها أن تختلع على شرط أن ينكحها، فهذا شرط يخالف مقصود العقد، فيبطل الاثنان؛ لأن معناه أن الشرط هذا مخالف للمقصود، كما لو قال: أبيعك بشرط ألا تملك المبيع! فهذا الشرط يخالف مقصود العقد، فكيف يخالعها على شرط أن يعقد عليها؟! والخلع الذي أباحه الله فيه طلقة بائنة، وكل يمضي في سبيله.

(نَعَمْ، وَإِنْ حَنَثَ فِي يَمِينٍ قَدْ كَانَ حَلَفَ عَلَيْهَا بِعَقْدِ الْخُلْعِ وَهِيَ فِي الْعِدَّةِ، صَارَ إِلَى عَيْنِ الشُّبْهَةِ وَجُمْهُورِ الرِّيبَةِ، وَحَصَلَ فِي حَبَائِلِ الاخْتِلاَفِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ يَقُولُونَ: الْمُخْتَلِعَةُ يَقَعُ عَلَيْهَا الطَّلاَقُ فِي عِدَّتِهَا).

وهذه أيضًا مصيبة أخرى، فإن الشبهة في الأبضاع أشد من الشبهة في الأموال؛ ولذلك كان ابن سيرين[٧٣٥] لا يفتي في أي مسألة في الأنكحة فيها اختلاف، وهنا يقول جماعة من الفقهاء: إن المخالعة يقع عليها الطلاق وهي في العدة، فمعنى هذا أنه لو حنث في يمين وقعت بعد الاختلاع، سيقع في عين الشبهة -نسأل الله العافية والسلامة، فهذه ظلمات بعضها فوق بعض بسبب هذه الفتوى، وهكذا كل فتاوى الحيل، يوقعون المسلمين في الظلمات والجهالات.

(٧٣٥) محمد بن سيرين، أبو بكر الأنصاري، الأنسي البصري. مولى أنس بن مالك، خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. التابعي الجليل، كان نسيجَ وحده. لم يكن بالبصرة أعلم منه، وكان حسن العلم بالفرائض، والقضاء، والحساب. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي بعد موت الحسن البصري بمئة يوم سنة عشر ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦ ترجمة ٢٤٦)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٨١ ترجمة ٥٦٥).

(وَلَقَدْ رُوِيَ نَحْوُ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْحَدِيثُ مُتَّصِلاً، فَسَبِيلُ الاحْتِيَاطِ أَنْ يَكُونَ مَعْمُولاً بِهِ خَوْفَ مُخَالَفَتِهِ.

حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رَجَاءَ(٧٣٦)، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرِ ابْنُ أَبِي عِصْمَةَ(٧٣٧)، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ(٧٣٨)، عَنِ الْعَلاَءِ بْنِ عُتْبَةَ(٧٣٩)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ(٧٤٠)، رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لِلْمُخْتَلِعَةِ طَلاَقٌ مَا كَانَتْ فِي الْعِدَّةِ»(٧٤١).

هذا الحديث وإن كان -كما قال- ليس متصلاً؛ لأن علي بن أبي طلحة من التابعين من أصحاب ابن عباس، فالحديث مرسل، لكن يكون الاحتياط العمل به؛ لأنه أفتى به العلماء، والمختلعة يلحقها الطلاق، حتى لو خالعت، فما دامت في العدة يلحقها الطلاق، فربما حلف وهي في العدة فلحقها الطلاق، فكيف إذا عقد عليها من جديد؟!

(٧٣٦) عمر بن محمد بن رجاء، أبو حفص العكبري. كان عابدا صالحا، شديد الوطأة على الرافضة. توفي سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة. انظر: طبقات الحنابلة (٣/ ١٠٦ ترجمة ٥٩٨).

(٧٣٧) عصمة بن أبي عصمة، أبو طالب العكبري. لازم إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل إلى أن مات، وروى عنه مسائل جيادا. توفي سنة أربع وأربعين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ١٧٤ ترجمة ٣٣٩).

(٧٣٨) إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي أبو عتبة الحمصي. الحافظ الإمام محدث الشام، بقية الأعلام. كان من بحور العلم، صادق اللهجة، متين الديانة، صاحب سنة، واتباع، وجلالة ووقار. ولد سنة ثمان ومئة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣/ ١٦٣ ترجمة ٤٧٢)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣١٢ ترجمة ٨٣).

(٧٣٩) العلاء بن عتبة اليحصبي أبو محمد الحمصي. قال أبو حاتم: شيخ صالح الحديث. وذكره بن حبان في كتاب "الثقات". انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ٥٢٦ ترجمة ٤٥٧٩).

(٧٤٠) علي بن أبي طلحة، واسمه سالم بن المخارق الهاشمي أبو الحسن، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو طلحة. مولى العباس بن عبد المطلب، أصله من الجزيرة، وانتقل إلى حمص. مات سنة ثلاث وأربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٩٠ ترجمة ٤٠٩٠).

(٧٤١) أخرجه عبد الرازق في المصنف (١١٧٨٢) من طريق إسماعيل بن عياش به، مرسلا.

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٨٧٩٣)، من طريق علي بن أبي طلحة به، موقوفا على أبي الدرداء. قال البيهقي في المعرفة (١٤٥٩٨): لم أجد فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً.

(وَقَالَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ(٧٤٢)، وشُرَيْحٌ(٧٤٣) وَالشَّعْبِيُّ(٧٤٤) وَمُغِيرَةُ الضَّبِّيُّ(٧٤٥)، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ(٧٤٦)، وَحَمَّادٌ(٧٤٧) وَمُحَمَّدُ بْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ(٧٤٨)، وَطَاوُوسُ(٧٤٩)، وَالْحَكَمُ(٧٥٠) وَدَاوُدُ(٧٥١)، وَهُوَ مَذْهَبُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ(٧٥٢)، وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ مِنَ الْكُوفِيِّينَ.

---

(٧٤٢) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة. الإمام العلم، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه. رأى عمر، وسمع عثمان، وعليا، وخلقا سواهم. وقيل: إنه سمع من عمر. ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر -رضي الله عنه-، وقيل: لأربع مضين منها بالمدينة، وتوفي سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك وهو ابن خمس وسبعين سنة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ٦٦ ترجمة ٢٣٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧ ترجمة ٨٨).

(٧٤٣) شريح بن هانئ بن يزيد بن الحارث، أبو المقدام الحارثي، المذحجي، الكوفي، الفقيه، الرجل الصالح، كان من أعيان أصحاب علي -رضي الله عنه-. وقد شهد تحكيم الحكمين، ووفد على معاوية شافعا في كثير بن شهاب، فأطلقه له. وأبوه له صحبة. سار إلى سجستان غازيا، فقتل بها سنة ثمان وسبعين، عن مئة وعشرين سنة. انظر الاستيعاب (٣٣٣ ترجمة ١١٦٩)، وأسد الغابة (٢/ ٦٢٨ ترجمة ٢٤٢٨).

(٧٤٤) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار -وذو كبار: قيل من أقيال اليمن- الإمام، علامة العصر، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي. رأى عليا -رضي الله عنه- وصلى خلفه، وسمع من عدة من كبراء الصحابة. ولد لست سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على المشهور، ومات سنة أربع ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨ ترجمة ٣٠٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤ ترجمة ١١٣).

(٧٤٥) مغيرة بن مقسم، الإمام العلامة، الثقة، أبو هشام الضبي، مولاهم، الكوفي، الأعمى، الفقيه، يلحق بصغار التابعين. مات سنة ثلاث وثلاثين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٨/ ٣٩٧ ترجمة ٦١٤٣)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ١٠ ترجمة ٥).

(٧٤٦) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع، أبو عمران النخعي. الإمام، الحافظ، فقيه العراق. وهو ابن مليكة أخت الأسود بن يزيد. وقد دخل على أم المؤمنين عائشة وهو صبي. مات سنة ست وتسعين وله سبع وخمسون سنة. انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٢٣٣ ترجمة ٢٦٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠ ترجمة ٢١٣).

(٧٤٧) حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البصري، الأزرق الضرير، أحد الأعلام، أصله من سجستان، سُبي جده درهم منها. مولده في سنة ثمان وتسعين، ومات في سنة تسع وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٩ ترجمة ١٤٨١)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٦ ترجمة ١٦٩).

(٧٤٨) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام. الإمام العلم، حافظ زمانه. ولد سنة إحدى وخمسين، ومات سنة أربع -أو ثلاث- وعشرين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٤١٩ ترجمة ٥٦٠٦). سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦ ترجمة ١٦٠).

(٧٤٩) طاووس بن كيسان، الفقيه القدوة عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي، ثم اليمني الجندي الحافظ. كان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له، فقيل: هو مولى بحير بن ريسان الحميري، وقيل: بل ولاؤه لهمدان. مات سنة ست ومئة، وكان له يوم مات بضع وسبعون سنة. انظر: تهذيب الكمال (١٣/ ٣٥٧ ترجمة ٢٩٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨ - ١٣).

وَفِيهَا قَوْلٌ ثَانٍ: وَهُوَ أَنَّ الْمُخْتَلِعَةَ إِنْ أَتْبَعَ الْخُلْعَ الطَّلَاقَ فِي وَقْتِهِ طَلُقَتْ، وَإِنْ تَأَخَّرَ ذَلِكَ لَمْ يَقَعْ بِهَا طَلَاقٌ، قَالَ بِذَلِكَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ(٧٥٣) وَغَيْرُهُ، وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ -رَحِمَهُ اللهُ: الأَمْرُ عِنْدَنَا وَالْمُجْمَعُ عَلَيْهِ فِي بَلَدِنَا فِي الْمُفْتَدِيَةِ، أَنَّهُ إِذَا طَلَّقَهَا بِعَقْدِ خُلْعِهَا طَلَاقًا نَسَقًا مُتَتَابِعًا بَانَتْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ صِمَاتٌ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ).

القول الثاني فيه تفصيل، والقول الأول هو إن المختلعة يلحقها الطلاق مطلقًا، القول الثاني: أن المختلعة فيها تفصيل، إذا كان ألحقها الطلاق مباشرة لحقها، وإذا وُجِد صمات لا يلحقها الطلاق، وهذا القول يحكيه مالك عن أهل المدينة، وإن كان من أهل المدينة مَن قال بالقول الأول، مثل: سعيد بن المسيب، ومحمد بن شهاب الزهري.. وفيها قول ثالث: أنه لا يلحقها الطلاق.

(٧٥٠) الحكم بن عتيبة، الإمام الكبير، عالم أهل الكوفة، أبو محمد الكندي، مولاهم الكوفي، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله. قال أحمد بن حنبل: هو من أقران إبراهيم النخعي. مات سنة خمس عشرة ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ١١٤ ترجمة ١٤٣٨)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٠٨ ترجمة ٨٣).

(٧٥١) داود بن علي بن خلف، الإمام، البحر، الحافظ، العلامة، عالم الوقت، أبو سليمان البغدادي، المعروف بالأصبهاني، مولى أمير المؤمنين المهدي، رئيس أهل الظاهر. صنف الكتب، وكان إماما ورعا ناسكا زاهدا. ولد سنة مئتين، وتوفي سنة سبعين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٩٧ ترجمة ٥٥).

(٧٥٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي. من ثور. إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه. ولد سنة سبع وتسعين، ومات بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤ ترجمة ٢٤٠٧)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩ ترجمة ٨٢).

(٧٥٣) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرشي، الزهري، المدني. قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، وقيل: اسمه وكنيته واحد. قال محمد بن سعد: توفي بالمدينة سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ٣٧٠ ترجمة ٧٤٠٩).

(وَفِيهَا قَوْلٌ ثَالِثٌ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ(٧٥٤) -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- وَعِكْرِمَةُ(٧٥٥) وَالْحَسَنُ(٧٥٦)، وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ(٧٥٧): لاَ يَقَعُ بِالْمُعْتَدَّةِ مِنَ الْخُلْعِ طَلاَقٌ، وَبِهَذَا الْقَوْلِ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَأَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلاَمٍ(٧٥٨)، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ(٧٥٩)، وَأَبُو ثَوْرٍ(٧٦٠)، وَجَمَاعَةٌ مِنْ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ، قَالُوا: طَلاَقُهُ لَهَا بَعْدَ الْخُلْعِ بَاطِلٌ، وَهَذَا الْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ وَالْمَعْمُولُ بِهِ، وَبِهِ نَقُولُ).

(٧٥٤) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي. أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق. ولد عام الهجرة، وحفظ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو صغير، وحدث عنه بجملة من الحديث. بويع بالخلافة سنه أربع وستين عقب موت يزيد بن معاوية ولم يتخلف عنه إلا بعض أهل الشام وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة وحنكه النبي صلى الله عليه و سلم وسماه باسم جده وكناه بكنيته. قُتل في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة. انظر: الاستيعاب (ص: ٣٩٩ ترجمة ١٣٧٥)، الإصابة (٤/ ٨٩ ترجمة ٤٦٨٥).

(٧٥٥) عكرمة العلامة، الحافظ، المفسر، أبو عبد الله القرشي، مولاهم، المدني، البربري الأصل. قيل: كان لحصين بن أبي الحر العنبري، فوهبه لابن عباس. كان يقول: يقول: طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب، وابن عباس في الدار. قال قتادة: أعلم الناس بالحلال والحرام الحسن، وأعلمهم بالمناسك عطاء، وأعلمهم بالتفسير عكرمة. مات بالمدينة سنة خمس ومئة، وهو ابن ثمانين سنة. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٦٤ ترجمة ٤٠٠٩)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٢ ترجمة ٩).

(٧٥٦) الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. وكانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، وكانت تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو صبي فتسكته بثديها. ويقال: كان مولى جميل بن قطبة. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ومات سنة عشر ومئة، وهو ابن نحو من ثمان وثمانين سنة. انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٩٥ ترجمة ١٢١٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣ ترجمة ٢٢٣).

(٧٥٧) جابر بن زيد الأزدي اليحمدي، مولاهم، البصري، الجوفي، أبو الشعثاء. والجوف ناحية من عمان. كان عالم أهل البصرة في زمانه، ويعد من كبار تلامذة ابن عباس. كان يقول: لو ابتليت بالقضاء، لركبت راحلتي وهربت. توفي أبو الشعثاء سنة ثلاث وتسعين. انظر: تهذيب الكمال (٤/ ٤٣٤ ترجمة ٨٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨١ ترجمة ١٨٤).

(٧٥٨) أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله. الإمام الحافظ المجتهد، الفقيه القاضي الأديب المشهور صاحب التصانيف المشهورة والعلوم المذكورة. ولد سنة سبع وخمسين ومئة، ومات سنة أربع وعشرين ومئتين. له تواليف حسان؛ منها: "الإيمان"، و"الأمثال"، و"الأموال". انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٥٤ ترجمة ٤٧٩٢)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠ ترجمة ١٦٤).

(٧٥٩) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر الحنظلي. أبو يعقوب المروزي، المعروف بابن راهويه. نزيل نيسابور، أحد أئمة المسلمين وعلماء الدين. اجتمع له الحديث، والفقه، والحفظ، والصدق، والورع، والزهد. ورحل إلى العراق والحجاز واليمن والشام، وعاد إلى خراسان، فاستوطن نيسابور إلى أن مات بها وانتشر علمه عند أهلها. مولده في سنة إحدى وستين ومئة، ومماته سنة ثمان وثلاثين ومئتين. له مسائل جمعها الكوسج مع مسائل الإمام أحمد. انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٣٧٣ ترجمة ٣٣٢)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨ ترجمة ٧٩).

لأن الخلع يُبِين المرأة طلقة بائنة، فإذا طلقها بعد الخلع يكون باطلاً، ووجوده كعدمه؛ لأن المرأة بانت بالخلع، فهو وإن كان المؤلف -رحمه الله- رجح القول الثالث، إلا أنه يقول المسألة فيها خلاف، ويخشى أنه إذا خالعها ألحق بها طلاق، ثم يرجع يعقد عليها من جديد، فيقع في عين الشبهة، وفي حبائل الاختلاف، وأما القول الرابع فهذا ليس في المسألة، أي هذا القول ليس قسيمًا للأقوال الثلاثة، ولكن هذا القول في مسألة أخرى، وهي أن مِن العلماء مَن قال: إنه لو راجعها كما يريدون هما في الحيلة، فإن اليمين تبقى بحالها، ولا تنحل، فالحيلة لا تنفع الذي احتيل له؛ لأن اليمين تبقى بحالها، فإذا خالع ثم رجع وعقد عليها، فاليمين التي حلف بها لم تنحل.

(٧٦٠) إبراهيم بن خالد، الإمام الحافظ الحجة المجتهد، مفتي العراق، أبو ثور، الكلبي البغدادي الفقيه، ويكنى أيضا أبا عبد الله. قال النسائي: ثقة مأمون، أحد الفقهاء. ولد في حدود سنة سبعين ومئة، توفي في صفر سنة أربعين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٨٠ ترجمة ١٦٩)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٧٢ ترجمة ١٩).

(وَفِيهَا قَوْلٌ رَابِعٌ -وَإِلَيْهِ يَذْهَبُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُهُمْ: وَهُوَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا حَلَفَ بِطَلَاقِ زَوْجَتِهِ ثَلَاثًا أَلاَّ يَفْعَلَ شَيْئًا، أَوْ لَيَفْعَلَنَّ شَيْئًا، فَاخْتَلَعَتْ مِنْهُ زَوْجَتُهُ، أَوْ طَلَّقَهَا طَلَاقًا بَائِنًا، قَبْلَ أَنْ يَحْنَثَ، ثُمَّ ارْتَجَعَ، أَنَّ الْيَمِينَ رَاجِعَةٌ عَلَيْهِ بِرَجْعَتِهَا؛ لأَنَّ الْيَمِينَ قَائِمَةٌ، وَالزَّوْجَةُ هِيَ بِعَيْنِهَا، وَبِهَذَا نَقُولُ).

فلا تنفعهم الحيلة، ما دامت الزوجة بعينها، ورجع العقد بعينه، فاليمين تبقى ولا تنحل، فتكون هذه الحيلة وجودها كعدمها، إلا الإثم الذي حصلوا عليه.

(وَالْعِلْمُ قَدْ أَحَاطَ بِأَنَّ صَاحِبَ الْمَسْأَلَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ، أَنَّهُ إِذَا رَاجَعَ زَوْجَتَهُ بَعْدَ خَلْعِهَا، وَلَمْ يَفْعَلْ مَا كَانَ حَلَفَ أَنْ يَفْعَلَهُ، أَنَّ الزَّوْجَةَ هِيَ تِلْكَ بِعَيْنِهَا، وَالْيَمِينُ قَائِمَةٌ مُبْقَاةٌ.

أَخْبَرَنِي أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رَجَاءَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ حَمْدُونَ(٧٦١)، قَالَ: حَدَّثَنَا حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ(٧٦٢)، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ(٧٦٣) عَنْ هِشَامٍ(٧٦٤)، عَنْ حَمَّادٍ(٧٦٥) فِي الرَّجُلِ يَقُولُ لامْرَأَتِهِ: إِنْ دَخَلْتِ دَارَ فُلَانٍ فَأَنْتِ طَالِقٌ، فَطَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ فَبَانَتْ، ثُمَّ خَطَبَهَا، وَتَزَوَّجَهَا، قَالَ: إِنْ دَخَلَتْ وَقَعَ الطَّلَاقُ الأَوَّلُ، بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ قَالَ لِغُلَامِهِ: إِنْ ضَرَبْتُكَ فَأَنْتَ حُرٌّ، فَبَاعَهُ، ثُمَّ اشْتَرَاهُ بَعْدُ فَضَرَبَهُ، فَهُوَ حُرٌّ).

فإن اليمين لا تذهب، فلو قال لها: إن دخلت دار فلان فأنت طالق، ثم طلقها وخرجت من العدة، ثم عقد عليها عقدًا جديدًا ورجعت إليه فاليمين بحالها، فلو دخلت دار فلان تطلق، حتى لو كان انفك العقد الأول، فمعناه أن هذه الحيلة لا نفعتهم، وكذلك الرجل لو قال لغلامه: إن ضربتك فأنت حر، ثم باعه، ثم بعد فترة اشتراه، فإن ضربه فهو حر، فاليمين تبقى، قال الإمام أحمد: هكذا نقول.

---

(٧٦١) موسى بن حمدون، أبو عمران البزار العكبري. قال الخطيب البغدادي: كان ثقة. توفي سنة إحدى وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٥٥ ترجمة ٦٩٧٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٤٥ ترجمة ٦٦).

(٧٦٢) حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد. الإمام، الحافظ، المحدث الصدوق، المصنف، أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد، وتلميذه. ولد قبل المئتين، وتوفي سنة ثلاث وسبعين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣٨٣ ترجمة ١٨٨)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١ ترجمة ٣٨).

(٧٦٣) عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان. الإمام الحافظ الثقة، أبو سهل التميمي العنبري، مولاهم البصري التنوري. قال أبو حاتم: صدوق. وقال ابن سعد وطائفة: مات سنة سبع ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٩٩ ترجمة ٣٤٣١)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥١٦ ترجمة ١٩٨).

(٧٦٤) هشام بن أبي عبد الله سنبر البصري الربعي، مولاهم، أبو بكر الدستوائي. صاحب الثياب الدستوائية، كان يتجر في القماش الذي يجلب من دستوا. ولذا قيل له: صاحب الدستوائي. ودستوا بليدة من أعمال الأهواز. مات سنة اثنتين وخمسين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٢١٥ ترجمة ٦٥٨٢)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٤٩ ترجمة ٥١).

(٧٦٥) حماد بن أبي سليمان، العلامة الإمام فقيه العراق، أبو إسماعيل بن مسلم الكوفي مولى الأشعريين، أصله من أصبهان. تفقه بإبراهيم النخعي، وهو أنبل أصحابه وأفقههم، وأقيسهم وأبصرهم بالمناظرة والرأي. مات سنة عشرين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٦٩ ترجمة ١٤٨٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣١ ترجمة ٩٩).

وذلك لأن هذه يمين بالله -عز وجل، ليس فيها تهاون، فعلى هذا أبطل الحيل من حيث الشرع، وأبطلها مِـن حيث انتفاعهم لأنهم لا ينتفعون، لأن أكثر أهل العلم قالوا: إنه ولو خالعها ثم جدد العقد، فاليمين (يمين القتل) قائمة بحالها.

(قَالَ حَنْبَلٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: هَكَذَا نَقُولُ، وَقَالَ حَرْبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْكِرْمَانِيُّ[٧٦٦]: قُلْتُ لأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: رَجُلٌ قَالَ لامْرَأَتِهِ أَنْتِ طَالِقٌ ثَلاَثًا إِنْ دَخَلتِ هَذِهِ الدَّارَ، فَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً فَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا وَبَانَتْ مِنْهُ، ثُمَّ دَخَلَتِ الدَّارَ، قَالَ: لاَ يَقَعُ عَلَيْهَا حِينَئِذٍ طَلاَقٌ؛ لأَنَّهَا دَخَلَتْ وَلَيْسَتِ امْرَأَتَهُ، وَلَكِنْ إِذَا رَجَعَتْ إِلَيْهِ رَجَعَتْ وَهُوَ عَلَى يَمِينِهِ.

قال أبو عبد الله: (حَسْبُكَ يَا أَخِي -رَحِمَكَ اللهُ- بِمَا قَدْ شَرَحْتُهُ لَكَ مِنْ جَوَابِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كِفَايَةً وَنِهَايَةً، لَكَ فِيهَا بَلاَغٌ إِنْ كَانَ لَوْلاَكَ الْكَرِيمِ بِكَ عِنَايَةٌ، فَأَعَاذَكَ مِنَ الْكِبْرِ وَالْكَيْدِ، وَخَلَّصَكَ مِنْ حِقْدِ أَهْلِ الْعُجْبِ وَالْحَسَدِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ عَبْدٌ فِي نَفْسِهِ وَفِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ إِخْوَانِهِ، وَلاَ يُخَاطِرُ بِهَا وَبِهِمْ، فَقَالَ بِعِلْمٍ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: أَجْرَأُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا أَجْرَأُكُمْ عَلَى النَّارِ[٧٦٧].

يقول عمر: "أجرأكم على الفتيا أجرأكم على النار"، سُئل الإمام أحمد في مسائل ابن هانئ[٧٦٨] عن هذا الأثر، فقيل: "مَن أجرأ الناس على الفتيا؟ قال: الذي يفتي بغير الأثر، أي: يفتي بما لم يسمع".

فالذي يجترئ ويتكلم في الدين برأيه، هذا هو أجرأ الناس على الفتيا، فالذي لا يفتي إلا بالأثر أو بكتاب ناطق أو بحديث أو بأثر فهذا ليس بجريء؛ لأنه متبع، وأما الذي يتكلم في الدين برأيه، فهذا جريء، هذا وضع رقبته على السكين؛ ولذلك روي عن الإمام مالك -مع تحرزه وتورعه وخوفه وجلالته وامتلاكه لآلات الفتوى- أنه قال عند وفاته: وددت أن كل مسألة تكلمت فيها برأيي أني جُلدت فيها سوطًا وأني ما تكلمت؛ لأني لا أدري على ماذا ألقى الله؟!

فإن لم يكن في المسألة أثر حبس وسكت، هكذا كانوا يتورعون، ثم جاء من بعدهم، والأصل عندهم أن يتكلم في الدين برأيه واجتهاده وما يظهر له، ولا يلتفت للأحاديث والآثار.

---

(٧٦٦) حرب بن إسماعيل، أبو محمد الكرماني، الفقيه، تلميذ أحمد بن حنبل. الإمام العلامة. قال الخلال: كان رجلا جليلا، حثني المروذي على الخروج إليه. وله مسائل مع الإمام أحمد من أنفس كتب الحنابلة. عُمِّر وقارب التسعين، وتوفي سنة ثمانين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣٨٨ ترجمة ١٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٤ ترجمة ١٢٧).

(٧٦٧) أخرجه الدارمي (١٥٧)،عن عبيد الله بن أبي جعفر، مرسلا، قال الألباني في ضعيف الجامع (١٤٧): ضعيف.

(٧٦٨) إسحاق بن إبراهيم بن هانئ، أبو يعقوب النيسابوري. خدم الإمام أحمد وهو ابن تسع سنين، وكان له به اختصاص، وله عنه مسائل جياد. ولد سنة ثمان عشرة ومئتين، ومات سنة خمس وسبعين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ، ٢٨٤ ترجمة ١٢١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٩ ترجمة ١١).

(وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ مَنْ يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْتُفْتُونَهُ لَمَجْنُونٌ[٧٦٩].

هذا سيعود إليه المؤلف ويعلق عليه، ابن مسعود يقول ويحلف: والله الذي لا إله إلا هو إن الذي يفتي الناس في كل ما يسألونه عنه إنه مجنون، لماذا؟ لأنه قطعًا لا يوجد أحد العلم كله بين عينيه، ولا يوجد أحد يستطيع أن يجاوب على كل سؤال، إلا رجل جريء، يفتي بعلم وبغير علم.

ولذلك فالسلف (وهم السلف) لا يتكلمون في الفتوى حتى يقدم رِجْلاً ويؤخر رِجْلاً، والآن تسمع كثيرًا من المفتين، ولا تذكر أنه قال مرة واحدة: لا أدري، فهل معناه أن علم الشريعة كلها بين عينيه، وأنه محيط بالآيات والأحاديث والآثار؟!

(٧٦٩) أخرجه الدارمي: في المقدمة، باب في الذي يفتي الناس في كل ما يستفتى (١٧١)، الطبراني في المعجم الكبير (٨٩٢٣)، قال الهيثمي: رجاله موثقون، مجمع الزوائد (١/ ٢٢٣).

(وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ شُبْرُمَةَ[٧٧٠] أَنَّهُ قَالَ: مِنَ الْمَسَائِلِ مَا لاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهَا، وَمِنْهَا مَا لاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يُجِيبَ عَنْهَا.

حَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ[٧٧١]، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّاسٌ الدُّورِيُّ[٧٧٢]، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُونُسَ[٧٧٣]، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنِ أَبِي الْحُصَيْنِ[٧٧٤]، قَالَ: إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُفْتِي فِي الْمَسْأَلَةِ لَوْ وَرَدَتْ عَلَى عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- لَجَمَعَ لَهَا أَهْلَ بَدْرٍ) [٧٧٥].

لأن عمر متورع ويخاف على نفسه، ولو جاءت كثير من هذه المسائل لأفتوا فيها اليوم، وعمر كان يجمع لها أهل بدر، ما دام لم يأت فيها نص يجمع أهل بدر حتى يسلم من التبعة، واليوم يتحملها واحد بنفسه؛ لأن عمر يخاف على نفسه، وهذا الذي يجترئ لا يخاف، كما قال ابن مسعود: هذا مجنون.

(حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَّاقُ[٧٧٦]، قَالَ: حَدَّثَنَا حَنْبَلٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ[٧٧٧]، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ[٧٧٨]، قَالَ: سَمِعْتُ أَيُّوبَ -رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ: رَأَيْتُ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْقَضَاءِ وَالْفَتْوَى أَشَدَّهُمْ مِنْهُ فِرَارًا، وَأَشَدَّهُمْ مِنْهُ فَرَقًا، وَأَعْمَاهُمْ عَنْهُ أَشَدَّهُمْ مُسَارَعَةً إِلَيْهِ) [٧٧٩].

---

(٧٧٠) عبد الله بن شبرمة، أبو شبرمة، الإمام العلامة، فقيه العراق. قاضي الكوفة. عداد في التابعين. توفي سنة أربع وأربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ٧٦ ترجمة ٣٣٢٨)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٤٧ ترجمة ١٤٩).

(٧٧١) محمد بن مخلد بن حفص، الإمام الحافظ الثقة القدوة، أبو عبد الله، الدوري ثم البغدادي العطار الخضيب. صحب جماعة من أصحاب الإمام أحمد. ولد سنة ثلاث وثلاثين ومئتين، ومات سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة. انظر: طبقات الحنابلة (٣/ ١٤٢ ترجمة ٦٠٥)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٦ ترجمة ١٠٨).

(٧٧٢) عباس بن محمد بن حاتم ابن واقد، الدوري ثم البغدادي، مولى بني هاشم، أبو الفضل الدوري. الإمام الحافظ الثقة الناقد. أحد الأثبات المصنّفين. ولد سنة خمس وثمانين ومئة، ومات سنة إحدى وسبعين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٦ ترجمة ٣٣٣)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٢٢ ترجمة ١٩٩).

(٧٧٣) أحمد بن عبد الله بن يونس، أبو عبد الله التميمي اليربوعي الكوفي، ينسب إلى جده تخفيفا. كان ثقة متقنا. مات في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٥٧ ترجمة ١٥١).

(٧٧٤) عثمان بن عاصم بن حصين، ويقال: عثمان بن عاصم بن زيد بن كثير بن زيد بن مرة، أبو حصين الأسدي الكوفي. الإمام الحافظ. قال أبو حاتم: يقال: هو من ولد عبيد بن الأبرص الشاعر. مات سنة سبع وعشرين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٩/ ٤٠١ ترجمة ٣٨٢٨)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤١٢ ترجمة ١٨٢).

(٧٧٥) أخرجه البيهقي في المدخل (٦٥٧)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/ ٤١٠ ترجمة ٤٦٠٧) من طريق ابن شهاب به.

وهذا أيضًا أمر مشاهد كما قال أيوب السختياني: أعلم الناس بالقضاء، وأعلم الناس بالفتوى أشدهم فرارًا منها؛ لأنه متوكل على الله ويخاف، ولا يثق بنفسه، فهذا في الغالب يوفق؛ لأنه مستعين بالله، ولم يركن لنفسه، وأعمى الناس عن القضاء والفتوى أكثرهم تلهفًا عليها، وحبًّا لها وبحثًا عنها، فهذا يوكل إلى نفسه؛ لأنه كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث عبد الرحمن بن سمرة: «إِنَّكَ إِذَا تَلَهَّفْتَ لِهَذِهِ الأُمُورِ، فَإِنَّكَ تُوكَلُ إِلَى نَفْسِكَ»[٧٨٠]، ومَن وُكِل إلى نفسه وُكِلَ إلى ضَيْعَة، فالذي يخاف ويتقي هذا هو أحرى الناس أن يوفق في فتواه.

ولكن كما قال أيوب: تفكرت فإذا أعلم الناس بالقضاء وأعلمهم بالفتوى أكثرهم فرارًا، وإذا أعماهم عنها أحرصهم عليها، وربما قال: لمن نترك مجال الفتوى؟! فهو يريد أن يذبح نفسه حتى لا يترك المجال لأحد.

ولكن المسلمين سيكون فيهم مَن يقوم بحجة الله، وسيبحثون عن علمائهم، وأنت لا تجعل نفسك الضحية، ولا تستعجل في أمر لك فيه أناة، فبعض الناس يظن إنه إذا لم يتكلم هلك المسلمون، وأن نجاتهم متوقفة عليه وعلى كلامه! هذا في الحقيقة يداري حرصه على الدنيا وعلى الظهور وعلى الشهرة بمثل هذا الكلام.

---

(٧٧٦) عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد البغدادي الدقاق أبو عمرو ابن السماك. الشيخ الإمام المحدث المكثر الصادق، مسند العراق. توفي سنة أربع وأربعين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٤٤ ترجمة ٢٥٥).

(٧٧٧) عفان بن مسلم بن عبد الله مولى عزرة بن ثابت الأنصاري، الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو عثمان البصري الصفار، بقية الأعلام. ولد سنة أربع وثلاثين ومئة، وتوفي سنة عشرين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ١٦٠ ترجمة ٣٩٦٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤٢ ترجمة ٦٥).

(٧٧٨) حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البصري، الأزرق الضرير، أحد الأعلام، أصله من سجستان، سُبي جده درهم منها. مولده في سنة ثمان وتسعين، ومات في سنة تسع وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٩ ترجمة ١٤٨١)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٦ ترجمة ١٦٩).

(٧٧٩) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨/ ٣٠٢ترجمة ٣٣٠٢) من طريق عثمان بن أحمد به.

أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ١٨٣) من طريق حماد بن زيد به.

(٧٨٠) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو (٦٦٢٢)، مسلم: كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها (١٦٥٢) بمعناه.

(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ[٧٨١]، بِمَكَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ[٧٨٢]، قَالَ: حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ خَالِدٍ[٧٨٣]، قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ[٧٨٤]، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ[٧٨٥]، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ خَلْدَةَ[٧٨٦]: يَا رَبِيعَةُ؛ إِنِّي أَرَى النَّاسَ قَدْ أَحَاطُوا بِكَ، فَإِذَا سَأَلَكَ الرَّجُلُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلاَ تَكُنْ هِمَّتُكَ أَنْ تُخَلِّصَهُ، وَلَكِنْ لِتَكُنْ هِمَّتُكَ أَنْ تُخَلِّصَ نَفْسَكَ) [٧٨٧].

محمد بن الحسين هو الآجري، وكانوا -رحمهم الله- يتواصون، فهذا ابن خلدة من عباد المدينة وزهادها ووعاظها، ومشهور بالديانة، ينصح أخاه ربيعة بن أبي عبد الرحمن، ويسمونه ربيعة الرأي، وهو شيخ الإمام مالك، وهو من أهل الأثر، لكنه تكلم في بعض المسائل برأيه، فسماه أهل المدينة: ربيعة الرأي، والإمام مالك يعظمه ويمدحه.

فيقول له: يا ربيعة إني أرى الناس قد أحاطوا بك، فسأنصحك نصيحة: إذا سألك السائل، فلا يكن همك أن تخلص السائل، وليكن همك أن تخلص نفسك؛ لأن الله سيسألك مرة أخرى: هل هذا شرعي؟ هل هذا ديني؟ من أين أتيت بهذا؟ أين الدليل؟ فخلص نفسك.

---

(٧٨١) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر البغدادي الآجري. الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب التصانيف الحسان؛ منها: "الشريعة"، و"الأربعين". توفي سنة ستين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣ ترجمة ٩٢).

(٧٨٢) جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض، أبو بكر الفريابي القاضي. الإمام الحافظ الثبت، شيخ الوقت. ولد سنة سبع ومئتين، في المحرم، ومات سنة إحدى وثلاث مئة، وهو ابن أربع وتسعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٩٦ ترجمة ٥٤).

(٧٨٣) محمود بن خالد بن أبي خالد، واسمه يزيد السلمي، أبو علي الدمشقي. ولد في شهر رمضان سنة ست وسبعين ومئة، ومات في شوال سنة تسع وأربعين ومئتين، وهو ابن ثلاث وسبعين. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٩٥ ترجمة ٥٨١٣).

(٧٨٤) مروان بن محمد بن حسان الأسدي، الطاطري، أبو بكر، ويقال: أبو حفص، ويقال: أبو عبد الرحمن الدمشقي. قال البخاري مات سنة عشر ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٣٩٨ ترجمة ٥٨٧٦).

(٧٨٥) ربيعة بن أبي عبد الرحمن، واسمه فروخ القرشي، التيمي. أبو عثمان، ويقال: أبو عبد الرحمن المدني، المعروف بربيعة الرأي، مولى آل المنكدر. مفتي المدينة، وعالم الوقت. كان ثقة كثير الحديث. توفي سنة ست وثلاثين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٩/ ١٢٣ ترجمة ١٨٨١)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٨٩ ترجمة ٢٣).

(٧٨٦) عمر بن خلدة، ويقال: عمر بن عبد الرحمن بن خلدة، الزرقي، الأنصاري، أبو حفص المدني القاضي. كان ثقة قليل الحديث، وكان رجلا مهيبا صارما ورعا عفيفا. انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٣٢٨ ترجمة ٤٢٢٧).

(٧٨٧) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٩١) من طريق محمود بن خالد به.

أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٦١) من طريق مروان بن محمد به.

(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْكَاذِيُّ(٧٨٨)، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ ابْنُ الإِمَامِ أَحْمَدَ(٧٨٩)، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ(٧٩٠)، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ(٧٩١) عَنْ زُبَيْدٍ(٧٩٢) قَالَ: سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: مَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ بَلَدِكَ مَنْ تَسْأَلُهُ غَيْرِي؟) (٧٩٣).

فهم يعتبرون الفتوى بلوى، فهذا إبراهيم النخعي، لما سأله رجل عن مسألة، قال: أما وجدت إلا أنا تسألني؟! ابحث عن غيري، لعل الله يكفيني إياها، فكان يرى أنه يتحمل أمرًا شديدًا، أما إذا وجبت الفتوى عليه فإنه يتحمل، ويستعين بالله -عز وجل.

(حَدَّثَنَا الْكَاذِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ(٧٩٤)، قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ ابْنِ أَبْجَرَةَ(٧٩٥)، عَنْ زُبَيْدٍ قَالَ: مَا سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ، إِلاَّ عَرَفْتُ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ) (٧٩٦).

---

(٧٨٨) إسحاق بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو الحسين الكاذي. قال الخطيب: كان ثقة زاهدا. توفي سنة ست وأربعين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٤٤٢ ترجمة ٣٤٠٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٨٣٢ ترجمة ٢١٠).

(٧٨٩) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الذهلي الشيباني المروزي، ثم البغدادي. ولد سنة ثلاث عشرة ومئتين، فكان أصغر من أخيه صالح بن أحمد قاضي الأصبهانيين، ومات سنة تسعين ومئتين. له كتاب "الرد على الجهمية"، و"السنة". انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨٥ ترجمة ٣١٥٧)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١٦ ترجمة ٢٥٧).

(٧٩٠) وكيع بن الجراح، بن مليح، بن عدي، بن فرس، بن جمجمة، بن سفيان، بن الحارث، بن عمرو، بن عبيد، بن رؤاس، الإمام الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، أحد الأعلام. قال أحمد بن حنبل: ما رأيت أحدا أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع. له من المؤلفات: "أخبار القضاة". ولد سنة تسع وعشرين ومئة، ومات سنة سبع وتسعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٦٢ ترجمة ٦٦٩٥)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٠ ترجمة ٤٨).

(٧٩١) مالك بن مغول بن عاصم بن غزية بن خرشة، الإمام، الثقة، المحدث، أبو عبد الله البجلي، الكوفي. كان من سادة العلماء. قال أحمد: ثقة، ثبت في الحديث. توفي سنة تسع وخمسين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ١٥٨ ترجمة ٥٧٥٣)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٧٤ ترجمة ٥٦).

(٧٩٢) زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن عمرو بن كعب اليامي. أبو عبد الرحمن ويقال أبو عبد الله الكوفي. قال ابن شبرمة: كان زبيد يجزئ الليل ثلاثة أجزاء: جزءا عليه، وجزءا على ابنه، وجزءا على ابنه الآخر عبدالرحمن. قال أبو حاتم وغيره: ثقة. مات سنة اثنتين وعشرين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٢٨٩ ترجمة ١٩٥٧)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٩٦ ترجمة ١٤١).

(٧٩٣) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (١/ ٢٦٦) عن إبراهيم التميمي بنحوه.

الكراهية من الخوف، فكلما يسأله أحد أو يستفتيه، يرى في وجهه الكراهية قبل الفتوى، فكان يخاف على نفسه ويتورع، ويخاف أن يدخل عليه أمر من الدنيا، وكانوا إذا اجتمعوا عليه وكثروا عليه قام -رحمهم الله؛ ولهذا رفعهم الله، فنحن الآن بعد قرون وقرون نذكرهم ونثني عليهم، ونمدحهم، ونتولاهم، وندعو لهم.

قال الإمام أحمد: بهذا وأمثاله رفعهم الله، أي بالورع والتقوى والديانة، وأما غيرهم فيتبخرون، كم جاء معهم وقبلهم وبعدهم من أمم وأُناس تولوا الفتوى والقضاء، ثم ماتوا، ولم يذكر لهم أثر، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[٧٩٧]، فالذي لا يلتزم النص، ولا يخاف ولا يتورع يكون أبتر، أي: يبتر كلامه وكتبه، وفتاواه تتبخر في الهواء، أما أهل السنة والحديث، وأهل الديانة، فيقول الله فيهم وفي إمامهم -عليه الصلاة والسلام: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[٧٩٨]، فرفع الله ذكر إمامهم -عليه الصلاة والسلام- وذكر أتباعه، فالله -عز وجل- هو الذي رفع الذكر، وهو الذي بتر الآخر، وهذا الأمر سنة ماضية، فالذي يتبع السنة يرفع الله له ذكره، والذي يخالف السنة يُبتر.

ولذلك لما قال الله -عز وجل: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[٧٩٩]، قال المفسرون: هذا فيه شرف لأصحاب الحديث؛ لأن إمامهم النبي -عليه الصلاة والسلام- فيدعون بإمامهم.

(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ[٨٠٠]، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ[٨٠١]، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو ثَابِتٍ[٨٠٢]، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ[٨٠٣]، قَالَ: قَالَ مَالِكٌ: قَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ[٨٠٤]: لأَنْ يَعِيشَ الرَّجُلُ جَاهِلاً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ عَلَى

---

(٧٩٤) عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر الحميري مولاهم، الصنعاني، الثقة، الحافظ الكبير، عالم اليمن. ارتحل إلى الحجاز، والشام، والعراق، وسافر في تجارة. حدث عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، ووثقاه. ولد سنة ست وعشرين ومئة، وتوفي سنة إحدى وعشرة ومئتين. ومن أشهر مصنفاته "المصنف". انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٥٢ ترجمة ٣٤١٥)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٣ ترجمة ٢٢٠).

(٧٩٥) عبد الملك بن سعيد بن حيان بن أبجر الهَمْداني، ويقال: الكناني، الكوفي. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن بن أبجر، فقال: بخ! ثقة. انظر: تهذيب الكمال (١٨/ ٣١٣ ترجمة ٣٥٢٩).

(٧٩٦) أخرجه الدارمي (١٣١)، أبو خيثمة في العلم (٧٨)، من طريق سفيان به.

(٧٩٧) الكوثر: ٣.

(٧٩٨) الشرح: ٤.

(٧٩٩) الإسراء: ٧١.

(٨٠٠) محمد بن أيوب بن المعافى، أبو بكر العكبري. قال الخطيب: كان ثقة صادقا صالحا زاهدا. مات سنة تسع وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٤٣٢ ترجمة ٤١٧)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٥٧٩ ترجمة ٤٥٧).

اللهُ مَا لاَ يَعْلَمُ، فَقَالَ مَالِكٌ: هَذَا كَلاَمٌ شَدِيدٌ، ثُمَّ ذَكَرَ فِي ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَمَا خَصَّهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِهِ مِنَ الْفَضْلِ، وَمَا آتَاهُ مِنَ الْعِلْمِ، فَقَالَ: يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ: لاَ أَدْرِي) [٨٠٥].

الصديق يقول: لا أدري، لا أدري! مع ما خصه الله من الفضل والعلم، فمالك يقول: هذا كلام شديد؛ فكون الرجل يكون جاهلاً، أفضل له وأسهل عليه في الحساب من أن يكلم في الدين برأيه، أو بما لا يعلم، أو بما لم يتأكد منه، حتى لا يحمل نفسه الأوزار، فمالك أيضًا من المتورعين، قال: هذا كلام شديد؛ ولذلك فمالك من أكثر الأئمة الذين يقولون: لا أدري، لا أدري!

وإذا قال مثل مالك: لا أدري، ذلك لأنه يكون عنده في المسألة تسعة وتسعون، لكن يشك في واحد في المائة، فيتورع ويقول: لا أدري، وقد يترك أحيانًا الاجتهاد فيها برأيه، فيقول: لا أدري.

قال له رجل يومًا: أتيتك من الأندلس، وتقول لا أدري؟! فماذا أرجع وأقول الناس؟! قال: ارجع وقل لهم: مالك جاهل لا أدري! فلم تكن الدنيا همه، لكن الذي همه الدنيا سيأتينا الآن أن أصعب شيء أن يقال للناس: إن فلانًا لا يدري، لكن كونه يتكلم في دين الله بغير الدليل، هذا هين عنده، فهذا هو الفرق بين أهل الدنيا وأهل الآخرة.

---

(٨٠١) الإمام العلامة، الحافظ، شيخ الإسلام أبو إسحاق، إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن محدث البصرة حماد بن زيد بن درهم الأزدي، مولاهم البصري، المالكي، قاضي بغداد، وصاحب التصانيف. ولد سنة تسع وتسعين ومئة، وتوفي فجأة في شهر ذي الحجة، سنة اثنتين وثمانين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٩ ترجمة ١٥٧)، والديباج المُذْهَب (١/ ٢٨٢) تحقيق: د/ محمد أبو النور.

(٨٠٢) محمد بن عبيد الله بن محمد بن زيد بن أبي زيد، القرشي، الأموي، أبو ثابت المدني، مولى عثمان بن عفان. انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٤٦ ترجمة ٥٤٣٦).

(٨٠٣) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري، أبو محمد المصري الفقيه، مولى يزيد بن زمانة مولى يزيد بن أنيس أبي عبد الرحمن الفهري. ولد سنة خمس وعشرين ومئة، وتوفي سنة سبع وتسعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٢٧٧ ترجمة ٣٦٤٥).

(٨٠٤) القاسم بن محمد بن خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة، الإمام القدوة الحافظ الحجة، عالم وقته بالمدينة مع سالم وعكرمة، أبو محمد وأبو عبدالرحمن القرشي التيمي البكري المدني. قال ابن سعد: أمه أم ولد يقال لها: سودة، وكان ثقة، عالما، رفيعا، فقيها، إماما، ورعا، كثير الحديث. مات سنة ثمان ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٢٧ ترجمة ٤٨١٩)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٥٣ ترجمة ١٨).

(٨٠٥) أخرجه البيهقي في المدخل (٦٦٢)، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٨٣٣) من طريق ابن وهب به.

(حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُطَبِيُّ[٨٠٦]، قَالَ: حَدَّثَنَا الْكُدَيْمِيُّ[٨٠٧]، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ[٨٠٨]، قَالَ: كَانَ الشَّعْبِيُّ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ الْمُلْتَبِسُ مِنَ الْمَسَائِلِ الصِّعَابِ، قَالَ: زُبَّاءُ ذَاتُ وَبَرٍ، لاَ تَنْقَادُ وَلاَ تَنْسَاقُ، لَوْ سُئِلَ عَنْهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأَعْضَلَتْ بِهِمْ)[٨٠٩].

هذا مَثَلٌ عند العرب، ويطلق للداهية الصعب، يقولون: ذباء ذات وبر، لا تنقاد ولا تنساق، ثم يقول الشعبي: لو سئل عنها أصحاب محمد لأعضلت بهم، أي: هذه من المسائل الصعاب، أو المسائل المشتبهة، فلا يتكلمون فيها.

(قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُدَيْمِيُّ: أَنْبَأَنِيهِ عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: وَحَدَّثَنِيهِ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ[٨١٠]، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ ابْنِ شُبْرُمَةَ عَنِ الشَّعْبِيِّ، وَحَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ[٨١١]، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ[٨١٢]، قَالَ: حَدَّثَنَا

---

(٨٠٦) إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن يحيى، أبو محمد الخطبي، البغدادي، الإمام، العلامة، الخطيب، الأديب، المحدث، الأخباري، المؤرخ. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٣٠٤ ترجمة ٣٣٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٢٢ ترجمة ٣٠٠).

(٨٠٧) محمد بن يونس بن موسى بن سليمان بن عبيد بن ربيعة بن كديم، القرشي، السلمي، الكديمي، أبو العباس البصري. ولد سنة ثلاث وثمانين ومئة، ومات في جمادي الآخرة سنة ست وثمانين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٧/ ٦٦ ترجمة ٥٧٢١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٠٢ ترجمة ١٣٩).

(٨٠٨) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. مولده بالكوفة، في سنة سبع ومئة، وتوفي سنة ثمان وتسعين ومئة بالْحَجُونِ -جبل بأعلى مكة-. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٧٧ ترجمة ٢٤١٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤ ترجمة ١٢٠).

(٨٠٩) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣١٩) من طريق أحمد بن حنبل به.

أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣١٤)، البيهقي في المدخل (٦٥٦)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥/ ٣٦٨ترجمة ٣٠٤٧) من طرق عن سفيان بنحوه.

(٨١٠) علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي، أبو الحسن ابن المديني البصري، مولى عروة بن عطية السعدي. الإمام المبرز في هذا الشأن، صاحب التصانيف الواسعة والمعرفة الباهرة. مات سنة أربع وثلاثين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٥ –رقم ٤٠٩٦)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٤١ ترجمة ٢٢).

(٨١١) محمد بن أحمد بن ثابت بن بيان، أبو صالح العكبري. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١١٠ ترجمة ٨٠).

(٨١٢) سلام بن سليم الحنفي مولاهم أبو الأحوص الكوفي. الإمام الثقة الحافظ. قال أبو زرعة والنسائي: ثقة. مات سنة تسع وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٢٨٢ ترجمة ٢٦٥٥)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٢٨١ ترجمة ٧٤).

الْحُمَيْدِيُّ[٨١٣]، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ ابْنِ شُبْرُمَةَ، قَالَ: كَانَ الشَّعْبِيُّ إِذَا سُئِلَ عَنْ مُعْضِلَةٍ قَالَ: زَبَّاءُ ذَاتُ وَبَرٍ، أَعْيَتِ السَّائِقَ وَالْقَائِدَ، لَوْ أُلْقِيَتْ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأَعْضَلَتْ بِهِمْ[٨١٤].

قال أبو عبد الله: هَذَا -رَحِمَكَ اللهُ- قَوْلُ الشَّعْبِيِّ، وَهُوَ أَحَدُ عُلَمَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا، مِنْ تَابِعِي الصَّحَابَةِ، يُشَبِّهُ صِعَابَ الْمَسَائِلِ بِفَصِيلِ النَّاقَةِ الَّذِي لَمْ يُرَضْ، وَلَمْ يُرْكَبْ، فَهُوَ بِوَبَرِهِ وَبِزَغَبِهِ لاَ يَتْبَعُ قَائِدَهُ وَيَحْرَنُ عَلَى سَائِقِهِ، وَقَوْلُهُ: (لأَعْضَلَتْ بِهِمْ)، شَبَّهَهَا بِالدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي لاَ يُوجَدُ لَهُ دَوَاءٌ، وَلاَ يُرْجَى مِنْهُ شِفَاءٌ.

حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَزَّارُ[٨١٥]، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الأَعْمَشِ[٨١٦]، عَنْ أَبِي وَائِلٍ[٨١٧]، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: مَنْ أَفْتَى النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْتَفْتُونَهُ فَهُوَ مَجْنُونٌ).

القائل هو عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، وكلهم أئمة، عن عبد الله بن مسعود، وهذا السند كالشمس فكلهم أئمة، قال: مَن أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون، ذكرنا السبب، والآن سيشرح الشيخ.

(٨١٣) عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله بن أسامة بن عبد الله بن حميد ابن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى. مات مات بمكة سنة تسع عشرة ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٥١٢ ترجمة ٣٢٧٠)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١٦ ترجمة ٢١٢).

(٨١٤) المصدر السابق.

(٨١٥) محمد بن أحمد بن الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله أبو علي المعروف بابن الصواف. قال الخطيب البغدادي: كان ثقة مأمونا من أهل التحرز، ما رأيت مثله في التحرز. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١١٥ ترجمة ٩٠).

(٨١٦) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم، أبو محمد الكوفي الأعمش. الإمام شيخ المقرئين والمحدثين. قال يوما: لولا القرآن، وهذا العلم عندي؛ لكنت من بقالي الكوفة. قال الذهبي: له قراءة شاذة ليس طريقها بالمشهور. توفي سنة سبع وأربعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٧٦ ترجمة ٢٥٧٠)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٦ ترجمة ١١٠).

(٨١٧) شقيق بن سلمة الإمام الكبير شيخ الكوفة، أبو وائل الأسدي أسد خزيمة الكوفي، مخضرم، أدرك النبي -صلى الله عليه وسلم- وما رآه، وكان من أئمة الدين. مات سنة اثنتين وثمانين. انظر: تهذيب الكمال (١٢/ ٥٤٨ ترجمة ٢٧٦٧)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٦١ ترجمة ٥٩).

(حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ[٨١٨]، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ أَبُو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ[٨١٩]، قَالَ: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: وَاللهِ إِنَّ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْأَلُونَهُ لَمَجْنُونٌ[٨٢٠].

قَالَ الأَعْمَشُ: قَالَ لِيَ الْحَكَمُ: لَوْ سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا كُنْتُ أُفْتِي فِي كَثِيرٍ مِمَّا أَفْتِيهِ.

الحكم بن عتيبة مفتي أهل الكوفة، يقول للأعمش، يقول: لو سمعت هذا الحديث منك عن عبد الله بن مسعود قبل اليوم، لتوقفت عن كثير من الفتاوى؛ لأن ابن مسعود يحلف أن الذي يفتي الناس في كل شيء إنه مجنون؛ لأنه قطعًا ليس عنده علم في كل شيء.

ولما قيل لبعض الناس: عند مَن كل العلم؟ قال: عند كل الناس، فالعلم مبثوث، فلا يوجد واحد عنده العلم كله، فالذي يفتي في كل شيء، فهذا مجنون؛ لأنه خاطر بنفسه.

(حَدَّثَنَا أَبُو شَيْبَةَ[٨٢١]، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَّانِيُّ[٨٢٢]، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ[٨٢٣]، عَنْ ضِرَارِ بْنِ مُرَّةَ[٨٢٤]، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ[٨٢٥]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: مَنْ أَفْتَى فَتْوَى يَعْمَى فِيهَا، فَإِثْمُهَا عَلَيْهِ)[٨٢٦].

---

(٨١٨) زهير بن حرب بن شداد الحرشي النسائي، ثم البغدادي الحافظ الحجة، أحد أعلام الحديث، مولى بني الحريش بن كعب بن عامر بن صعصعة، وكان اسم جده أشتال، فعرب، وقيل: شداد. نزل بغداد بعد أن أكثر التطواف في العلم، وجمع وصنف، وبرع في هذا الشأن، هو وابنه وحفيده محمد بن أحمد. وقل أن اتفق هذا لثلاثة على نسق. ولد أبو خيثمة سنة ستين ومئة، وتوفي سنة أربع وثلاثين ومئتين، وهو ابن أربع وسبعين سنة. انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٤٠٢ ترجمة ٢٠١٠)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٩ ترجمة ١٣٠).

(٨١٩) أبو معاوية محمد بن خازم مولى بني سعد، بن زيد مناة، بن تميم، الإمام الحافظ الحجة، أبو معاوية السعدي الكوفي الضرير، أحد الأعلام. عمي وهو ابن أربعة سنين. ولد سنة ثلاث عشرة ومئة، وتوفي سنة خمس وتسعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ١٢٣ ترجمة ٥١٧٣)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٧٣ ترجمة ٢٠).

(٨٢٠) أخرجه البغوي في الجعديات (٣٢٠) من طريقه عن أبي خيثمة به. أخرجه أبو خيثمة من طريقه في العلم (١٠) من طريقه به.

(٨٢١) عبد العزيز بن جعفر بن بكر بن إبراهيم أبو شيبة. يعرف بابن الخوارزمي، وهو أخو أبي الحسين محمد بن جعفر. توفي في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٣ ترجمة ٥٥٦٩).

(٨٢٢) محمد بن إسماعيل بن البختري الحساني، أبو عبد الله الواسطي الضرير. سكن بغداد، وكان خيرا مرضيا صدوقا. مات سنة ثمان وخمسين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٧١ ترجمة ٥٠٦١).

فلا يقول: أنا اجتهدت ولي أجر، وإذا أصبت لي أجران، هذا فيمن اجتهد في المسائل الاجتهادية التي ليس فيها نص، وليس فيها إثر ولا إجماع، وهو من أهل الاجتهاد، واتقى الله، وبذل كل الأسباب، فهذا يبرأ.

وإذا أفتى فتوى يعمى فيها وليس عنده فيها دليل، بل يخبط خبط عشواء، ثم يقول: أنا مجتهد، نقول: إثمها عليه، ولا يسلم منها؛ لأنه تكلم في دين الله بغير الحق.

وكذلك السائل، إذا كان السائل يختار من المفتين مَن يوافق هواه، ثم يقول: اجعل بينك وبين النار شيخًا أو عالمًا، فهذا لا يسلم إطلاقًا، بل عليه أن يختار أورعهم وأتقاهم وأدينهم ليسأله، عند ذلك يبرأ؛ ولذلك يقول الشاطبي[٨٢٧]: كل أمة محمد مجتهدون، فمَن كانت عنده آلة الاجتهاد فإنه ينظر في الأدلة، ومَن كان من عوام المسلمين فإنه ينظر في المفتين ويختار منهم.

فالعوام اجتهادهم في اختيار المفتين، وطلبة العلم والعلماء اجتهادهم في النظر في الأدلة، فكما أن الذي يختار الدليل الأضعف ويترك الدليل الأقوى لا تبرأ ذمته ويأثم، فكذلك الذي يختار المفتي الأضعف في دينه، أو في ورعه، أو في تقواه، أو في علمه، يترك الأقوى، ويسأل الأضعف، هذا مثل هذا تمامًا.

لكن إذا سأل كل مَن هب ويدب، ويقول: أنا سألت الشيخ فلان، فهذا لا تبرأ ذمته، خاصة في المسائل المشتبهة، حتى يقول إذا سأله رب العالمين: لماذا فعلت في هذه المسألة؟ يقول: يا رب أنا سألت وأنت تعرف نيتي،

---

(٨٢٣) الحسن بن صالح بن صالح بن حي، واسم حي حيان بن شفي بن هني بن رافع. الإمام الكبير، أحد الأعلام، أبو عبد الله الهمداني الثوري الكوفي، الفقيه العابد، أخو الإمام علي بن صالح. ثقة متقن، لولا تلبسه بالبدعة. ولد سنة مئة، ومات سنة تسع وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٦/ ١٧٧ ترجمة ١٢٣٨)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٦١ ترجمة ١٣٤).

(٨٢٤) ضرار بن مرة الكوفي، أبو سنان الشيباني الأكبر. قال أبو حاتم: ثقة لا بأس به. مات سنة اثنتين وثلاثين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٣/ ٣٠٦ ترجمة ٢٩٣٣).

(٨٢٥) سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام. روى عن ابن عباس فأكثر وجود. وكان من كبار العلماء. قرأ القرآن على ابن عباس. قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وطائفة. مات سنة خمس وتسعين. انظر: تهذيب الكمال (١٠/ ٣٥٨ ترجمة ٢٢٤٥)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١ ترجمة ١١٦).

(٨٢٦) أخرجه الدرامي (١٦٠)، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٨٥٩) من طريق سعيد بن جبير به.

(٨٢٧) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي. الإمام الأصولي، اللغوي، النحوي البارع. ألف "الاعتصام"، و"الموافقات"، و"المقاصد الشافية". توفي سنة تسعين وسبع مئة. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٧٥).

سألت أورع أهل زماني وأتقاهم وأعلمهم، وهذا قدر استطاعتي، عند ذلك يتحقق فيه قول الله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٨٢٨].

(قَالَ أَبُو عَبْدِ الله -رَحِمَهُ اللهُ: فَهَذَا عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَحْلِفُ بِالله أَنَّ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْأَلُونَهُ مَجْنُونٌ، وَلَوْ حَلَفَ حَالِفٌ لَبَرَّ، أَوْ قَالَ لَصَدَقَ، إِنَّ أَكْثَرَ الْمُفْتِينَ فِي زَمَانِنَا هَذَا مَجَانِينُ؛ لأَنَّكَ لاَ تَكَادُ تَلْقَى مَسْؤُولاً عَنْ مَسْأَلَةٍ مُتَلَعْثِمًا فِي جَوَابِهَا، وَلاَ مُتَوَقِفًا عَنْهَا، وَلاَ خَائِفًا للهِ، وَلاَ مُرَاقِبًا لَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ؟ قُلْتَ: بَلْ يَخَافُ وَيَجْزَعُ أَنْ يُقَالَ: سُئِلَ فُلاَنٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِيهَا جَوَابٌ، يُرِيدُ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّ عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَفِي كُلِّ مُنْغَلِقٍ مُتَفَجَّرًا، يُفْتِي فِيمَا عَيِيَ عَنْهُ أَهْلُ الْفَتْوَى، وَيُعَالِجُ مَا عَجَزَ عَنْ عِلاَجِهِ الأَطِبَّاءُ، يَخْبِطُ الْعَشْوَةَ، وَيَرْكَبُ السَّهْوَةَ، لاَ يُفَكِّرُ فِي عَاقِبَةٍ، وَلاَ يَعْرِفُ الْعَافِيَةَ إِذَا أَكْثَرَ عَلَيْهِ السَّائِلُونَ وَحَاقَتْ بِهِ الْغَاشِيَةُ، وَلَوْ كَانَ لِكُلِّ حَالِفٍ مَخْرَجٌ عَنْ يَمِينِهِ، وَلِكُلِّ عَلِيلٍ دَوَاءٌ مِنْ سَقَمِهِ لَمَا حَنَثَ الْحَالِفُ، وَلاَ وَجَبَتْ عَلَى أَحَدٍ كَفَّارَةٌ، وَلاَ طَلُقَتِ امْرَأَةٌ مِنْ زَوْجِهَا، وَلاَ مَاتَ عَلِيلٌ إِذَا هُوَ يُعَالِجُ، وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَقُولُ: الْحَلِفُ حِنْثٌ أَوْ مَنْدَمَةٌ[٨٢٩]، كُلُّ حَالِفٍ حَانِثٌ أَوْ نَادِمٌ، لَوْ عَاشَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حَتَّى يُعَايِنَ الْمُفْتِينَ فِي هَذَا الزَّمَانِ؛ لَرَأَى الأَمْرَ عِنْدَهُمْ بِخِلاَفِ ذَلِكَ، وَلَمَا رَأَى مَعَهُمْ حَانِثًا وَلاَ نَادِمًا).

هذا كلام صحيح، لو كانت الحيل تجوز، لما كانت هناك كفارات في اليمين، فكلما تحلف يمينًا سيجدون لك مخرجًا، فلو حلفت بالطلاق أو طلقت فسيجدون لك مخرجًا، فالدين كله يذهب، وعمر يقول: لا أحد يحلف إلا سيحنث أو يندم، وعند هؤلاء المفتين سيجدون له مخرجًا!

فيقول: إن هؤلاء -نسأل الله العافية والسلامة- لا يريدون أن يقال عنهم: إنهم لا يدرون، بل يريدون أن يقال: إن عندهم من كل ضيق مخرجًا، فهو لا يعرف العافية.. إلى آخر ما قال.

هذا في زمانه، في القرن الرابع، والأمر يزداد سوءًا منذ ذلك الزمان إلى زماننا، فما يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، قال ابن مسعود: لا أقول عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، ولكن علماؤكم يذهبون -أهل

---

(٨٢٨) التغابن: ١٦.

(٨٢٩) أخرجه البيهقي (١٩٦٢٥) عن عمر بن الخطاب بنحوه موقوفا.

ضعيف: أخرجه ابن ماجه: كتاب الكفارات، باب اليمين حنث أو ندم (٢١٠٣)، من حديث ابن عمر مرفوعا بنحوه، قال الألباني في ضعيف ابن ماجة: ضعيف.

الأثر- ثم يخلف بعدهم قوم يقيسون الأمور بآرائهم، فيهدم الإسلام ويثلم[٨٣٠]، هذا معنى: ما يأتي زمان إلا بعده شر منه[٨٣١].

وقال النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث عبد الله بن عمرو في الصحيح، في مسلم وغيره: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنْزِعُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ»[٨٣٢]، الذين هم أهل الآثار وأهل حديث، والذين دينهم وثيق، ويمشون على نور الله، ثم يأتي بعدهم رؤوس جهال يتخذهم الناس، فيُسألون فيفتون بغير علم، فيضلون ويضلون، هكذا يذهب العلم.

(حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ السُّكَّرِيُّ[٨٣٣]، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى السَّاجِيُّ[٨٣٤]، قَالَ: حَدَّثَنَا الأَصْمَعِيُّ[٨٣٥]، قَالَ: حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ[٨٣٦] عَنْ أَبِيهِ[٨٣٧] قَالَ: قَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الْيَمِينُ حِنْثٌ أَوْ مَنْدَمَةٌ.

---

(٨٣٠) أخرجه الدارمي: في المقدمة، باب تغير الزمان وما يحدث فيه (١٨٨).

(٨٣١) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه (٧٠٦٨).

(٨٣٢) متفق عليه: البخاري: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم (١٠٠)، مسلم: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل (٢٦٣٧).

(٨٣٣) عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى، أبو محمد السكري. قال الخطيب: كان ثقة. توفي سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٧٠ ترجمة ٥٤٥٢).

(٨٣٤) زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن بحر بن عدي عبد الرحمن بن أبيض بن الديلم بن باسل بن ضبة، أبو يحيى السجي الضبي البصري الشافعي. الإمام الثبت الحافظ، محدث البصرة وشيخها ومفتيها. توفى سنة سبع وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٩٧ ترجمة ١١٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢٩٩ ترجمة ١٨٧).

(٨٣٥) الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن عبد شمس بن أعيا، بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان من مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الأصمعي البصري، اللغوي الأخباري، أحد الأعلام. يقال: اسم أبيه عاصم، ولقبه قريب. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧٥ ترجمة ٣٢)، بغية الوعاة (٢/ ١١٢ ترجمة ١٥٧٣).

(٨٣٦) عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري أبو القاسم المدني. قال أبو حاتم: متروك الحديث. توفي سنة ست وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٢٣٤ ترجمة ٣٨٧٥).

(٨٣٧) عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو عبد الرحمن العمري المدني. قال النسائي: ضعيف الحديث. توفي سنة إحدى أو اثنتين وسبعين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ٣٢٧ ترجمة ٣٤٤٠).

وَلَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ تَوْحِيدِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ، وَتَكْذِيبِ مَنْ حَاوَلَ أَنْ يَحْتَالَ لِسُقُوطِ الْحِنْثِ وَالْمَخْرَجِ مِنْ ضِيقِ الأَيْمَانِ وَحَرَجِهَا.

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَتْحِ، الْمَعْرُوفُ بِالرُّومِيِّ(٨٣٨) بِالْبَصْرَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سُفْيَانَ الرَّقِّيُّ(٨٣٩) بِالرَّقَّةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو سُلَيْمَانَ الْوَزَّانُ(٨٤٠)، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُثْمَانُ بْنُ عَطَاءٍ(٨٤١)، عَنْ أَبِيهِ(٨٤٢)، عَنْ الدَّرْدَاءَ(٨٤٣) -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لاَ أَقُولُ: وَاللهِ لاَ أَزْنِي وَلاَ أَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَلاَ أَسْرِقُ أَبَدًا، قِيلَ: وَلِمَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّ الْبَلاَءَ مُوَكَّلٌ بِالْقَوْلِ، مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ لِشَيْءٍ: وَاللهِ لاَ أَفْعَلُهُ، إِلاَّ تَرَكَ الشَّيْطَانُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ، وَوَلَعَ بِذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يُؤَثِّمَهُ»(٨٤٤)، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ -رَحِمَهُ اللهُ:

---

(٨٣٨) لم أجد له ترجمة.

(٨٣٩) لم أجد له ترجمة، ولكن حدث عنه أبو القاسم الطبراني، وأكثر عنه في "معاجمه الثلاثة"، وأبو بكر الخلال في "السنة"، وهو مجهول الحال.

(٨٤٠) أيوب بن محمد بن زياد بن فروخ الوزان، أبو محمد الرقي، مولى بن عباس. كان يزن القطن في الوادي. ذكره أبو حاتم ابن حبان في كتاب "الثقات"، وقال: مات في ذي القعدة سنة تسع وأربعين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٤٩٨ ترجمة ٦٢٣).

(٨٤١) عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخرساني أبو مسعود المقدسي، أصله من بلخ واسمُ جده أبي مسلم عبدُ الله، وقيل: ميسرة مولى آل المهلب بن أبي صفرة الأزدي. وقال حجاج بن محمد عن عثمان بن عطاء: نحن موالي هذيل. قال مسلم والدارقطني: ضعيف الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة. قدم الإسكندرية ورجع إلى فلسطين وتوفي بها سنة إحدى وخمسين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٩/ ٤٤١ ترجمة ٣٨٤٦).

(٨٤٢) عطاء بن أبي مسلم الخرساني، أبو أيوب، ويقال: أبو عثمان، ويقال: أبو محمد. ويقال: أبو صالح البلخي نزيل الشام مولى المهلب بن أبي صفرة الأزدي. قال النسائي: ليس به بأس وقال الدارقطني: ثقة في نفسه. قال ابنه عثمان بن عطاء: مات سنة خمس وثلاثين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ١٠٦ ترجمة ٣٩٤١).

(٨٤٣) عويمر بن عامر، ويقال: عويمر بن قيس بن زيد. وقيل: عويمر بن ثعلبة بن عامر بن زيد بن قيس بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، أبو الدرداء الأنصاري، مشهور بكنيته. تأخر إسلامه قليلاً، وكان آخر أهل داره إسلاما. حسن إسلامه وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً، وآخى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين سلمان الفارسي. توفي سنة اثنتين وثلاثين بدمشق في خلافة عثمان. انظر: الاستيعاب (ص: ٧٩٨ ترجمة ٢٩١٦)، والإصابة (٤/ ٧٤٧ ترجمة ٦١٢١).

(٨٤٤) موضوع: أخرجه البيهقي في الشعب (٤٩٤٩)، ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٦) من طريق عطاء بن أبي رباح به، قال الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢٣٧٨): موضوع.

وَرُبَّمَا أَفْتَى أَحَدُهُمْ بِالْفَتْوَى مَا سَبَقَهُ إِلَيْهَا أَحَدٌ، لَمْ تُوجَدْ فِي كِتَابٍ مَسْطُورٍ، وَلاَ عَنْ إِمَامٍ مَذْكُورٍ، وَلاَ يَحْتَشِمُ أَنْ يَقُولَ: هَذَا قَوْلُ فُلاَنٍ وَمَذْهَبُ فُلاَنٍ، تَخَرُّصًا وَتَأَثُّمًا).

وهذه مصيبة أخرى وموجودة الآن، كما قال السلف: الناس نزعت منهم الأمانة، فتجده يقول: هذا كلام ابن تيمية[٨٤٥]، هذا كلام أحمد، هذا كلام ابن باز، ولو تتبعته لوجدت الكلام غير صحيح!!

فالناس نزعت منهم الأمانة، فتجده يقول ذلك تخرصًا، ويثق أن الناس لن تبحث وراءه، وإلا فكثير مما ينسبونه إلى الأئمة لو تتبعته غير صحيح؛ فلذلك اطلب العلم بنفسك؛ حتى تعرف الحق بنفسك، فيقول المؤلف: ربما أفتى أحدهم بالفتوى ما سبقه إليها أحد، والسلف كانوا يخافون من أن يفتي في مسألة ليس لها فيها إمام.

والإمام أحمد قال ذلك، وشيخ الإسلام قال: أمهلت خصومي ثلاث سنين، أن يأتوني بمسألة قلتها ليس لي فيها إمام. فلا يكون هو أول مَن قال هذا الكلام، فيقول: هؤلاء يأتون بمسائل ما سبقهم إليها أحد، لا توجد في كتاب مسطور، ولا عن إمام مذكور، ثم لا يحتشم أن يقول: هذا مذهب فلان، وقال فلان! كذبًا تخرصًا وتأثمًا.

فينبغي للإنسان أن يحتاط ولا يغتر، وبعضهم ربما كذب في الأحاديث؛ فالمخرج أنك لا تسأل إلا الأورع والأتقى والأدين، ومن رحمة الله أنه لا يخلو منه زمان من هذا الصنف.

(وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ مَن يُقْدِمُ عَلَى هَذِهِ الْفَتْوَى يُؤْثِرُهَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَمَا لِمَنْ حَكَى هَذَا عَنْ أَحْمَدَ جَوَابٌ غَيْرَ أَنْ يُقَالَ لَهُ: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[٨٤٦]، فَقَدْ ذَكَرْنَا مَذْهَبَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي الْحِيَلِ، وَمَذْهَبَهُ فِيمَنْ حَلَفَ أَلاَّ يَفْعَلَ شَيْئًا فَطَلَّقَ امْرَأَتَهُ تَطْلِيقَةً، وَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا وَبَانَتْ مِنْهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ الشَّيْءَ، أَنَّهُ لاَ شَيْءَ عَلَيْهِ؛ لأَنَّهُ لاَ زَوْجَةَ لَهُ، ثُمَّ رَاجَعَهَا أَنَّ الْيَمِينَ تَرْجِعُ عَلَيْهِ، وَنَذْكُرُ فَتْوَاهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مُصَرَّحًا).

---

(٨٤٥) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيميّة الحرّاني، ثم الدمشقي، الحنبلي، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. برع في العلوم الإسلامية والآلية، وقمع الله به أهل البدع والضلال، نصر الله به أهل السنة. ولد سنة إحدى وستين وست مئة (٦٦١)، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة. وله: الواسطية، ومنهاج السنة. انظر الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩١ ترجمة ٥٣١)، والوافي بالوفيات (٧/ ١٠ ترجمة ٦١٩).

(٨٤٦) النور: ١٦.

لأن بعض أهل الحيل يقولون: هذا كلام أحمد بن حنبل، وهذا عين الفجور، ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ بل مذهب أحمد ضد الحيل من أصلها، وضد هذه المسألة بالخصوص؛ لأنه يقول: حتى لو رجعت بعد الخلع، وبعد العقد الجديد اليمين بحاله، ولم تنحل، فهذا منقول عنه بنصه، والآن ينقل نصًّا آخر عنه.

(حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ الْحَرْبِيَّ[٨٤٧] يَقُولُ: سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ رَجُلٍ حَلَفَ بِالطَّلاَقِ أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَطَأَ امْرَأَتَهُ اللَّيْلَةَ، فَوَجَدَهَا حَائِضًا، فَقَالَ: تَطْلُقُ مِنْهُ امْرَأَتُهُ وَلاَ يَطَؤُهَا، اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَبَاحَ الطَّلاَقَ، وَحَرَّمَ وَطْءَ الْحَائِضِ).

هكذا تكون الفتوى، فأحمد سُئل عن رجل حلف بالطلاق أن يطأ امرأته الليلة، فوجدها حائضًا، فما الحكم؟ قال: تطلق امرأته ولا يطؤها، فالله أباح الطلاق، وحرم وطئ الحائض، فهذه الفتوى على وجهها.

من المسائل المشهورة عند البنوك، مسألة الوعد الملزم، يقولون: إن مذهب المالكية أن الوعد -إذا وعدت وعد ملزمًا- يكون ملزمًا لك إذا دخلت بسببه في كلفة، مثل لو قلت لرجل: اعتق عبدك وعليَّ ثمنه، أو اخطب فلانة وعلي مهرها، فذهب وخطب أو أعتق، فإنه يلزمك أن تعطيه ما وعدته، لكن المالكية يقولون: هذا فيمن تبرع بذلك، وأما المعاوضة -التي يبنون عليها كل مسائلهم- فهي حيل.

كذلك لما حرم العلماء التأجير المنتهي بالتمليك؛ وقالوا إنه عقد فاسد؛ لأنه بيع وإجارة في عقد واحد، وهما متضادان، فإما أن يكون بيعًا، ويكون حكم البائع هو نفس حكم المشتري، وإما أن يكون حكمه حكم المستأجر، أما التأجير المنتهي بالتمليك، فلا يدري: هل هو مشترٍ أم مستأجر؟! وهذه متضادة.

فيقولون: إذن نجعلها بيعًا مع الوعد بالتمليك، وهذا حيلة؛ لأن الوعد بالتمليك ليس هذا مجاله، هذا إما بيع أو إجارة، ويقولون: والوعد ملزم عند المالكية، والمالكية الآن -ومنهم الشناقطة وهم علماؤهم- يقولون: ليس هذا قول مالك، وفي كل مجمع فقهي يقولون: ليس هذا قول مالك، ومع ذلك فالأذن لا تسمع إلا أن هذا قول مالك! حتى يمضي هذا الأمر، والمالكية يقولون: الوعد الملزم فيمن تبرع.

---

(٨٤٧) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشر بن عبد الله بن ديسم أبو إسحاق الحربي، الشيخ، الإمام الحافظ، العلامة. نقل عن الإمام أحمد "مسائل". صنف كتبا كثيرة؛ منها: "غريب الحديث"، و"المناسك". ولد سنة ثمان وتسعين ومئة، وتوفي سنة خمس وثمانين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٢١٨ ترجمة ٨٦)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٦ ترجمة ١٧٣).

المقصود أنهم ينسبون للأئمة مسائل لم يقولوها، حتى يمضي كلامهم، فليتق الله -عز وجل- الإنسان، ويعلم أن كل ما نسبوه أو نقلوه عن الأئمة ليس صحيحًا، قال: وإنما حكاه آخرون عن الشافعي، أما مالك وأحمد فهم أشد الناس في إبطال الحيل، ولذلك قالوا: لو لم يكن في مذهب مالك -رحمه الله- في باب البيوع وغيره إلا اعتبار القصد، وسد الذرائع، وإبطال الحيل، لكفى بذلك حسنًا لمذهبه، كما قال ذلك الذهبي[٨٤٨].

وأصول أحمد -رحمه الله- في باب البيوع هي أصول مالك، وكذلك في كثير من أبواب الشريعة؛ ولذلك تجد أن ترجيحات شيخ الإسلام أكثرها قول مالك، خاصة في أبواب البيوع.

فهم يعتبرون القصد، «إِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[٨٤٩]، ويسدون الذرائع، ويبطلون الحيل، فلذلك وضح أمرهم، وأما أهل الرأي فتقدم الكلام فيهم أنهم أول من أسس في الإسلام القول بالرأي وبالاستحسان وبالحيل، فهذا هو مذهبهم، والشافعي أيضًا كُذِبَ عَلَيْهِ، وافتري عليه، ولذلك سيذكر الآن قصة، تدل على أنهم افتروا عليه.

الشافعي الظاهر من كلامه أنه لا يعتبر القصد، ولكنه لا يقول بالحيل، والمشكلة أنك إذا لم تعتبر القصد، سينفتح باب الحيل، فالذي يغلق الحيل هو أنك تعتبر القصد، وأن تقول في كل عقد وفي كل عبادة: لا بد أن تكون على السنة، وتقول: «لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»، والشافعي يقول: لا نعتبر القصد، لكنه لا يقول بالحيل، فجاء متأخرو الشافعية، ودخلوا من هذه الثغرة، ومنهم من صرح بجواز بيع العينة! وقال: يجري على أصول إمامنا، ومنهم مَن صرح بجواز نكاح التحليل، ومنهم مَن صرح بكل ما حرمه النبي -عليه الصلاة والسلام، وتكلم شيخ الإسلام في إبطال التحليل وتبعه ابن القيم[٨٥٠] في أعلام الموقعين، وقالا: الشافعي بريء من الحيل براءة الذئب من دم يوسف.

---

(٨٤٨) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي. الإمام، المحدث، مؤرخ الإسلام، صاحب العبارة الرشيقة، والجملة الأنيقة. من شيوخه: ابن دقيق العيد، وابن تيمية. مولده في سنة ثلاث وسبعين وست مئة، ووفاته سنة ثمان وأربعين وسبع مئة. له من مؤلفات حسان جياد؛ منها: "سير أعلام النبلاء"، و"معرفة القراء الكبار". انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٠٠ ترجمة ١٣٠٦)، وانظر مقدمة الدكتور/ بشار للجزء الأول من كتابه سير أعلام النبلاء.

(٨٤٩) متفق عليه: البخاري: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (١)، مسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» (١٩٠٧)، من حديث عمر بن الخطاب.

(٨٥٠) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، شمس الدين أبو عبد الله، الزرعي، ثم الدمشقي. الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف. ابن قيم الجوزية. تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة. وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة،

ولكن هذه ثغرة في المذهب، وهي عدم اعتبار القصد؛ فلذلك لا ينسب لأحد من أهل الحديث هذه الحيل، لا الشافعي ولا غيره، والآن سيذكر القصة ليختم بها الكتاب أن هذا افتراء على الشافعي -رحمه الله.

(وَإِنَّمَا حَكَاهُ آخَرُونَ عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَلَقَدْ سَأَلْتُ أَبَا بَكْرٍ الآجُرِيَّ -وَأَنَا فِي مَنْزِلِهِ فِي مَكَّةَ- عَنْ هَذَا الْخُلْعِ الَّذِي يُفْتِي بِهِ بَعْضُ النَّاسِ، وَهُوَ أَنْ يَحْلِفَ رَجُلٌ أَلاَّ يَفْعَلَ شَيْئًا لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ فِعْلِهِ، فَيُقَالُ لَهُ: اخْلَعْ زَوْجَتَكَ، وَافْعَلْ مَا حَلَفْتَ عَلَيْهِ ثُمَّ رَاجِعْهَا، وَالْيَمِينُ بِالطَّلاَقِ ثَلاَثًا، وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمًا يُفْتُونَ الرَّجُلَ الَّذِي يَحْلِفُ بِأَيْمَانِ الْبَيْعَةِ وَيَحْنَثُ، أَلاَّ شَيْءَ عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّ الشَّافِعِيَّ لَمْ يَرَ عَلَى مَنْ حَلَفَ بِيَمِينِ الْبَيْعَةِ شَيْئًا، فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَعْجَبُ مِنْ سُؤَالِي لَهُ عَنْ هَاتَيْنِ الْمَسْأَلَتَيْنِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ قَالَ لِي: اعْلَمْ أَنِّي مُذْ كَتَبْتُ الْعِلْمَ وَجَلَسْتُ لِلْكَلاَمِ وَالْفَتْوَى مَا أَفْتَيْتُ فِي هَاتَيْنِ الْمَسْأَلَتَيْنِ بِحَرْفٍ).

هذا الآجري[٨٥١]، وهو إمام تقي ديِّن من علماء أهل السنة والحديث، صاحب كتاب الشريعة، وأخلاق حملة القرآن، يقول: منذ كتبت العلم وجلست للكلام ما أفتيت في هاتين المسألتين بحرف.

(وَلَقَدْ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الزُّبَيْرِيَّ الضَّرِيرَ[٨٥٢] -رَحِمَهُ اللهُ-).

الزبيري هذا إمام الشافعية في وقته، وهو متقدم، ويعتبر من الطبقة الأولى عندهم، وليس من أصحاب الشافعي، مثل الخلال[٨٥٣] عند الحنابلة، فيقول الآجري: سألت الزبيري الضرير، الإمام في وقته، إمام الشافعية عن هاتين المسألتين.

ولهج بالذكر. له تواليف حسان؛ منها: "زاد المعاد"، و"بدائع الفوائد". ولد سنة إحدى وتسعين وستمئة، وتوفي سنة إحدة وخمسين وسبع مئة. انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣)، والذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠ ترجمة ٦٠٠).

(٨٥١) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر البغدادي الآجري. الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف، صاحب التصانيف الحسان؛ منها: "الشريعة"، و"الأربعين". توفي سنة ستين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣ ترجمة ٩٢)، والوافي بالوفيات (٢/ ٢٦٧ ترجمة ٨٤٧).

(٨٥٢) الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبدالله بن عاصم بن المنذر ابن حواري رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الزبير بن العوام، شيخ الشافعية أبو عبدالله القرشي الأسدي الزبيري البصري الشافعي الضرير. كان عارفًا بالقراءات، ومن الثقات الأعلام. وتفقه به طائفة، وهو صاحب وجه في المذهب. مات سنة سبع عشرة وثلاث مئة، وصلى عليه ولده أبو عاصم. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧ ترجمة ٢٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢٩٥ ترجمة ١٨٥).

(عَنْ هَاتَيْنِ الْمَسْأَلَتَيْنِ، كَمَا سَأَلْتَنِي عَلَى التَّعَجُّبِ مِمَّنْ يُقْدِمُ عَلَى الْفَتْوَى فِيهِمَا، فَأَجَابَنِي فِيهِمَا بِجَوَابٍ قَدْ كَتَبْتُهُ عَنْهُ، ثُمَّ قَامَ فَأَخْرَجَ إِلَيَّ كِتَابَ (أَحْكَامُ الرَّجْعَةِ وَالنُّشُوزِ) مِنْ كِتَابِ الشَّافِعِيِّ).

أي: كتاب الأم، فكان كتاب الأم عند الآجري، وسأل الضرير، وكتب الفتوى بخطه على ظهر أحكام الرجعة والنشوز من كتاب الأم، فقام وأراه هذه الفتوى التي كتبها بخطه.

(وَإِذَا مَكْتُوبٌ عَلَى ظَهْرِهِ بِخَطِّ أَبِي بَكْرٍ -رَحِمَهُ اللهُ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الزُّبَيْرِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: الرَّجُلُ يَحْلِفُ بِالطَّلاَقِ ثَلاَثًا أَلاَّ يَفْعَلَ شَيْئًا، ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ أَصْحَابَ الشَّافِعِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ- يُفْتُونَ فِيهَا بِالْخُلْعِ ثُمَّ يَفْعَلُ، فَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ: مَا أَعْرِفُ هَذَا مِنْ قَوْلِ الشَّافِعِيِّ، وَلاَ بَلَغَنِي لَهُ فِي هَذَا قَوْلٌ مَعْرُوفٌ، وَلاَ أَرَى مَنْ يَذْكُرُهَا عَنْهُ صَادِقًا).

أي يفترون على الشافعي، فالناس نزعت منهم الأمانة حتى في النقل والفتوى.

(وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الرَّجُلَ يَحْلِفُ بِأَيْمَانِ الْبَيْعَةِ فَيَحْنَثُ، وَبَلَغَنِي أَنَّ قَوْمًا يُفْتُونَهُ أَلاَّ شَيْءَ عَلَيْهِ، أَوْ كَفَّارَةُ يَمِينٍ).

أيمان البيعة هي الأيمان المؤكدة، التي يأخذها الملوك عند البيعة، فيقولون: إنه إذا حنث لا شيء عليه، ولا عليه حتى كفارة يمين!!

(فَجَعَلَ الزُّبَيْرِيُّ يَعْجَبُ مِنْ هَذَا، وَقَالَ: أَمَّا هَذَا فَمَا بَلَغَنِي عَنْ عَالِمٍ، وَلاَ بَلَغَنِي فِيهِ قَوْلٌ وَلاَ فَتْوَى، وَلاَ سَمِعْتُ أَنَّ أَحَدًا أَفْتَى فِي الْمَسْأَلَةِ بِشَيْءٍ قَطُّ، وَقُلْتُ لِلزُّبَيْرِيِّ: وَلاَ عِنْدَكَ فِيهَا جَوَابٌ؟ فَقَالَ: إِنْ أَلْزَمَ الْحَالِفُ نَفْسَهُ جَمِيعَ مَا فِي أَيْمَانِ الْبَيْعَةِ وَإِلاَّ فَلاَ أَقُولُ غَيْرَ هَذَا، فَكَتَبْتُ هَذَا الْكَلاَمَ مِنْ ظَهْرِ كِتَابِ أَبِي بَكْرٍ وَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ).

هذا كلام ابن بطة[٨٥٤]، يقول: نقلت هذا الكلام من ظهر كتاب أبي بكر الآجري، وقرأته عليه.

---

(٨٥٣) أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال، شيخ الحنابلة وعالمهم، أبو بكر، ولد في سنة أربع وثلاثين ومئتين، أو في التي تليها، فيجوز أن يكون رأى الإمام أحمد، ولكنه أخذ الفقه عن خلق كثير من أصحابه، وتلمذ لأبي بكر المروذي. رحل إلى فارس، وإلى الشام، والجزيرة يتطلب فقه الإمام أحمد وفتاويه وأجوبته، وكتب عن الكبار والصغار، حتى كتب عن تلامذته، وجمع فأوعى. من تصانيفه: "الجامع في الفقه"، و"السنة". ومات ولد في سنة أربع وثلاثين ومئتين. انظر: طبقات الحنابلة (٣/ ٢٣ ترجمة ٥٨٢)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٧ ترجمة ١٩٣).

(٨٥٤) الإمام القدوة، العابد الفقيه المحدث، شيخ العراق عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري الحنبلي، ابن بطة. إمام لكنه ذو أوهام. لحق البغوي، وابن صاعد. كان أمّارا بالمعروف، ولم يبلغه خبر منكر؛ إلا غيره. من تصانيفه: "الإبانة الكبرى"، و"الإبانة

(ثُمَّ قُلْتُ: أَيْشَ تَقُولُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟).

أيش هذه اختصار، أي: أي شيء تقول؟ فيختصرونها بالعامية، ويقولون: إيش تقول، ولا زالت مستخدمة عندنا.

(فَقَالَ: هَكَذَا أَقُولُ، وَإِلاَّ فَالسُّكُوتُ عَنْ الْجَوَابِ أَسْلَمُ لِمَنْ يُحِبُّ السَّلاَمَةِ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى).

أحسن الله إليكم، يقول السائل: هل يقال إن أبا حنيفة -رحمه الله- وصاحبيه ليسوا من أهل السنة، وأنهم مبتدعة؛ لأنهم يجوِّزون الحيل، ويرون الخروج على أئمة المسلمين، ولأنهم قالوا بمقولة أهل الإرجاء؟ أفيدونا بارك الله فيكم.

هذا في باب الأسماء والأحكام، فالرجل إذا ارتكب الفسق، يقال عنه: فاسق، وإذا ارتكب البدعة، يقال: مبتدع، هذا من باب إطلاق الحكم على الاسم، ولكن هذا في أحكام الدنيا، وأما في أحكام الآخرة فالله أعلم، فكل شيء تحت المشيئة، وعلمه عند الله -عز وجل، أما في أحكام الدنيا، فكما يقال لمن زنا أو سرق: هذا فاسق، ويقال لمن فعل المعاصي: هذا عاصٍ، ولمن فعل الكفر: هذا يكفر.

أحسن الله إليكم، هل مسألة الحيل وإبطالها تبحث في علم الأصول، أم في القواعد الفقهية؟ وهل هناك رسائل علمية تبحث في الحيل وإبطالها تنصحوننا بقراءتها؟

مع كتاب ابن بطة هذا، أنصحكم بكتاب شيخ الإسلام، فضروري جدًّا قراءته؛ لأنه يفتح لطالب العلم آفاقًا، وينور بصيرته في مسائل مهمة، وهو كتاب ليس بطويل، وموجود في الفتاوى المصرية في قرابة ستين صفحة، إذا كانت عندكم المجلدات الست، وطبع بتحقيق حمدي عبد المجيد، وطبع بتحقيق رسالة علمية في الجامعة الإسلامية لـ (فيحان المطيري)، وطبع عدة طبعات، ونقل كثيرًا مما في هذا الكتاب، حتى هذه القصة الأخيرة نقلها في كتابه، ونقلها ابن القيم[٨٥٥] في إعلام الموقعين، وأما الرسائل والكتب الجديدة في إبطال الحيل، فما أعرف شيئًا من

الصغرى"، مات سنة سبع وثمانين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩ ترجمة ٣٨٩)، وميزان الاعتدال (٣/ ١٥ ترجمة ٥٣٩٤).

(٨٥٥) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، شمس الدين أبو عبد الله، الزرعي، ثم الدمشقي. الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف. ابن قيم الجوزية. تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيميَّة. وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة،

هذا الصنف، كذلك ابن قدامة[٨٥٦] في المغني تكلم كلامًا طيبًا في الحيل، وكذلك الشاطبي[٨٥٧] في الموافقات وأطال فيها، ومثَّل لها، وبيَّن بطلانها.

هذه كلها من المراجع المهمة في هذا الباب، حتى يقوى قلب الإنسان، وينصح أهله وأقاربه ومَن يخاف عليه، ألا يقترب من هذه الحيل في دين الله.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: دلنا يا شيخ على مشايخ نستفتيهم ونطلب العلم عليهم، وجزاك الله خيرًا.

سبحان الله العظيم، مشايخك معروفون، وهم العلماء الراسخون في العلم، ومن الأحياء منهم: فضيلة الشيخ صالح الفوزان، وفضيلة الشيخ صالح اللحيدان، وفضيلة الشيخ عبد الله الغيدان، فأئمة المسلمين تعرفونهم، فهؤلاء تسألهم وتستفتيهم وتجعلهم بينك وبين الله -عز وجل.

يقول: أحسن الله إليكم، فضيلة الشيخ أعلم ما أصاب الأناشيد في الوقت الحاضر من التغير إلى الأسوأ بشكل كبير وواضح، لكن إذا استمع الشخص إلى الأناشيد القديمة مثلاً على أنها عادة، نقول له: إن ذلك جائز، وإذا استمعها ليستفيد من أبياتها التي تصف النبي -صلى الله عليه وسلم- أو تصف الدنيا مثلاً، نقول: إن ذلك بدعة! أليس الشخص مطالب بأن يقلب عاداته إلى عبادات من خلال إحسان النية؟

ليس هذا، إذا كنت لا تخشع ولا تعرف أوصاف النبي -عليه الصلاة والسلام- إلا من الأناشيد، فهذا انحراف عندك، فأوصاف النبي -صلى الله عليه وسلم- في القرآن والسنة والآثار، والأناشيد والحداء إنما يكونان

ولهج بالذكر. له تواليف حسان؛ منها: "زاد المعاد"، و"بدائع الفوائد". ولد سنة إحدى وتسعين وست مئة، وتوفي سنة إحدة وخمسين وسبع مئة. انظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣)، والذيل على طبقات الحنابلة (٥/ ١٧٠ ترجمة ٦٠٠).

(٨٥٦) موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي ثم الحنبلي. الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام. مولده بجماعيل من عمل نابلس في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمس مئة. قدم دمشق مع أهله وله عشر سنين، قرأ القرآن، وحفظ مختصر الخرقي، وكان شيخ الحنابلة. توفي يوم عيد الفطر سنة عشرين وسبع مئة. صنف التصانيف الحسنة؛ منها: "المغني" في الفقه المقارن، و"الكافي"، و"المقنع". انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥ ترجمة ١١٢)، والذيل على طبقات الحنابلة (٣/ ٢٨١ ترجمة ٣٠٠).

(٨٥٧) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي. الإمام الأصولي، اللغوي، النحوي البارع. ألف "الاعتصام"، و"الموافقات"، و"المقاصد الشافية". توفي سنة تسعين وسبع مئة. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٧٥)، ومقدمة الدكتور/ محمد أبو الأجفان لكتاب "الإفادات والإنشادات".

في السفر، أو في الضعف من باب التنشيط فقط، فكيف تريد قلبها عبادة؟! هذا لا يكون إلا في دين الصوفية؛ فهم الذين يجعلون القصائد الزهديات.

قال الشافعي: أحدثته الزنادقة، يقصد القصائد الزهدية، فيريدون بها التذكير بالموت وبالآخرة؛ لأنهم يصدون بها الناس عن كتاب الله، فهذه الأناشيد من باب العادات، مثل استماع الشعر، إذا كان في سفر ولا يصحبه محرم، أما أن تقلبها إلى عبادة بالنية، فهذا لم يقل به أحد.

أحسن الله إليكم، كيف نجمع بين كلامكم عن الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- بتقديمه الرأي، وبين قول الإمام ابن القيم -رحمه الله- في كتابه إعلام الموقعين، وقوله: إن أصحاب أبي حنيفة مجموعون على أن مذهب أبا حنيفة تقديم الحديث الضعيف على الرأي، ثم ذكر أمثلة؛ كتقديمه حديث القهقهة، وحديث: أكثر الحيض، وقطع اليد في السرقة... إلى غير ذلك.

الذين تكلموا في أبي حنيفة هم أقرانه ومعاصروه، وهم أئمة ولا يتهمون في دينهم، فهؤلاء الذين يؤخذ كلامهم؛ لأنهم يعرفون الرجل عن قرب، فالذي تكلم عنه بأسانيد صحاح: مالك والشافعي وأحمد، وحماد بن سلمة[٨٥٨]، وحماد بن زيد[٨٥٩]، وسفيان الثوري[٨٦٠]، وعبد الله بن المبارك[٨٦١]، وعبد الرحمن بن مهدي[٨٦٢]، والبخاري

(٨٥٨) حماد بن سلمة بن دينار، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة البصري، النحوي، البزاز، الخرقي، البطائني، مولى آل ربيعة بن مالك، وابن أخت حميد الطويل. كان بحرا من بحور العلم. قال علي بن المديني: من تكلم في حماد؛ فاتهموه في الدين. وقال عبدالرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدا؛ ما قدر أن يزيد في العمل شيئا. قال ابن حجر في التقريب: ثقة عابد، أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بأخرة. مات سنة سبع وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٥٣ ترجمة ١٤٨٢)، و سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٤ ترجمة ١٦٨).

(٨٥٩) حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، مولى آل جرير بن حازم البصري، الأزرق الضرير، أحد الاعلام، أصله من سجستان، سُبي جده درهم منها. مولده في سنة ثمان وتسعين، ومات في سنة تسع وسبعين ومئة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت ربما دلس. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٩ ترجمة ١٤٨١)، و سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٦ ترجمة ١٦٩).

(٨٦٠) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي. من ثور. إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه. ولد سنة سبع وتسعين. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، وكان ربما دلس. مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٥٤ ترجمة ٢٤٠٧)، و سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩ ترجمة ٨٢).

في صحيحه، وابن أبي شيبة[٨٦٣]، فأنت تترك هؤلاء كلهم، وتذهب إلى كلام ابن القيم بعد ستمئة أو سبعمئة سنة من موت الرجل.

فمع توالي القرون قد يضعف الأمر، فأولئك أشد، فمثلاً: بعض المعاصرين لنا نعرف زلاتهم وأخطائهم، ونحن أوثق في وصفهم ممن يأتي بعد مئتي أو ثلاثمئة سنة، فالذين نعدهم من أهل البدع، قد يكون بعد ثلاثمئة سنة من أهل السنة! والناس ما يعرفون واقعه، فلا فيه شك أن كلام السلف الذين لا يتهمون ولا يطعن فيهم أوثق وأرسخ في هذا الأمر.

فنحن نقول: نحن لا نتعرض للرجل؛ لأنه ربما الذين يتبعونه في هذه الأخطاء غير موجدين الآن، فنحن إذا مر كتاب عظيم البركة عظيم الفوائد، لا نتركه من أجل وجود هذه الآثار التي تمر معنا، بل نحن نبين وجهها في الطريق، فأنا أقول: لا شيخ الإسلام ولا ابن القيم ولا غيرهم أوثق وأعلم بالرجل من الذين عاصروه، ونحن لا نتهمهم، فإذا رددت كلام أحمد فيه رددت كلام أحمد كله، ولا تستطيع أن تأخذ بعضه وترد بعضه؛ لأنك تتهمه في دينه ونيته، والمشكلة ليس في الإمام أحمد وحده، بل أئمة الإسلام كلهم، لو سمعت الكلام تجد أن أئمة الإسلام كلهم يطعنون.

أحسن الله إليكم، هل يجوز إيداع الأموال في البنك بما يسمونها وديعة، وهي في الحقيقة قرض؛ لأنهم يتصرفون فيها؟ هل هذا من الحيل؟

---

(٨٦١) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي. أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث. له تواليف؛ منها "الزهد". قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت فقيه عالم جواد. ولد سنة ثمان عشرة ومئة، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة. انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٥ ترجمة ٣٥٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨ ترجمة ١١٢).

(٨٦٢) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان، بن عبد الرحمن، الإمام الناقد المجود، سيد الحفاظ، أبو سعيد العنبري، وقيل: الأزدي، مولاهم البصري اللؤلؤي. توفي بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومئة، وهو ابن ثلاث وستين سنة. قال ابن حجر في التقريب: ثقة ثبت حافظ. انظر: تهذيب الكمال (١٧/ ٤٣٠ ترجمة ٣٩٦٩)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٢ ترجمة ٥٦).

(٨٦٣) عبد الله بن محمد أبو بكر العبسي، الكوفي، الإمام، العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار، وهو من أقران: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السن والمولد والحفظ، ويحيى بن معين أسن منهم بسنوات. طلب أبو بكر العلم وهو صبي، وأكبر شيخ له هو شريك بن عبد الله القاضي. قال أبو زرعة: ما رأيت أحفظ منه. قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ صاحب تصانيف. ولد سنة خمس وستين ومئة، وتوفي سنة خمس وثلاثين ومئتين. من مؤلفاته: "الإيمان"، و"المصنف". انظر: تهذيب الكمال (١٦/ ٣٤ ترجمة ٣٥٢٦)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٢٢ ترجمة ٤٤).

هذا ليس من الحيل، هذا قرض، وقد فعله الزبير[٨٦٤] -رضي الله عنه- ففي صحيح البخاري، ونقله في رياض الصالحين، أن الزبير لما مات كان عليه ديون كثيرة، وقال ابنه عبد الله[٨٦٦]: وإنما كان دَيْن الزبير -يعني سبب هذه الديون- أن الرجل كان يأتيه، ويقول: يا زبير، هذا المال وديعة عندك، أي: أمانة، فيقول الزبير: إني أخشى عليه الضيعة، ولكن هو سلف، يعني: انقله من عهدتي إلى ذمتي، فيقول: هو سلف، فتراكمت عليه هذه الديون، حتى مات وهو مديون، ثم سدد عنه[٨٦٧].

فكذلك هذه البنوك الآن، إذا قلت له: خذ هذا أمانة، قال لك: نحن ليس عندنا أمانات، ولكن هو سلف، ونحفظه لك ونستثمر، فهو في الحقيقة ليس حيلة؛ لأنك لم تدخل معهم على عقد وديعة، بل دخلت معهم على عقد قرض؛ ولذلك نقول: إن الإيداعات الآن تعينهم على إثمهم وحيلهم ورباهم، فلذلك يقتصر منها على قدر الضرورة، فإذا لم يكن لك مجال آخر، كما هو الحال اليوم، فهذا من باب الضرورة، وأنت تكره فعلهم، وإذا لم تخف عليه السرقة فاجعله عندك فهذا أحسن؛ حتى لا تعينهم على الربا.

---

(٨٦٤) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب، أبو عبد الله القرشي الأسدي، حواري رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وابن عمته، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى. أسلم وله اثنتا عشرة سنة، وقتل يوم الجمل في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين. انظر: الاستيعاب (ص: ٢٦١ ترجمة ٨٥٤)، والإصابة (٢/ ٥٥٣ ترجمة ٢٧٩١).

(٨٦٥) يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن ين حسين، أبو زكريا الحزامي النووي الشافعي الدمشقي، الحافظ الزاهد، أحد أعلام الشافعية. ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وست مئة. صرف أوقاته في العلم والعمل به، وتبحر في الحديث والفقه واللغة. كان في لحيته شعرات بيض، وكان عليه سكينة ووقار في البحث مع الفقهاء. له مؤلفات جياد أثنى عليها الموافق والمخالف؛ منها: "المجموع"، و"روضة الطالبين". توفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وست مئة. انظر: "تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين" لابن العطار.

(٨٦٦) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي. أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق. ولد عام الهجرة، وحفظ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو صغير، وحدث عنه بجملة من الحديث. بويع بالخلافة سنه أربع وستين عقب موت يزيد بن معاوية ولم يتخلف عنه إلا بعض أهل الشام وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة وحنكه النبي -صلى الله عليه وسلم- وسماه باسم جده وكناه بكنيته. قُتل في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة. انظر: الاستيعاب (ص: ٣٩٩ ترجمة ١٣٧٥)، الإصابة (٤/ ٨٩ ترجمة ٤٦٨٥).

(٨٦٧) أخرجه البخاري: كتاب الخمس، باب بركة الغازي في ماله حيا وميتا مع النبي (٣١٢٩).

أحسن الله إليكم، إذا كانت المسألة من المسائل النوازل، ولا أستطيع البحث عنها، وتضاربت الأقوال فيها، مثل ما يحدث الآن في قضية توسعة المسعى، بماذا نأخذ من الأقوال؟ أرشدونا حفظكم الله.

إذا كنت لا تعرف الأدلة، فاتبع أوثق الناس عندك بينك وبين الله، وأدينهم وأورعهم، الذي يفتي بالورع، و«دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ»(٨٦٨)، «واتقاء الشبهات»(٨٦٩)، كما بينها لنا النبي -صلى الله عليه وسلم، فالآن أكثر الناس لا يريد هذه الأشياء، ولكن «الإثم ما حاك في نفسك»(٨٧٠)، وإن أفتاك المفتون.

قال عبد الله بن مسعود: الإثم حواز النفوس، أي: الذي يحز في النفس، وكرهت أن يطلع عليه الناس، هذا هو الإثم، فنحن عندنا أصول، فإذا اشتبه عليك شيء فاتركه، وقف حتى يتبين لك أمره.

أحسن الله إليكم، إذا كانت البنوك الموجودة الآن كلها محرمة، ورواتبنا تصرف من عندهم، هل يجوز إبقاؤها عندهم؟

إذا كنت مضطرًا تخاف على مالك السرقة، فهذه ضرورة، وإذا استطعت مخرجًا؛ لأن أموالنا ليست أمانات يحفظونها، بل أموالنا قروض، والقروض يستثمرونها في قروض أخرى، ويرابون فيها؛ فلذلك هذا نوع من الإعانة، فإذا كان عندك وسيلة أخرى، وإلا فهذا من باب الضرورات.

أحسن الله إليكم، ابتلينا في هذا الزمان بالتصوير بالكاميرا، فأينما ذهبنا إلى المناسبات وإلى حفلات الزواج، وحتى بعض مساجدنا لا تخلو من ذلك، وكذلك تعليق الصور والاحتفاظ بها للذكرى، وإذا نصحناهم ونهيناهم عن ذلك احتجوا بأن المشايخ يظهرون في التلفاز، ويجيز بعضهم التصوير، نأمل توجيهنا في هذا الأمر.

التوجيه أن التصوير شر، وأول بدعة وشرك حصل في بني آدم كان بسبب التصوير والصور، فالتساهل فيها أمر خطير، وحتى العلماء الذين يجيزون التصوير الفوتوغرافي، في الحقيقة عندما تنظر إلى أقوالهم وفي استعمال الصورة تجدهم يقاربون الآخرين، فالمسألة ليس فيها فرق إلا في مسألة الذكرى أو غيرها، وإلا فالذي يقول: إن

---

(٨٦٨) صحيح: أخرجه أحمد (١٧٢٧)، والترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه (٢٥١٨)، والنسائي: كتاب الأشربة، باب الحث على ترك الشبهات (٥٧١١)، من حديث الحسن بن علي، قال الألباني في صحيح النسائي: صحيح.

(٨٦٩) متفق عليه: البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٥٩٩)، من حديث النعمان بن بشير.

(٨٧٠) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم (٢٥٥٣)، من حديث نواس بن سمعان.

التصوير الفوتوغرافي يجوز، إذا سألته عن الصور المعظمة، يقول: لا تجوز، وصور النساء التي تنتقل بين الناس وتكون سبب الفواحش، يقول: لا تجوز، وعن صور الأموات التي قد تجر إلى النياحة، يقول: لا تجوز.

فأنت لا تنظر: هل التصوير الفوتوغرافي يجوز أم لا؟ بل انظر إلى استعمال الصورة نفسها، تجد الأقوال متقاربة كلها، وتبقى مسألة الذكرى فقط، فأكثر العلماء يقولون: الصور للذكرى لا تجوز؛ لأنها إما أن تكون صور نساء، ويطلع عليها غير المحارم، فتكون سبب البلاء، وإما أن تكون للأموات فتثير النياحة، فلا خير في التصوير.

وهذا مثال لما قاله ابن مسعود: سيكون المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، قبل هذا زمان كان كل الناس على هذا، ثم مع مرور الأيام والليالي، أصبح المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، فأنا أوصي الإخوة جميعًا بعدم التساهل في التصوير، فمَن تساهل في التصوير جره إلى الفساد، خاصة مع الجوالات والنت، فقد تؤخذ الصور وتنشر في الآفاق؛ فلذلك يحرص المسلم ويتورع عن التصوير قد استطاعته، بالكاميرا وبغير الكاميرا.

أحسن الله إليكم، هل يفهم من كلامكم ترك القنوات الفضائية من إخواننا السلفيين لأهل البدع، أم الأمر فيه تفصيل؟ أوضحوا لنا جزيتم خيرًا.

إذا كان في القناة شر أو بدع أو فواحش أو غناء أو موسيقى أو نساء، ثم يقول: أخرج حتى أبث النور وسط الظلمة! فهذا مفاسده أكثر من مصالحه، وعوام المسلمين سيحتجون، ويقولون: الشيخ ظهر فيها، فيكون فتنة لهم ويضلهم، أما إذا وجدت قناة ليس فيها بدع ولا شبهات ولا فواحش فهذه وسيلة ومنفذ للخير، وإن كانت هذه القنوات تندر الآن؛ لأن الناس لا يريدون مثل هذه القناة.

أما إذا لم تجد فلا تخرج في وسط الظلمة، فلا يكون العسل في وسط السم، فهذا لا ينفع، بل يكون مفاسده أعظم، ولا تقل: أنا إن تركتها سيأتي غيري، دائمًا الأنبياء وأتباع الأنبياء لا ينظرون هذه النظرة، لا يقولون: أنا لا بد أن أتنازل مع الناس، لا بد أن ألحق الناس، فالله -عز وجل- يقول: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ * أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم * فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٨٧١]، فألزم الحق، ومن علم الله فيه خير سيأتيك، وأما أن تتبع الناس وتقول: ماذا يريد الناس؟ بعد فترة سيكون دينك ليس دين محمد -صلى الله عليه وسلم، بل دين أنت الذين تنازلت عنه حتى أبدلته.

---

(٨٧١) الزخرف:٤١ - ٤٣.

أحسن الله إليكم، هل هناك فرق بين الذي يفتي وبين الذي ينقل الفتوى؟

نعم، الذي ينقل الفتوى إذا كان يثق بالعالم، ويعتقد أنه عالم سني، أو كان يعرف الدليل، فهذا مبلغ وليس مفتيًا، ولا يكون جريئًا على الفتيا، ولا يشترط فيه شروط الفتيا، وإنما يقول: هذه فتوى الشيخ فلان، وأما المفتي فهو الذي يكون فيه الشروط، مثل الدعوة إلى الله -عز وجل، فالدعوة إلى الله ليست لكل أحد، فبعض الناس يقول: الدعوة لكل أحد، ويستدل بحديث التبليغ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»[٨٧٢]، بل قال -تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾[٨٧٣]، فلا يدعو إلى الله إلا من كان عنده بصيرة بدين الله، لكن الذي يبلغ يقول: سمعت الشيخ يقول هذه الكلمة الحسنة، أو سمعت هذا الحديث.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: أشهد الله على حبي لك فيه، شيخنا الفاضل الآن نرى في المكتبات كتبًا تصف أهل الحيل بأنهم أذكياء، وأنهم سادة للفقهاء، ويقولون بلسان كلامهم: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾[٨٧٤]، وتجد فيها مثلاً أن أحد المفتين سُئِل: قلت لامرأتي وهي على الدرج: إن صعدتِ فأنت طالق، وإن نزلتِ فأنت طالق، فقال له: قلها لها تقفز من الدرج، وتجد العناوين تحوم حول الذكاء والفطنة والنباهة، فما قولكم؟

نسأل الله العافية والسلامة، هذا ذكاء إبليسي -نسأل الله العافية والسلامة- فإذا عرفت الحق فعض عليه بالنواجذ، فكم من قوم أوتوا ذكاءً، وما أوتوا زكاءً، وأعطوا علومًا وما أوتوا فهومًا، وكم من قوم ذكاؤهم كان وبالاً عليهم، وأهل السنة هم الذين يتوروعون ويخافون، ويقلون الكلام والجدل، كما قال بعض السلف: جالست أهل الرأي فأظلم قلبي، وجالست أهل السنة والحديث فَلاَنَ قلبي، وعرفت ديني؛ فكل كلامهم: حدثنا، وحدثنا، وقال الله، وقال رسوله، ويقفون عندما يشتبه عليهم، وهذا الفرق بين هذا وهذا.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: لم أفهم يا شيخ مسألة القصد عند الشافعي، آمل ضرب مَثَل.

هذا من ثغراته لأنه لم يكن يعتبر القصد في العقود، فيقول: أنا أحكم على العقد في ظاهره، ولا أقول: ماذا يقصد بهذا العقد، وأما مالك وأحمد وباقي أهل الحديث، يقولون: لا بد مع حديث عائشة وحديث عمر،

---

(٨٧٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٦١)، من حديث عبد الله بن عمرو.

(٨٧٣) يوسف: ١٠٨.

(٨٧٤) الحديد: ٢١.

فالشافعي -رحمه الله- صرح في كتابه الأم، فقال: أنا لا أقول للشخص: ماذا نويت بهذا العقد؟ وإنما على ظاهره أجريه، لكن إذا تبين بقرينة إنه أظهر غير ما أبطن، فعند ذلك نبطله.

فلذلك هذه ثغرة، وهي عدم اعتبار القصد؛ ولذلك هم مشوا على أصوله، وقالوا: إذن يلزمه أن يجيز العينة والتحليل وغيره.

أحسن الله إليكم، هل الآثار التي في هذا الكتاب كلها صحيحة أم لا؟ وما موقفنا من الآثار الضعيفة؟ وهل نأخذ بها؟

لا شك أنه إذا لم يبلغ الأمر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وينسب إليه ما لم يقل، وكان الكلام عن الأثر، فهذه حكمة؛ ولذلك نحن، وكما قال الإمام أحمد: في الآثار لا نتشدد كما نتشدد في الوحي؛ لأن الوحي ننسبه إلى الله، ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[٨٧٥]، حتى في الحديث، لكن الآثار هذه، إذا كانت أصولها صحيحة، وليس فيها نكارة في المتن، وكلها تدل عليها الشريعة، فنحن لا نتشدد فيها كما نتشدد في الوحي، وكذلك التواريخ.

أحسن الله إليكم، ما الضمان في البنوك؟

الضمان في البنوك هو أنهم يضمنوك، مثال ذلك: خطاب الضمان، فأي مقاول يريد أن يدخل في مناقصة، يشترطون منه خطاب ضمان بمبلغ المناقصة؛ ابتدائي ونهائي، فهو يذهب إلى البنك، ويقول: أعطوني ضمانًا حتى أدخل في المناقصة، يعني اضمنوني في هذا المبلغ، فإذا كانوا لا يعرفون المقاول، فيسحبون المبلغ كاملاً، ويحبسونه عندهم ثم يعطونه خطاب ضمان، لكن في الغالب، يعطونه خطاب ضمان بدون تغطية، ويقولون: نضمنك بدون تغطية، فيضمنوه، ويأخذون عليه أرباحًا.

ومن ذلك مثلاً: بطاقات الائتمان، والفيزا والمستر كارد، فهذا ضمان أيضًا، وعندهم أصل واحد، وتتنوع الصور؛ ولذلك بعض الناس يقول: إن بعض الذين يفتون الآن في البنوك أعلم بالاقتصاد، وأعلم بالمسائل الحادثة، وأعلم بالشركات، وفي الحقيقة الذي وُفِّقَ يجد أن أصول هذه الأشياء كلها واحد، فالضمان إذا عرفت حقيقته عند البنوك، تجد أن آلاف الصور لا تغير حقيقة الشيء، وإنما هي أشياء تسويقية فقط؛ ولذلك لما عرض

(٨٧٥) النجم: ٤.

على الشيخ ابن باز بطاقات الائتمان وفقه الله فقال كلمة، قال: إن هذا أخذ أجرة على الكفالة، وهذا لا يجوز بالإجماع.

قال ذلك في سطر واحد، وسبحان الله العظيم، أنا قُدِّر لي أن أبحث في الماجستير في بطاقات الائتمان لمدة سنتين، وآخر المسألة توصلت لنفس كلام الشيخ عبد العزيز الذي قاله في سطر، قال: هذه أجرة على الكفالة، ففهمها مباشرة.

ومن ذلك بطاقات الائتمان وهي الضمان، يقول لك البنك: اشترِ ممن شئت، وأنا أدفع الفاتورة، وأرسلها لك بعد شهر، فهو يضمنك؛ ولذلك يأخذ أجرة عليك، عبر رسوم الإصدار وغيرها، ويأخذ أجرة على التاجر، ويأخذ أجرة في الصرف، ويأخذ أجرة في السحب النقدي، فيستنفع من هذا الضمان من كل وجه، وفي السحب الصرفي يتحول إلى قرض، والاعتماد المستندي للتجار ضمان؛ فلذلك نحن نقول: البنوك اليوم عملها كله إما قرض، وإما ضمان، ويأخذون عليه أرباحًا، والقرض والضمان في الشريعة لا يكون إلا مجانًا، وبحمد الله إن هذا بإجماع المسلمين، وفي الضمان بالإجماع، فحاولوا أن يقدحوا في الإجماع ولم يفعلوا شيئًا؛ لأن الضمان سيعود إلى قرض، فلذلك إذا أرادوا أسلمة البنوك، يتركون باب القرض وباب الضمان، ويذهبون إلى الأبواب المباحة، عند ذلك تكون إسلامية.

أما ما داموا مُصِرِّين على طلب الأرباح في القرض وفي الضمان، فكيف تكون إسلامية؟! هذه محادة لله ولرسوله، الله -عز وجل- يقول: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾[٨٧٦]، والضمان إنما يكون ضمانًا حسنًا.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: قلت يا شيخنا في البنوك إنها تستعمل الحيل في معاملاتها، مع أن الهيئة الشرعية أجازت المعاملة، مع أن فيهم كبار علمائنا من هيئة كبار العلماء.

اعرف الحق تعرف أهله، فلا يسلم أحد من خطأ، فإن الشيطان مطمعه من العالم أن يظفر منه بالخطأ، ثم يبدأ يلقي على عوام الناس كل ما قيل لهم، يقول: انظروا الشيخ فلان قال بهذا، ويبدأ الشيطان يلقنهم هذه الحجج، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[٨٧٧]، حتى لو كان فيها فلان أو فلان، أنت تعرف

---

(٨٧٦) الحديد: ١١.

(٨٧٧) الأنعام: ١٢١.

الحق تعرف أهله، فأقول لك: هم قائمون على القروض، والقروض لا تجوز، ولا يجوز التصريح فيها بالربح، أو الاحتيال على الربح، مهما كان فيها فلان أو فلان، وجَلَّ مَن لا يخطئ.

والبنك تعريفه إنه تاجر أموال، فيريد المال ليربو من تلقاء نفسه، فلذلك هذه الحجة لا تجوز، لا على خاصة المسلمين ولا عامتهم.

هذا إنما يلقيه الشيطان، وكما قال رجل لعليٍّ: تظن أن الحق معك، وهؤلاء فيهم طلحة والزبير، قال: سبحان الله! الحق يعرف بالرجال أم الرجال يعرفون بالحق؟!

أحسن الله إليكم، ما قولكم في الأسهم المختلطة؟

نحن لا نعرف هل مختلطة أم لا؟ فإذا كانوا يصرحون بالحرام، فلا يجوز الدخول معهم، والسلف يقولون: لا يجوز أن تشارك الذمي خشية أن يرابي وأنت لا تدري، قال الإمام أحمد: إلا إذا كنت أنت الذي تتولى الشركة، فما بالك إذا كان يصرح؟

والمختلط الذي تكلم عنه السلف هو مَن اشتبه ماله، ثم أراد التخلص، فيقولون عند ذلك: يخرج؛ لأنه تورط، أما هؤلاء فيصرحون، يقولون: شركتنا قائمة على أننا نأخذ قروضًا محرمة، وهذا هو التعاون على الإثم والعدوان، فنحن وعلماؤنا لا نعرف هل هي نقية أم مختلطة؟

ثم إن هذا الأمر غير صحيح، فالشركة التي تكون اليوم نقية غدًا تكون مختلطة، وأحيانًا لا يظهرون القرض، فإذا حصلوا على الفتوى تحولوا إلى شركة مختلطة.

فهذه كلها أشياء ليست صحيحة، فهو يصرح بالحرام، ولا تعاون على الإثم والعدوان.

اللهم صلِّ على محمد، نسأل الله جميعًا أن يفتح على قلوبنا، وأن يهدينا الصراط المستقيم، وأن يكفينا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ويجعلنا جميعًا من الذين ينهون عن السوء، ويكرهون الحيل في دين الله، والكلام بالرأي في دين الله، ويجعلنا من الذين يتورعون ويخافون ويتقون، والذين يثبتهم الله على الإسلام والسنة حتى يموتون، بفضله وتوفيقه ومعونته، وصلى الله على عبده ورسوله محمد.